

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤٢) المجلد (٥٩) العام [٦٣] الربيعان ١٤١٨ هـ / يوليو وأغسطس ١٩٩٧ م

رعاية

المقاصد

وتفسير

الفتوى

الرحمة المهداة

ملف خاص

أبو زيد

يكفر

الغزالي

برادة الأبطال

نعم ونددنا الأبطال

الفتهاء يسخنون الموت

في حالات لم تمت بعد

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دائرة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

مما قل



ربيع الاول

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقنوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز
بريدي ٢١٤٦١ بريقا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ -
٦٤٢٩٧٦٥ - ٦٤٢٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
- الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

نسخ النسخة:

السعودية ١٠ ريال - قطر ٨ ريال -
الغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا -
تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس -
عمان ٦٠٠ بييسه - الامارات ٨ دراهم -
البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠
أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٢٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

في هذا الشهر الميمون، أذن الله بأن يطلع في هذا الاقليم من
جزيرة العرب في بلد الله الحرام؛ بدر منير، ليضيء بنوره
الساطع الذي هو قبس من نور الله جل وعلا، أرجاء العالم؛
فكانت ولادة سيدنا «محمد» رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في
أحد ايام هذا الشهر الاغر، ألا وهو يوم الاثنين، وما أن استكمل
{صلى الله عليه وسلم} أربعين عاما من عمره المبارك حتى بعثه
الله الى الناس بشيراً ونذيراً، برسالة عامة، يبلغها للناس عامة؛
لاصلاح معاشهم ومعادهم، هي رسالة التوحيد الخالص والهدى
الوضاء؛ والنور البهيج، والدعوة الى مكارم الاخلاق، والى التآلف
والتآزر على الخير والحق والفضيلة، والتحالف على محو الشر
والباطل والرديلة. واستمر الرسول {صلى الله عليه وسلم} في
جهاده المقدس، في تبليغ رسالة ربه العالية باللسان أولاً ثم
بالسنان، ففتح الله بهذا النور الوضاء قلوباً غلفاً وأذاناً صماً
وأبصاراً عمياً، ثم انتشر ضياء هذه الرسالة بسرعة أدهشت
العالم؛ هي سرعة انتشار النور، فغشي العالم نور لامع جذاب،
منبعث من سمو الايمان والاحسان، فاطمأن الناس واستبشر
العالم بعد التجهم وسار في طريق السمو والكمال، أجيالا تلو
أجيال فلا غرو إذن أن يتذكر المسلمون والعالم أجمع باستهلال
هذا الشهر الاغر ذكريات المجد ومعاني الثبات والتضحية
والاقدام.

«عبدالقنوس الأنصاري»

ربيع الاول ١٤٣٥هـ / مايو ١٩٢٨م

لقطة الشهر



لؤلؤ الحياة يَمَرُّ سريعاً ، مواكبا التطور الحضاري ، إلا أن
جنور الماضي لاتزال تسري في دمائنا ، دليل على التمسك
بالتراث الحضاري .

اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب
مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط
في الاسهامات عناصر الجودة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في
عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة
الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٦٧.٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠.٤٦٧٦

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د / عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من
صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء
الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية
شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

أُمُّ عَلَى قُلُوبِ أَتْقَالِهَا

هالة من النور والضياء انتظمت
سما مكة المكرمة.

إنه الوحي ، ورسالة السماء ..
وكفار قريش على أرض مكة
المكرمة يُدَبِّرُونَ ، ويدبرون المكائد
للقة المسلمة ..

يسومونهم سوء العذاب ..
يسرقون الأكاذيب والأضاليل
والبهتان، عن الدين الجديد
ورسول الدين الجديد.

ورسول الدين الجديد سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم،
بالأمر قبل الرسالة والوحي كان
عندهم الصادق الأمين ..

وكان عندهم موضع البشر والفأل
الحسن ..

وعندما جاءهم بالحق من ربهم
قالوا عنه ما لا يصنقه عقل سوي
مترن ..

هكذا الكفر، أكاذيب لا تنقضي عجائبها،
وافترافات لا تنتهي، وضلالات سابحة في
ظلمات فوقها ظلمات.

كفار قريش، لو أعطوا عقولهم مساحة حرة
للتفكير الحر، ولو أعطوا قلوبهم مساحة
حرة للتروي والتفكر لعقلوا الأمر ..

ولكن «على قلوب أقيالها» ..

هذا عائقهم وأوسع مداركهم، الوليد بن
المغيرة، في رحلة لاقناع محمد [صلى الله

عليه وسلم] بالرجوع الى دين أبيائه أو
هكذا كان ظنهم.

جلس الوليد إلى النبي [صلى الله عليه
وسلم] وسمع منه، وأسمعه جزءاً من
القرآن الكريم، أمام هذا الإعجاز الرباني
اضطر الرجل لقول شهادة الحق [إن له
حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر،
وإن أسفله لمغدق ..] إنه يعلو ولا يُغلى
[عليه].

هكذا، في لحظة صدق مع النفس قال
الوليد .. ولما رجع إلى قومه وأحاط به
أركان الضلال، في هذه اللحظة [إنه فكر
وقدر .. فقتل كيف قدر .. ثم قتل كيف قدر ..
ثم نظر .. ثم عبس وبسر .. ثم أدير
واستكبر، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن
هذا إلا قول البشر ..]

هكذا الكفر، ظلم وظلمات، وإنكار للحق
وإن استيقنته أنفسهم ..

«أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب
أقيالها» ..

ليتهم وقفوا عند كفرهم ..
تتبعوا رسول الهدى، والرحمة المهداة
ليأسروه أو يقتلوه ..

تتبعوا المسلمين بالقتل والتعذيب ..

«أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب
أقيالها» ..

رئيس التحرير

المنهل
Almanhal

مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٤٢)

المجلد: (٥٩)

السام: (٦٣)

من قلب الجزيرة

الشمس المهر

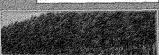
أوراق زوجية

رعاة القلوب العذبة

مكتبة المنهل
١٠١ شارع
المنهل - الرياض



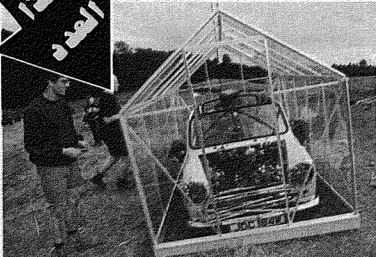
مكتبة المنهل - شارع المنهل
في الرياض والدمشق
في القاهرة وجدة والبيروت
في لندن وباريس وروم
في بيروت والكويت



وكلاء
التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة
التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفة للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الإمارات
الطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ البوحي ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع
الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف
والطبوعات د.م.م/ الكويت ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الإدارة ت: ٦٤٢٢١٢٤



دار الجوف للعلوم ص ١٢ تيسير الفقه الاسلامي

ص ٢٠

الرحمة المهداة

(ملف) ص ٣٩ = ٥٨

معضلة المصطلح ص ٧٤

الردىء يأكل الجيد ص ٧٨

موت الدماغ بين الاكلينيكي

والشرعي ص ١٣٢

أقلام:

٠.أ. عبد الرحمن الانصاري
٠.د. خليل المعقل
٠.أ.د. عيده بنوي
٠.محمود قاسم

٠.د. يوسف القرظاي
٠.د. محمد علي البار
٠.د. يوسف الكتاني
٠.أ.د. سيد رزق الطويل

١٢ - دار الجوف للعلوم - يوسف أبو عواد .

٢٠ - تيسير الفقه الاسلامي - الدكتور يوسف القرظاي .

٢٨ - أفكار مثيرة للجدل (٧ - ٨) - الدكتور محمد عمارة .

٣٢ - خاتم النبيين - الدكتور يوسف الكتاني .

٣٩ - الإيمان وكماله في محبة النبي - عبد الله محمد أبكر .

٤٢ - التوفيق من معالم المجتمع الإسلامي - الدكتور السيد رزق الطويل .

٤٤ - رحمة العالمين - شعر - د. محمد محمد محسن

٤٦ - الجدل النبوي - أدب وتربية - د. عبد الرحمن طالب .

٥٤ - رثاء المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في الشعر - محمد جمعة العودات .

٥٨ - المزاج في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) - إياد فرعون .

٦٢ - في القصص النبوي (٢٩) - الدكتور عبد الباسط حمودة .

٧٠ - شعراء من التراث - الدكتور عيده بنوي

٧٤ - معضلة المصطلح - محمد يحياتن .

٧٨ - الردىء يأكل الجيد - محمود قاسم .

٨٤ - الجوف في آثار عصور ما قبل الاسلام -

الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصاري .

٩٠ - الآثار الإسلامية في منطقة الجوف - الدكتور خليل بن ابراهيم المعقل .

١٠١ - مجلة السائح العدد (٩٩) .

١١٨ - من الكلمة إلى الفكرة (٩) - محمد العربي الخطابي .

١٢٠ - بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر - احمد سالم باعطب .

١٢٦ - رحلة في الذاكرة - الدكتور محمد رجب البيومي .

١٣٠ - سر الزجاجة - الدكتور عبد الرزاق فراج الصاعدي .

١٣٢ - موت الدماغ - الدكتور محمد علي البار .

١٤٠ - أغنية حب - شعر - لطفي عز الدين .

١٤١ - مجلة هن العدد (١٠٢) .

١٥٤ - شذرات الذهب - الدكتور أبو حسام .

١٥٨ - مسك الختام - ابراهيم نويري .

البحث اللغوي من الأمور التي تكتنفها مشكلات كثيرة في هذا العصر، ولا مجال هنا لبحث ذلك فهو يحتاج لمبحث مُفرد، ولكن أشيرُ إلى بعضها، فمنها اتساع مجال البحث بصورة عظيمة بحيث لا تكاد تجد من يمكنه الاطلاع على جميع مصنفات هذا العلم لتتكمّل له جوانب البحث من كُتُب نحو ومعجمات وتقاسير وبواوين شعر وكتب أدب وشروحات، وحتى مع القدرة والصبر على هذا البحث، فمن الصعب توفير كل ما يحتاجه المرء من المراجع، وحتى إن توفرت، فليست ميسرة البحث فقد تحتاج إلى عمرك كله لاستقصائها، هذا إن كان عمرك كافيا!!

والمعجمات وحدها مشكلة المشاكل، وإن نتكلم عن تحرير ما فيها من تصحيف وتحريف، ولا نتكلم عن ذكرها لبعض جوانب المادة دون بعض، ولا نتكلم عن ذكرها لأشياء في غير مكانها. وإنما نتكلم عن بُعد هذه المعجمات عن المثقف العربي، ومن

ثم فقد أحجمت دور النشر عن طبعها وتحقيقها، اللهم إلا يعون من جهة تريد نشر التراث دون الكسب المادي.

ولا أتحدث عن المعجمات المشهورة كالقاموس واللسان، وإنما أتكلّم عن أمثال «تهذيب الأزهري» و«عياب الصغاني» و«جاسوس الشدياق» ونحو ذلك مما يحتاجه الباحث اللغوي.

وهذه المقدمة - على طولها - ضرورة لأتّمس العذر لنفسي قبل غيري في قصور المادة العلمية وعدم استيعابها مهما بذلت من جهد واستقرغت من وسع. وبعد:

فقد أمتعنا الشيخ (أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري) ببحثه عن قولهم (فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار) المنشور في [المنهل العدد رقم ٥٣٩ لشهر ذي الحجة ١٤١٧هـ الموافق لشهر ابريل ١٩٩٧م، في الصفحات (٨٦ - ٨٩)] ويعد قراءاتي له كان لي بعض الملاحظات أثبتها في هذا المقال.

فبداة بدأة نجد الشيخ لم يستوعب النظر في المعجمات المشهورة، فقد أفاد الفيومي في مصباحه فوائد عظيمة، قال [١]: «قال قطب الدين الشيرازي في [شرح المفتاح]: أعلم أن «فضلا» يستعمل في موضع يستبعد فيه الأدنى ويراد به استحالة ما فوقه، ولهذا يقع بين كلامين متغايري

المعنى، وأكثر استعماله أن يجيء بعد نفي».

وقال شيخنا أبو حيان الأندلسي نزّل مصر المحروسة أبقاء الله تعالى: ولم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب، ويسط القول في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم.

وقد يلتبس العذر للشيخ بأن المقام يضيق عن استيعاب النقول على أن ما فاتنا من ذلك ليس مما يُنقص بحثه.

ولكننا نلمح في أثناء كلامه ما يدل على أنه يذهب إلى لحن هذا الاستعمال في العربية، لإصراره على رد كل الوجوه الإعرابية في كلام ابن هشام، إما لأنها بعيدة وإما لأنها لا تطابق مراد المتكلم، وهذا صواب، ولكنه ينسحب على مراد المتكلم، وهو «الأولوية» أيضا، فكل تقدير نقدره على أن معنى (فضلا) هو الأولوية سيكون بعيدا مثل بُعد التقديرات المذكورة.

وكذلك فهناك تقدير آخر فات ابن هشام، وهو الذي أفهمه من قول القائل (فضلا عن)، وهو: لا يملك درهما: فضلا عن ذكر الدينار، أي: «لا يملك درهما» ثم يقول: اكتفى بقولي «درهما» عن ذكر الدينار، وليس هذا التقدير بمتكلف، ولا هو بمناف لمعنى كلام العرب، بل كلامها مليء بمثل هذا التوسع في القول.

ولم يبين الشيخ - ربما لضيق

الذي أنكره، وقد فكرت طويلا في هذا البديل حتى وجدته، وهو كلمة «بَلَّه» بمعنى «دَع».

قال كعب بن مالك:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا
قسيما ونلحقها إذا لم تلحق
تتر الجماجم ضاحيا هاماتها
بَلَّه الكف كَثُها لم تخلق

يقول:

هي تقطع الهام فدع الكف، أي هي
أجسر أن تقطع الكف[٩].

وقال أبو زيد:

حمل أقال أهل الود أونة
اعطهم الجهد مني بَلَّه ما أسع
أي أعطيهم ما أجد إلا بجهد، دع ما أقر
عليه وأسع فهو أجبر أن أعطيهم[١٠].
وفي النهاية أشكر الشيخ على
جهده، وأسأله مزيدا من البحوث
المفيدة في دقائق اللغة.

الهوامش:

- (١) المصباح (ف ض ل) ص ٤٧٦.
- (٢) كتيبة وديمة (باب الفحص عن أمر ممة) ص ٢٧٧.
- (٣) المزهر السبوطي (١٥٨/٢).
- (٤) لسان العرب (ب ع ض).
- (٥) رسالة الفخران ص (٤٥٦).
- (٦) مجلة مجمع اللغة العربية المصري (صفر ١٤٠٤هـ - ص ١٦٦).
- (٧) أزهير الفصحى في دقائق اللغة ص ١٧٤.
- (٨) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٨٢٣.
- (٩) لسان العرب (ب ل هـ).
- (١٠) السابق.

أبو عبد الرحمن السلمي

- مصر -

أباه الأصمعي.

قلت: وقد جمعت شواهد في ذلك ومنها قول سحيم[٥]:

رأيت الغني والفقر كليهما
إلى الموت يأتي الموت لكل معمدا
وقول المرقش الأصغر[٦]:
شهدت به عن غارة مسبورة
يطاعن بعض القوم والبعض
طوحوا

وقول مجنون ليلى[٧]:

لا يذكر البعض من ديني فينكره
ولا يحدثني أن سوف يقضيني

وليس المجال مجال بحث ذلك،
ولكن المراد أن هذا الذي استنكره
الأصمعي على ابن المقفع موجود
في كلام العرب، وهذا مما يزيد
الثقة بكلامه ولا شك، وقد تبعت
كتاب «كتيبة وديمة» وكتاب «الأدب
الكبير» وكتاب «الأدب الصغير»
لابن المقفع فلم أجد في واحد منها
لحنا متفقا عليه، بل كل ما استنكر
فيه، يترجح جوازه بعد البحث
والفحص.

وهناك شاهد شعري من العصر
العباسي، وهو قول صريع الفواني
مسلم بن الوليد[٨]:

أطرق لما أتيت ممتحا
فلم يقل «لا» فضلا على «نعم»
وليس مرادي من ذكر هذه
الشواهد إثبات صحة هذا التركيب
بالقطع ولكني إنما أعرض ما بلغه
جهدي من البحث.

وختاماً أقول إنه كان ينبغي
الشيخ أن يذكر بديلا عن التركيب

المقام - تاريخ استعمال هذا
التركيب مع أن البحث عنه في
كلام الأدباء قد يلقي الضوء على
بعض وجوه صحة المعنى والمبنى،
فربما وجد له شاهد يحتاج به أو
يستأنس به على أقل تقدير لا
سيما إذا لم يعرف عن علماء اللغة
أن أحدهم أنكر مثل هذا
التركيب.

وقد اجتهدت في البحث عن هذا
التركيب في كتب الأدب فوجدت ما
يشهد له، فقد قال ابن المقفع[٢]:
ولا تكون دباغاً ولا حجاماً لعامياً
فضلا عن خاص خذمة الملك..

وابن المقفع متوفى سنة ١٤٥هـ
أي في عصر الاحتجاج للغوي!!
بل إن ابن خالويه قال في كتاب
ليس[٣]: «حدثنا ابن دريد عن أبي
حاتم عن الأصمعي قال: قرأت
آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحنا
إلا قوله: العلم أكثر من أن يحاط
بالكل منه فاحفظوا البعض».

وهذا سند صحيح عن الأصمعي،
ويؤخذ من ذلك شيان:

الأول: أن كلام ابن المقفع صحيح
لغة أو على الأقل يستأنس به في
اللغة، لأن الاستثناء يخرج الكلام
عن كونه مجاز تغليب.

الثاني: أن الأصمعي متشدد في
اللغة، لأن هذه المسألة الوحيدة
التي أنكرها على ابن المقفع أجاز
استعمالها كثير من العلماء قال
الأزهري[٤]: النحويون أجازوا
الآلف واللام في بعض وكل وإن

بينالي الشارقة الدولي للفنون

ظاهرة تشكيلية عربية تمنح التفاؤل بمستقبل أكثر إشراقاً للفن التشكيلي في الوطن العربي



الكتور سلطان القاسمي مع احد اعمال البينالي

خاص بالمنهل من (عبد الرحمن السليمان)

افتتح سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة مؤخراً بينالي الشارقة الدولي الثالث للفنون في مركز الأكسبو بإمارة الشارقة وسط حضور عربي وبولي كبير احتفى بهذه المناسبة، أملاً منها تحقيق المزيد من الإنجازات التي تقتضيها الساحة التشكيلية في الوطن العربي وذلك عبر التوصيات التي رفعها الفنانون المشاركون في النوبة النولية الموازية بعد أربعة أيام من الجلسات ناقشت فيها «الشعرية البصرية».

تجاوزت أعمال البينالي (ألفاً وخمسمئة) عمل فني قيمها ٣٦٩ فناناً وفنانة من أقطار العالم كافة. وقد شكلت لجنة تحكيم برئاسة الفنان العربي مروان قصاب يايشي وإسوارد لوسي سميت وأسعد عرابي وجونسون تسونج زونج ولومينيك تينو وعلى اللواتي وحسن شريف وطلال معلال. ومنحت اللجنة الفنان الفلسطيني جيفر الخالدي جائزة البينالي الكبرى والفنان عبد اللطيف الصمودي/ سوريا الجائزة الأولى «تصوير» والفنان ثائر هلال/ سوريا الجائزة الثانية تصوير والفنان عبد الرحمن السليمان/ السعودية الجائزة الثالثة «تصوير» ومنحت جائزة النحت

ووجور كارسكو من بوليفيا ومحمد أحمد إبراهيم من دولة الإمارات العربية المتحدة.

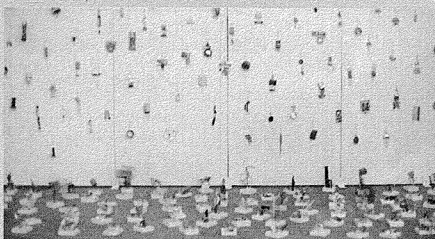
تضمن البينالي عروضاً وتجارب بصرية، واستضاف عدداً من الفنانين طيلة أيام الافتتاح تم خلالها تنفيذ عدد من التجارب البصرية الشيقة.

وتوج بينالي هذه الدورة بالنوبة النولية الموازية للبنالي التي أقيمت لأربعة أيام، كانت على جلسات صباحية ومسائية وكانت إضافة هامة يعززها وجود رابع لباحثين ونقاد العالم قديماً وأزرقهم ومدخلاتهم حول عنوان النوبة «الشعرية البصرية» وخلصت النوبة النولية الموازية إلى طرح عدد من التوصيات الهامة من بينها:

(إلغاء المصطلح النقدي التشكيلي العربي أهمية خاصة في النوات

للإماراتي حسين شريف والثانية لفتحية معتوق وجائزة التنصيبات لعماد بوزيد. ومنحت جائزة الحفر لسوزان ماتنيرو والثانية لرجوه بنت على ونهت اللجنة بأعمال عدد من المشاركين.

تضمن البينالي عروضاً شخصية لأعمال تسعة من الفنانين من بينهم محمد المليحي/ المغرب، سلوى شقير/ لبنان، يوسف أحمد/ قطر، عبد القادر الرئيس «الإمارات»، وقد كرم البينالي هؤلاء الأربعة في خطوة تقديرية لورهم في حركة الفن التشكيلي المحلي والخليجي والعربي. وقدمت عروض فنية لراشد دياب/ السودان، عبد العزيز عاشور/ السعودية، محمد عيلة/ مصر، سعد العطار/ العراق، أندريه كوستر/ ألمانيا، أنو شيروان بيكسيان/ طاجكستان، بيلج الكور من تركيا



جائزة النحت من اعمال حسين شرين



جانب من ندوة البيئالي

الدولية الموازية في نورات البيئالي القادمة، الحرص على ترجمة البحوث المقدمة أو ملخصات عنها إلى العربية والفرنسية والإنجليزية، السعي إلى التنسيق بين البيئاليات العربية على الصعيد الفني والنظري والتنظيمي والإعلامي، التشجيع على تحقيق التكامل بين الفنون، العمل على وضع كتاب شامل عن الفن العربي المعاصر كترجية رائدة قبل نهاية هذا القرن باحتضان من أمانة الشارقة، إصدار مجلة عن التشكيل في الوطن العربي على أن يتولى إصدارها بيئالي الشارقة.

ونشير إلى أنه واجهت الندوة الدولية إشكالية في الترجمة من العربية إلى لغات أخرى، والعكس خاصة مع وجود مشاركين من غير العرب. كما تواجه البيئاليات العربية - كما أشارت إحدى توصيات الندوة - إشكالية التوقيت فيما بينها حيث يقام بيئالي القاهرة الدولي في أواخر ديسمبر، وبيئالي الشارقة مع بداية إبريل وبيئالي الحبة باللاتفية السورية خلال يوليو. وهي فترة متقاربة جداً. في عام واحد. أما على مستوى التأليف فتوصية الندوة تأتي ولا تزال الجهود التي بذلت في التأليف على المستوى العربي محدودة جداً وقاصرة عن الشمول. ومخلوطة ولا تظلو من الأخطاء أو الحشو. وعلى مستوى الجلات المتخصصة فلا توجد منها سوى «الحياة التشكيلية» التي تصدر عن وزارة الثقافة السورية بشكل غير منتظم ومحدود على مستوى المشاركة والتوزيع، خاصة مع توقف مجلة تعتبر هامة حملت عنوان (فنون عربية) صدرت من لندن ولم تتجاوز أعدادها العشرة.

دائرة الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة هي الجهة المنظمة والراعية

ب عنوان «شكل الذاكرة» ومحتويات الإصدارين دراسات حول موضوع الندوة لباحثين وفنانين عرب وأجانب. من الإصدارات كتيبات «أدلة» حول التجارب البصرية والمعارض الشخصية وكروت لأعمال بعض المشاركين وإصدارات أخرى. ختاماً تأتي مبادرة بيئالي الشارقة الدولي للفنون وكما تقول دائرة الثقافة والإعلام في تقييمها عن البيئالي أنه «في إطار نشر الوعي الثقافي والارتقاء بمستوى الإدراك الفني خاصة في مجال التشكيل على تحريز التواصل بين الفنان والجمهور، والتأكيد على تطور الحركة التشكيلية.

البيئالي الذي يرأسه وينسق له مدير عام الدائرة عبد الرحمن حسن عبيد وينوب عنه هشام المظلوم مدير إدارة الفنون بالدائرة. وقد شكلت لجان تنظيمية وإعلامية ولجان فرز وإعلامية ومالية وتنسيق وعلاقات عامة ونشر. وغيرها قامت هذه اللجان بدور كبير لإنجاح هذه التظاهرة الدولية الكبيرة وتم إصدار عدد من المطبوعات من بينها:

الدليل الضخم البيئالي وقد تضمن أكثر من ٢٥٠ عملاً فنياً وتضمن تعريفات بالمشاركين ولجنة التحكيم، وغيرها. وصدرت كتيبات عن الشعرية البصرية إحداهما مقتطفات لأوراق الندوة الدولية. منها كتيب بعنوان «في الشعرية البصرية» وآخر

المسابقة الأدبية السابعة للنادي الأدبي في المنطقة الشرقية

الظرف. كما يجب أن يكتب عليه عبارة (مسابقة نادي المنطقة الشرقية الأدبي السابعة).

٩ - ترفق بالأعمال المقدمة للمسابقة صورة من البطاقة الشخصية أو الإقامة وشهادة الميلاد وإن ينظر إلى الأعمال التي لا ترفق بها صور هذه الوثائق.

١٠ - آخر موعد لقبول الأعمال المقدمة نهاية شهر جمادى الآخرة ١٤١٨هـ وإن ينظر إلى الأعمال التي تصل بعد هذا التاريخ.

جوائز المسابقة:

يخصص لكل مجال من مجالات المسابقة ثلاث جوائز على النحو التالي:
الجائزة الأولى: ثلاثة آلاف ريال.
الجائزة الثانية: ألفان وخمسمائة ريال.
الجائزة الثالثة: ألفا ريال.

مكتوبة باللغة العربية الفصحى، ولم يسبق نشرها، ولم يسبق فوزها في مسابقة أخرى.

٣ - لا يجوز للمتسابق أو المتسابقة أن يتقدم في أكثر من مجال.

٤ - لا يجوز للمتسابق أو المتسابقة أن يتقدم بأكثر من عمل في المجال الواحد.

٥ - الأعمال التي ترد إلى النادي يجب أن تكون مطبوعة على الآلة الكاتبة، وأن يرسل الأصل مع صورتين.

٦ - جميع الأعمال التي ترد إلى النادي لا تعاد إلى أصحابها.

٧ - الأعمال الفائزة تصبح من حقوق النادي ولا يجوز نشرها لغيره.

٨ - تسلم الأعمال المقدمة للمسابقة إلى إدارة النادي مباشرة، أو ترسل إليه على صندوق البريد ٨٤٣٨ - الدمام الرمز البريدي ٣١٤٨٢ بعد أن يكتب الاسم والعنوان كاملاً على

يعلن نادي المنطقة الشرقية الأدبي عن مسابقته الأدبية السابعة

مجالات المسابقة:

١ - الشعر: قصيدة في أي مجال من مجالات الشعر.

٢ - القصة: قصة قصيرة تتوافر فيها مقومات الإبداع القصصي.

٣ - قراءة تحليلية نقدية لقصيدة أو قصة قصيرة، مع إرفاق نص القصيدة أو القصة التي تناولتها القراءة (يشترط أن تكون القصيدة أو القصة مكتوبة باللغة العربية الفصحى).

شروط المسابقة:

١ - المسابقة مفتوحة للشباب والشابات من السعوديين وغيرهم من المقيمين في المملكة العربية السعودية، شريطة ألا يقل عمر المتسابق أو المتسابقة عن ثمانية عشر عاماً، ولا يزيد على ثلاثين عاماً.

٢ - يشترط أن تكون الأعمال المقدمة

صدر حديثاً عن مكتبة الملك فهد الوطنية وفي إطار السلسلة الثالثة التي تختص بنشر البليوجرافيات والكشافات والفهارس تحت رقم (٣٠) كتاب ومصادر التراجم السعودية... دراسة توثيقية وقائمة ببليوجرافية مشروحة، لعل السليمان الصويغ.

ويشتمل الكتاب على ستة فصول أولها فصل تمهيدي تناول منهج الحصر البليوجرافي بينما تناول الفصل الثاني أنواع وأشكال مصادر المعلومات المحصورة إلى جانب وصف سماتها العامة وطريقة تنظيمها وأشكال مصادر المعلومات.

أما الفصل الثالث فهو دراسة توثيقية موجبة لمعالجة مصادر التراجم من ناحية التنظيم والاسترجاع في أنظمة المكتبات ويستعرض الفصل الرابع أبرز مصادر المعلومات البليوجرافية العامة والمتخصصة مع سرد بعض كتب التاريخ التي تتناول ملوك المملكة وتاريخها.

الفصل الخامس يتناول موضوع التراجم السعودية في الوريات مع الإشارة إلى أبرز الكشافات والفهارس الشاملة ثم يأتي الفصل السادس الذي يقع في صلب هذا العمل بل هو غايته حيث تم حصر أكثر من ثلاثة مصادر من مصادر التراجم المتنوعة التي تم الاطلاع عليها وحصرها مرتبة حسب اسم المؤلف ثم وصف محتوياتها بمستخلصات موجزة. وينتهي الكتاب بالكشاف الشامل الذي يساعد على تتبع محتويات العمل كلها واسترجاعها بالعنوان أو المؤلف أو الموضوعات العامة والدقيقة التي لها صلة بمصادر التراجم السعودية.

مصادر التراجم السعودية:

ويأتي إصدار الكتاب انطلاقة مما تمثله التراجم والسير كونها تعد أهم مصادر المعلومات الشخصية التي يحتاجها الباحثون والإداريون والقاريء العادي على حد سواء. وإذنا نجد أن التراجم تعد من أكثر مصادر المعلومات استخداماً في المكتبات ومراكز المعلومات على اختلاف أنواعها.

سرقات :

في عدد شهر ذي الحجة ١٤١٧هـ / الموافق لشهر ابريل ١٩٩٧م وفي الصفحتين (الثانية عشرة والثالثة عشرة) من نفس العدد نشرت المنهل رسالة عن سرقات (كامل محمد محمد عويضة).

وهنا ننشر رسالتين خاصتين بسرقات (كامل محمد محمد عويضة) الرسالة الأولى من الاستاذ الدكتور محمد رجب البيومي حيث ادعى (عويضة) ان الدكتور محمد رجب البيومي راجع بعض كتبه، والآخرى من الاستاذ فرج مجاهد عبد الوهاب الذي وقف على مجموعة كتب مسروقة ادعى سارقها (عويضة) بمراجعة الدكتور محمد رجب البيومي لها . « المنهل »

فإلى الرسالتين:

أخي الأستاذ نبيه الانصاري ..

سلاما وحبا .. وبعد ..

فتلميذي وصديقي الأستاذ فرج مجاهد من أدباء مصر، وهو يتابع الحركة التأليفية على نحو شمولي، وقد وقف على مأساة تتعلق بي حين وجد إنسانا يجعلني دون أن أعلم شيئا مراجعا لكتب في علم النفس، وقد سبق أن نشرت المنهل مقالات لكتاب مغربي هو الدكتور (صادق العماري) تفضح سرقاته، فلابد أن تكون هذه الكتب مسروقة أيضا، فرجائي التكرم بنشر ما يرسله إليكم الأستاذ فرج مجاهد إقرارا للحق ودفعاً لتهمة قد يلصقها بي من لا يعرف حقيقة الأمر . ولكم جزيل الشكر .. وتفضلوا فائق الاحترام .

أخوكم محمد رجب البيومي

سرقات لا سرقة واحدة

سبق أن أرسلت إلى المنهل الأغبر كلمة موجزة عن كتاب في علم النفس نُسبت مراجعته زورا إلى الدكتور محمد رجب البيومي، ولم أكن أدرى أن سلسلة تتضمن عشرة كتب، سرقت بهذا الطران، ونُسبت مراجعتها للدكتور محمد رجب البيومي، وقد دهش استاذنا الدكتور البيومي ، وأرسل إلى بعض المجلات ما يدل على تبرئته، وأوصاني أن ألحقَ تعليقى السابق بمجلة المنهل برسالة أخرى تتضمن بعض أسماء هذه الكتب المسروقة .

وأقول المسروقة لأن مجلة المنهل قد نشرت مقالين خاصين بأنواع من هذه السرقات التي قام بها المؤلف المزعوم الشيخ كامل محمد محمد عويضة (راجع المنهل عدد رمضان/ شوال ١٤١٥هـ عدد ٥٢١ وما قبله) .

أما الكتب التي تبرأ الدكتور محمد رجب البيومي من مراجعتها، فلم أستطع الحصول إلا على بعضها ومنها:

(١) سلسلة علم النفس:

- علم النفس الصناعي .
- سيكولوجية العقل البشري .
- علم نفس الشخصية .
- سيكولوجية الطفولة .

بسم الله الرحمن الرحيم

سَيِّدُكَ وَأَوْجِدُكَ الطُّفُولُ لَتَرَا

إعداد
د. محمد محمد عويضة

مراجعة
د. محمد محمد عويضة

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

- مبادئ الطب النفسي .

- علم النفس بين الشخصية والفكر .

(ب) سلسلة الأعلام من الفلسفة:

وهي أكثر من كتاب ، مع ملاحظة أن كل الكتب نشرتها دار الكتب العلمية في بيروت بلبنان .

وهذه المسألة لا أدرى كيف يواجه الجمهور الأدبي أنوارها الشائعة، إذ يسطو ناسخ على كتب الناس وينشرها باسمه .. ويفتري على الدكتور محمد رجب البيومي فيجعله مراجعا، والحمد لله أن هذه الكتب ليست في تخصص الدكتور البيومي وهو النقد والبلاغة، كما ليست تنتمي إلى ما يكتب من فصول في التاريخ الإسلامي والدعوة الدينية والصحة الفكرية المعاصرة .

وهذا إحقاق للحق .. فأرجو نشر هذا التعقيب سريعا ليأتى بثمرته المفيدة .

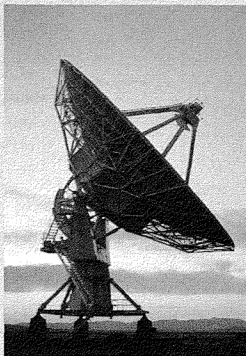
فرج مجاهد عبد الوهاب - مصر -

فضائيات العالم العربي

العالم أصبح قرية صغيرة، صغيرة

هذه البرامج التي يمكن أن تكون جادة ويفيد منها المشاهد، ترى كم بلغت مساحتها في هذه الخارطة...!!

الإرسال الفضائي أصبح إرسالاً رسالياً إلى حد كبير جداً... الفضائيات رسالة مفتوحة لكل المشاهدين في كل العالم، بكل أجناسهم ولغاتهم وأمزجتهم... حتى الأغنية رسالة... نعم، حتى الأغنية رسالة... إليست هذه (الأغنية) ثقافة قوم، وتراث قوم، وفكر قوم...؟



ما يحدث لتوه في أقاليم العالم، يسمعه ويشاهده كل العالم... رغبة الناس في السماع والمشاهدة لتابعة أخبار الآخرين أصبحت متاحة، ومشروعة... ويبقى شيء غاية في الأهمية والدقة.

ماذا نسمعُ العالم عنّا...؟ بل قبل هذا ماذا نسمعُ أنفسنا في الداخل...؟ على اتساع أمداد عالمنا الإسلامي والعربي...؟ هل نعيد بث ما لدينا من أفلام وتمثيلات وأغانٍ، وملهيات أصبحت مكرورة وممجوجة ومملة... بل غاية في السفاهة لا تخدم غرضاً ولا تقيم معوجاً ولا تبني فضيلة ولا تزيل منكرًا...!!

هل نلهي أنفسنا عن قضايانا الكبرى (التحضر - التقدم - الحرية - التصنيع - الأخلاق - المثل الرفيعة... الخ... الخ).

بشيء من اللهو والطرب تناله أنفسنا...!!

بكل ميادين الرياضة... من كرة القدم إلى الهوكي... ثم ماذا نسمعُ العالم عنّا...؟ هل نبت إليه هذا القدر الوافر من عدم احترام النفس وتقدير التراث...!!

أم نعيد إليه بث بضاعته، بكل

جعلها ومفرداتها...!! بطبيعة الحال، لا تذهب بنا عتمة الصورة إلى درجة غمط الناس حقهم.

كلا... هناك برامج غاية في الإفادة...

برامج في الاجتماع وقضاياها، في الدين، في السياسة، في العلوم والمخترعات، في الأدب والثقافة، في الفكر والمعرفة، ولكن...!!

ضع خارطة البرامج المقدمة يوميًا على مدى أربع وعشرين ساعة... ضعها أمامك وانظر فيها جيداً، جيداً جداً... والآن دون بقلمك...

إذن، أوروبا لا تلهو... بل هي منطقية كل المنطق فيما تقدم لقومها وشعبها، لأن هذه حياتهم وهذا سلوكهم وتلك منهجية حياتهم...

أما نحن... تلهو...!! نعم، تلهو...!! أنها بضاعتهم بكل بصماتها نعيد تسويقها لأنفسنا... معذرة سادتي...

لنعد قراءة الخارطة من جديد... ولكن أكثر جداً... ولكن صرخاء مع أنفسنا... إذن، فلنعد الصياغة ثانية.

السماعي كمال الدين - جدة

المنهل، وأن تكون الجائزة رمزية - أو مالية وأن يتم الاعلان عن محتوى المسابقة. **معهد عبد الهادي المنهل:**

نشكر لكم هذا التواصل الطيب مع مجلتكم المنهل .. ونقدر لكم هذه المقترحات الطيبة .. ويتصفحكم لاعاد المنهل تجلوت كثيرا منها قد نُفِّذَ فعلا .. مثل الاصدارات والرسائل الجامعية والبنوات والمسابقات حيث اجريت مسابقات في القصة القصيرة والمسرحية ذات الفصل الواحد والشعر.

ونأمل التوسع في بعض هذه الابواب حسب الخطة المقترحة للمجلة. نكرر لكم الشكر على تواصلكم ..

رسالة :

الاستاذ رئيس التحرير .. أخط إليكم عبر هذه السطور رسالتي وكي أمل أن تبقى مجلة المنهل بهذا المستوى بل وأفضل لأن مسؤولية القلم والفكر باتت اليوم مسؤولية كبرى أمام التحديات الثقافية التي تواجه أمتنا .. إن وجود مطبوعة عربية إسلامية على هذا المستوى قادرة أن تجذب القارئ العربي وتساهم في محو أميتنا الثقافية لبي أمنية غالية في زماننا هذا ..

محمد أسامة سليمان - سوريا -

المنهل:

نرجو أن نكون عند حسن الظن دائما ..

تواصل:

الاستاذ / رئيس التحرير .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وجزاكم الله خيراً على الاعداد التي ارسلتموها لي ، ولدي بعض الاقتراحات أرى بكل تواضع انها مفيدة، مع العلم مراسلكم طالب مغترب يدرس في قسم الدراسات العليا الادب الغريبي ..

باب كتب واصدارات ارى ان يكون في كل عدد ، مع التوسع فيه وان يشمل بعض الاصدارات التي تصدر في اللول العربية، مع كتابة عنوان دار النشر بالكامل لافادة القاري، وتسهيل اتصاله بدار النشر للحصول على هذا الكتاب .. مع اضافة او زيادة اللقاءات الصحفية الثقافية والفكرية والادبية مع رواد الحركة الثقافية والادبية في العالم العربي، نظراً لأهميتها وأهمية ما تتناوله من مواضيع مختلفة متابعة المهرجانات الادبية متابعة بقيقة وكتابة روبرتاج عنها، وما تناولته .. وكذلك الملتقيات، متابعة الرسائل الجامعية - الماجستير والدكتوراه المناقشة في داخل المملكة وخارجها وخاصة القيمة منها، وكتابه تلخيص عنها ومحتواها والجامعة التي نوقشت فيها هذه الاطروحة.

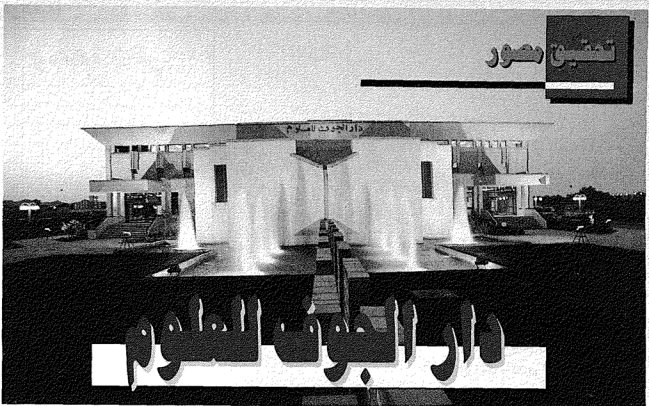
الاشتراك مع ناد أدبي أو جمعية ثقافية لاقامة نوات فكرية وثقافية وأن تكون هناك مسابقة سنوية لمجلة

وجهة نظر:

الديمقراطيات، نسمع، ونرى، ونقرأ عنها العجب .. مضمون المصطلح يشير إلى قيام أمة راقية، وحضارة راقية .. أمة تحترم الرأي الآخر، لا تنقصه من حقه شيئاً، ولا تضطهده بسبب من أسباب حياته، في معتقده، أو عرفه، أو قناعاته .. العقل فيها موفور القدر، يفكر - يتمذهب - يكتشف - يبتخرع - يصنع ... إلخ .. الحرية فيها مكفولة، طلقة الجانب، لا حجر ولا مضادة .. كل هذه معان جميلة، لقيام حضارة نابهة ذكية .. وإن كان ينقصها ضوابط (الروح).

هذا في مجال التنظير، وفي مرحلة لا بد من تجاوزها إلى التطبيق والعمل .. في جانب التطبيق على يد الحكومات الأوربية وأمريكا نجد هذه (المعاني الراقية) قد أخذت شكلين متناقضين متقاربين تمام التناقض والتنافر .. في داخل أوروبا وأمريكا نجد هذه الديمقراطيات مطبقة بحرفية تصل إلى حد الجنون في الحريات، وبطبيعة الحال، ومن المفترض بداهة أن تكون العقلية الديمقراطية، هي العقلية الديمقراطية في كل مكان وزمان من غير تبدل أو تغير .. بنظرة عامة لكبريات القضايا في العالم، نجد تعامل (رعاة الديمقراطية وحقوق الإنسان) في العالم مع هذه القضايا قد تحول وتبدل إلى تعامل (رعاة البقر) .. يتعاملون مع الآخر بقدر وافر من التعالي والكبرياء والأنفة .. كأننا هذا الآخر ليس بشراً .. وبالتالي ليس له الحق في التمتع بخصوصيات حقوق البشر .. أمريكا، مثلاً: تستخدم حق النقض (الفيتو) لمجرد محاولة إدانة إسرائيل في مذبة (قانا) في جنوب لبنان!!! تفرض حظراً جويّاً واقتصادياً على شعوب بكاملها لمجرد خلافات سياسية. تأمر دولاً لها سيادتها بأن لا تتبع أسلحة لدولة ما .. ثم تضع مجموعة من دول العالم تحت بند (خرق حقوق الإنسان)!!

وأوروبا ليست بأحسن حالاً من أمريكا .. هكذا .. حقوق الإنسان، مصانة موفورة لشعوبهم، مهانة منترزة من الآخر الذي لا يستحقها .. براءهم .. **معهد السلام - السودان =**



دار الجوائز العلوم

* في المملكة العربية السعودية إلى جانب الجهد الحكومي الملحوظ والمقدر في تنمية المناطق بشرياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً وفكرياً، إلى جانب هذا الجهد يقوم جهد شعبي مساند، يتناول عطاءات المناطق بالتعريف والتحليل والكشف... أو يقوم الجهد على ابراز الجوانب الثقافية والتراثية في المناطق، من صناعات بدوية، وتراث يتناول تقاليدها وعاداتها وأعرافها وفنونها... وقد يقوم هذا الجهد الشعبي الخيري على إنماء الحركة التعليمية والعلمية والثقافية والسياحية في المنطقة... وإنماء الحركة الاجتماعية بعامه، من حيث رعايتها وتوجيهها نحو الأفضل والامثل.

والجوائز والمؤسسات الخيرية التي انتظمت كل ربوع المملكة، جاء انشاؤها من قبل افراد أو جماعات رأوا تسخير جهدهم ومالهم وفكرهم لنفع المجموع في الداخل والخارج. ومن هذا الجهد المبارك الخير نجد: جمعيات البر الخيرية، جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، جوائز التفوق، جمعيات العلوم والثقافة والأدب... جمعيات



اعداد:

يوسف أبو عواد

- الجوف -

هذا الجهد الخير نجده قد انتظم كل ربوع المملكة العربية السعودية... ويرجع هذا لطبيعة الروابط الاجتماعية المتميزة، وروح الابداع والتجديد، وهذا يرفده من ورائه وفرة اقتصادية ساعدت كثيراً على استمرارية هذه الجهود الخيرة من الافراد والجماعات. وفي المملكة العربية السعودية مالا نستطيع احصاؤه من الجمعيات



- د. سلمان بن عبد الرحمن السديري -

ومؤسسات التنمية الفكرية والعلمية والاجتماعية .
و(مؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري
الخيرية بالجوف) تأتي ضمن هذه المنظومة
الهادفة إلى دفع الحركة الثقافية والفكرية،
التاريخية والأثرية، الى جانب ابراز واطهار
عطاءات المنطقة في تراثها وتقاليدها وفنونها .

وفي هذه الصفحات يسعدنا أن نكون برفقة
قارئ المنهل في ضيافة (مؤسسة الأمير عبد
الرحمن السديري الخيرية بالجوف) في هذا اللقاء
الذي اجراه مندوب (المنهل) مع الدكتور سلمان
بن عبد الرحمن السديري رئيس المجلس الثقافي
في المؤسسة، لنتعرف على أهداف وغايات هذه
المؤسسة، ومن خلال هذه المقابلة، نقضى ساعات



- جمهرة من ضيوف الأسبوع الثقافي في الجوف -

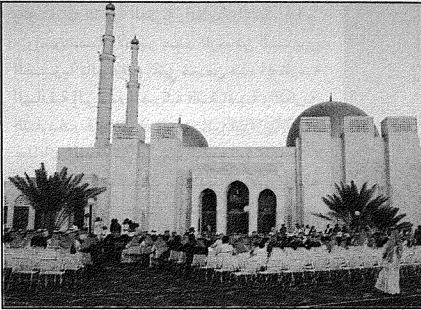
ممتعة في ربوع الجوف،
(وربعها) .. عاداتهم
وتقاليدهم .. أنسهم ومرحهم
كرمهم واريحياتهم ..
صناعاتهم .. فنونهم ..
آثارهم .. ونوثق هذه الأخيرة
بمحاضرتين القيتا ضمن
الفعاليات الثقافية للمؤسسة
يجدهما القارئ في صفحات
تالية من هذا العدد ..

* البداية، كانت في عام
١٣٨٣هـ / ١٩٦٢م حيث أنشأ
الأمير عبد الرحمن بن أحمد
السديري مكتبة عامة سعيًا منه
 للمشاركة في دعم الثقافة في
منطقة الجوف .

ولما كان إنماء ودفع الحركة
الثقافية في المنطقة يمثل
الهاجس الأكبر للأمير عبد
الرحمن فقد ركز جهده في
تطوير هذه المكتبة لتمثل نقطة



قصة حركية تراثية في حفل اسبوع الجوف



جامع الرحمانية التابع لمؤسسة السديري يحتضن إحدى فعاليات الاسبوع الثقافي.

الارتكاز لـ (دار الجوف للعلوم) الذي أصبح المسمى الرسمي للمكتبة... وجاء هذا بعد جهد كبير من التطوير، لقد أصبحت المكتبة تحوي ٧٥٠٠٠ كتاب... أدخلت في خدماتها أحدث أساليب التقنية الحديثة للمكتبات، مع ارتباطها بمراكز المعلومات الأخرى في المملكة عن طريق مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، وكذلك عن طريق شبكة الانترنت... التطور من طبيعة البشر...

باسم (دار الجوف للعلوم) والعمل على تطوير خدماتها لجعلها مركزاً للبحث العلمي والأدبي تتوفر فيه وسائل الدراسة والأبحاث العصرية.

(٢) العمل على حفظ التراث الأدبي والأثري في منطقة الجوف وإنشاء متحف لهذا الخصوص والقيام بدعم الدراسات ونشر المعلومات المتعلقة بمنطقة الجوف.

(٤) المساهمة في دعم النهضة العلمية في منطقة الجوف والعمل في كل ما من شأنه رفع مستوى الفرد فيها ثقافياً وصحياً واجتماعياً واقتصادياً.

(٥) إنشاء مجلة شهرية في منطقة الجوف وفقاً للنظام.

(٦) إنشاء دار للحضانة وروضة للأطفال ومسجد جامع ومستشفى في مقر المؤسسة - في سكاكا.

(٧) العمل على إحياء (أسبوع الجوف) في وقت مناسب من كل سنة والقيام خلاله بإقامة سباق الهجن ومسابقة المزارعين ومعرض سجاد الجوف.

تلك هي الخطة العامة للمؤسسة الخيرية، وهذه

والشخص الذي يركز اهتمامه في شيء محدد الأهداف والغايات يبقى همه الأول وشغله الشاغل تطوير هذا العمل وتجويد الأداء فيه.

من مكتبة، إلى (دار الجوف للعلوم) ثم يستقر كل ذلك ليكون (مؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري الخيرية) ٠٠ وجاء إنشاء المؤسسة بأمر ملكي كريم بتاريخ ١٤٠٣/٩/٩هـ وبمساعدة كريمة من حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله.

المؤسسة أهدافها وغاياتها:

جاءت المؤسسة امتداداً لجهد سابق تمثل في المكتبة ودار الجوف للعلوم.

ولتكون مسيرتها أوفر عطاء، وأدق أداء، لحركة الثقافة والتراث وخدمة المجتمع، فقد قام نظام تأسيسها واضح المعالم ليشمل كل هذه التوجهات الخيرية... إذ من أهداف هذه المؤسسة:

(١) تطوير خدمات (دار الجوف للعلوم) لتصبح مركزاً للبحث العلمي والأدبي تتوفر فيه وسائل الدراسة والبحث.

(٢) تولي إدارة المكتبة الواقعة في سكاكا الجوف التي أنشأها المؤسس سنة ١٣٨٣هـ والمعروفة



- حفل توزيع الجوائز -

أهدافها .. أما في ميدان التنفيذ لهذه المشروعات والخطط والبرامج، فإننا نجد ونلمس عملاً موفقاً، وجهداً مبذولاً، في كل المجالات .. (المحافظة على التراث - البحث والتنقيب عن الآثار - الندوات والمحاضرات والأمسيات - التنمية البشرية - تطوير المجتمع وغيرها الكثير من معطيات هذه المؤسسة. في مجال الآثار، باعتبارها ميراث الأجداد السالفين، الحاكية عن أساليب تعاملهم مع

في صناعة السجاد .. ويشمل الاسبوع الثقافي مسابقة للمزارعين .. ويقام في هذا الاسبوع معرض الكتاب، ومعارض فنية ومعرض للصور الفوتوغرافية.

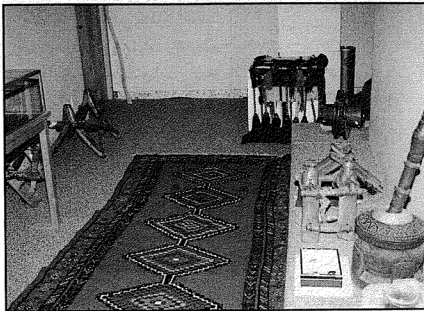
وفي مجال النشر قامت المؤسسة في السنوات الأولى لانشائها بنشر ديوان القصائد لمعالي الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري مطبوعاً ومسجلاً على أشرطة كاسيت، وكذلك كتاب الجوف وادي النفاخ وهو عن تاريخ منطقة الجوف في الماضي والحاضر كما صدرت في العام الماضي ترجمة انجليزية مزيّدة ومنقحة لكتاب

الجوف وادي النفاخ بعنوان **The Desert Frontier of Arabia Aljawf Through the Ages** وخصص المؤلف ربيع هذه الكتب للصرف على مكتبة (دار الجوف للعلوم). كما تقوم المؤسسة بترجمة كتب الرحالة الذين قدموا للمنطقة وبلغ عدد ما ترجم منها حتى الآن أربعة كتب وهي متاحة للباحثين في المجموعة الخاصة بدار الجوف للعلوم. ويصدر عن المؤسسة ملف ثقافي نصف سنوي، صدر منه حتى الآن أحد عشر عدداً. وتعد المؤسسة حالياً لنشر أول كتاب ضمن

الحياة، والمسجلة لتاريخ المنطقة فقد شكلت المؤسسة لجنة تحت اسم (لجنة العناية بالآثار) تضم في عضويتها الأكاديميين من أصحاب التخصص والمهتمين بالآثار والتراث، وتقوم هذه اللجنة باعداد دراسات لترميم الآثار .. وفي هذا المجال أقامت المؤسسة مجموعة من الندوات والمحاضرات لتوضيح المعالم الأثرية للمنطقة .. ويدعم هذا العمل متحف المؤسسة بما يضم من قطع أثرية للمنطقة .. أما الحركة الثقافية فإن لها نصيب الأسد - كما يقولون - في هذا العطاء المتميز.

(أسبوع الجوف الثقافي) تظاهرة ثقافية وحضارية تقيمها المؤسسة كل عام بالتعاون مع إمارة منطقة الجوف ويحضرها المهتمون من رجال الفكر والعلم والثقافة من أنحاء المملكة. يشتمل الاسبوع على مجموعة من الفعاليات الثقافية والتاريخية اضافة الى معرض السجاد والمصنوعات اليدوية في المنطقة، وعروض الفنون التراثية لمنطقة الجوف.

في هذا الاسبوع توزع جائزة الأمير عبد الرحمن السديري للتفوق العلمي، وجائزة التفوق



- مقتنيات تراثية في متحف المؤسسة.

مشروع لنشر الكتب التي موضوعها منطقة الجوف، وتهتم المؤسسة اهتماماً كبيراً بجميع ما يتعلق بمنطقة الجوف من كتابات وصور ووثائق وغيرها، وحيث إن ما كتب عن المنطقة يتمثل بشكل رئيسي في كتابات الرحالة الأوروبيين، وهي كتابات لم تختص منطقة الجوف بالذات بل ضمن أجزاء أخرى من الجزيرة والبلاد العربية المجاورة، فقد خصصت المؤسسة مجموعة خاصة بشبه الجزيرة

العربية وتتضمن هذه المجموعة معظم كتب الرحالة الذين زاروا المنطقة، وخرائط قديمة وصوراً قديمة تحكي قصة توحيد المملكة على يد جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله، ووثائق وطوابع نادرة وصور الأمراء الذين تعاقبوا على إمارة منطقة الجوف، وصوراً لمخطوطات نادرة وبعض المخطوطات وكتباً أخرى.

منذ قيام المؤسسة في عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٢م وحتى العام الماضي ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م بلغ عدد النوات والمحاضرات التي نفذتها (مئة وأربعة عشرة) وهذه الأعمال تم نشر الكثير منها في إصدارات خاصة، ويعرضها نشر في مجلة المؤسسة المسماة (الجوية) ٠٠ صدر أول عدد منها في ١٩٩٠م و(الجوية) ملف نصف سنوي متخصص في قضايا الأدب والثقافة.

المرأة نصف المجتمع، وهي الأم والأخت والزوجة، لا شك لها دورها الفاعل والمؤثر في تشكيل الأجيال وتوجيه حياتهم ٠٠ من هذا المنطلق يكون الاهتمام بها وبدورها أكثر إيجاباً ٠٠ وأخذاً بهذا الفهوم فإن المؤسسة قد اهتمت بجانب المرأة وأعطتها حقها الواجب من

الرعاية والتثقيف، بل والمشاركة في معطيات المؤسسة الثقافية والفكرية.

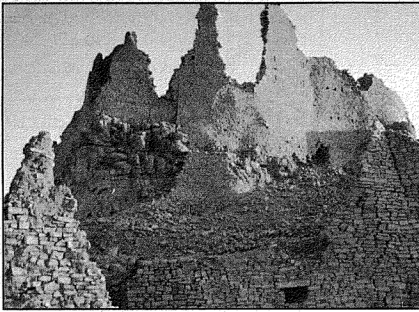
لهذا فإن للمرأة حضورها الإيجابي الكامل في فعاليات هذه المؤسسة، وتنقل إليها أعمال وفعاليات الأسبوع الثقافي عن طريق الدائرة التلفزيونية المغلقة، إضافة إلى أن المرأة لها قسم خاص بها في المؤسسة، ولها مجلس ثقافي مماثل.

والقسم النسائي يشرف إشرافاً مباشراً على روضة ومدارس الرحمانية للبنات وهي إحدى أهداف المؤسسة التي تم أنشاؤها مبكراً.

وفي هذا الإطار أيضاً فقد تم تنفيذ جامع الرحمانية إلى جوار دار الجوف للعلوم، وأنشئت روضة الرحمانية للأطفال، ومدارس ابتدائية للبنين والبنات.

كل مؤسسة خيرية، تعمل في مجال العمل الإصلاحي العام لابد أن تكون لها رؤيتها المستقبلية التي تحمل آمالها وطموحاتها الهادفة إلى غد أكثر عطاء، في ميادين عملها وعطائها.

ومؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري تحمل



.. قلعة ماردي بجمهورية الجندل.

تجربة مثلى تُحتذى، تجربة انتجتها أريحية أبناء هذا البلد المعطاء.

الجوف .. وادي النفاخ :

الجوف لغة هي المطمئن من الأرض أي ما اتسع واطمأن فصار كالجوف، وسميت بهذا الاسم لوقوعها في منخفض من الأرض، ومن أسمائها أيضاً الجوبة كما سميت الجوف بـ «باب نجد» وفي كتاب المستشرق الفنلندي جورج أوجست فالين المعروف باسم (عبد الولي) في كتابه (صور من شمال جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر) يقول عن منطقة الجوف «الناس في الجوف كما في جميع أنحاء المملكة، يلقتون منذ الصغر أصول الدين وشعائره والكتابة والقراءة منتشرتان بينهم أكثر مما هي عليه في المدن العربية التي كانت خاضعة آنذاك للحكم العثماني، وأهل الجوف يشهد لهم بأنهم مضاييف كرماء ومهذبون مع الغرب، أما عن خيرات هذه المنطقة فيرى الكاتب «عبد الولي» أن تمر الجوف من أطيب أصناف التمر، ونكهته تفضل على تمر البصرة وبغداد، وبه ويتمر تيماء يضرب المثل،

من الرؤى المستقبلية ما يجعل المنطقة أرحب مجالاً في الازدهار والنمو والتفوق .. وازدهار معالم منطقة الجوف بكل الوسائل المتاحة.

وتحقيقاً لهذا الغرض السامي فإن المؤسسة قد وزعت أعمالها حسب مجالاتها المتنوعة إلى لجان متخصصة، وإلى جانب هذا فإنها تفتتح باب العضوية للراغبين في الانتماء لعضوية جماعة (أصدقاء دار الجوف للعلوم) .. وكذلك عضوية النشاط الثقافي مفتوحة للراغبين.

وهؤلاء جميعاً تمدهم المؤسسة بالمعلومات الوافية من كتيبات وأشرطة كاسيت وأشرطة فيديو لأهم الندوات واللقاءات والمحاضرات .. وهذا عمل جليل يفيد منه الراغبون في عضوية هذه المؤسسة الخيرية.

بقي أن نعرف شيئاً عن تمويل أعمال وفعاليات هذه المؤسسة، بحيث يعتمد تمويلها أساساً على المؤسس الأمير عبد الرحمن السديري، وأبناؤه وبناته.

ولاستمرارية هذا العطاء الكبير فإن الاستثمار هو الضامن، لهذا فقد أقامت المؤسسة فندق النزلة، وساهمت في رأسمال مصنع مياه الجوف الصحية .. إضافة إلى مجموعة من الاستثمارات الأخرى الحالية والمستقبلية.

مؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري الخيرية في الجوف هي واحدة من مجموعة المؤسسات والجمعيات الخيرية الكثيرة المنتشرة في ربوع هذا الكيان الكبير، وفي ربوع هذا الوطن العزيز. كلها تؤدي دورها الفاعل في تنمية المجتمع، ورعاية الفكر والثقافة والعلم .. وهي لا شك



- آثار الرجاجيل بالجوف -

فجميع أصنافه جيدة وتعد من أطيب الأصناف.

وسكان الجوف يعتقدون كما جاء على لسان الرحالة أن مدينتهم في وسط الدنيا، والواقع أن المسافات التي تفصلها عن الصحراء المحيطة بها أي أقرب الأراضي المزروعة تكاد تتماثل.

والجوف - وادي النفاخ - أحد الأسماء التي أطلقها غير الجوفيين ، والموقع الجغرافي لهذه المنطقة قد أكسبها مكانة

هامة منذ القدم كطريق للتجارة بين الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر . وما زال موقع المنطقة يحتل مكانة مرموقة كمنطقة حدودية بوجود منفذ الحديثة بها على الحدود الأردنية كأكبر منفذ بري في الشرق الأوسط . وتقدر مساحة منطقة الجوف ٢٥٨٠٠٠ كم^٢ يقطنها زهاء ٢٨٠٠٠٠ نسمة وأكبر مدنها سكاكا -

القريات - دومة الجندل والأخيرة حملت اسم الجوف قديماً . ومركز الشويحطيه بالجوف يعتبر وفقاً للكشوفات الأثرية الحديثة أقدم منطقة تجمع سكني بالجزيرة العربية وربما العالم قاطبة . والزائر لمنطقة الجوف يلفت انتباهه آثارها التاريخية التي تقيم الدليل والحج على الماضي العريق لهذه المنطقة وأهم هذه المعالم: مسجد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وحصن مارد بدومة الجندل الذي قالت فيه الزبى عبارتها المشهورة عندما استعصى الحصن عليها، «تمرد مارد وعز الأبلق» والآخر حصن بتيما . وسوق دومة الجندل الذي ما تزال بعض آثاره قائمه حتى الآن يعد أول سوق للعرب وكانت تفد إليه

ومنطقة الجوف إلى جانب أهميتها كمنطقة رعويه هامة بها العديد من المحميات للحياة الفطرية، ومركز لأبحاث تنمية المراعي والثروة الحيوانية تعتبر أحد اكبر المراكز على مستوى العالم العربي فهي تكتسب أهمية زراعية خاصة ، ابرز من فرصها لتكون سلة الغذاء بالملكة

وفي مدينة سكاكا هناك (قلعة زعبل) و(تل الساعي) و(بئر سيسره) وعلى مقربة من المدينة وإلى الجنوب منها آثار (الرجاجيل) وهي عبارة عن أعمدة صخرية ضخمة يزيد طول الواحد منها على ثلاثة أمتار ويقارب عددها الخمسين عموداً . وهناك بمحافظة القريات (قلعة كاف/ تل الصعيدي) وغيرها من الشواهد الأثرية هنا وهناك .

ومع رعيه هامة بها العديد من المحميات للحياة الفطرية، ومركز لأبحاث تنمية المراعي والثروة الحيوانية تعتبر أحد اكبر المراكز على مستوى العالم العربي فهي تكتسب أهمية زراعية خاصة ، ابرز من فرصها لتكون سلة الغذاء بالملكة



الزراعة في البيوت



- مسجد عمر بن الخطاب بنومة الجندل.

ملاعة جوها وخصوبة تربتها
وغزارة وعذوبة مياهها لا
سيما في موقع «بسيطا» حيث
المشاريع والشركات الزراعية
العملاقة، ومنطقة الجوف
شأنها شأن سائر مناطق
المملكة تشهد نهضة حضارية
على مختلف الميادين حيث
آلاف المنشآت التجارية
وعشرات المصانع، وتشهد
المنطقة فيما تشهده من نهضة
شاملة حركة تجارية وصناعية
نشطة وبها العديد من الفرص
التي تنبئ بمكانة اقتصادية
مرموقة. وصناعة السياحة
بها ستكون رائجة للمستثمر
والزائر لاتساع مساحة
التاريخ وشواهد الجوف
وحيث الماء والخضرة والوجه
الحسن للجوفيين الذين لا يقل
احتفاهم بزائرهم عن
اعتدادهم بمنطقتهم.

ويعد مركز تأهيل المعاقين
في الجوف الذي انشأه الأمير
عبد الرحمن السديري عام
١٤١٦هـ ثاني اكبر مركز بعد
مركز جمعية الاطفال المعاقين
في الرياض. وهذا العمل
يأتي ضمن منظومة العطاءات
الثرة التي تشكل حاضـر
الجوف الزاهر في خط مواز
ومناظر لماضيها العريق
وتاريخها المجيد.

نحوته بين مقاصد الشريعة وجزيئات النصوص

الموازنة بين مقاصد الشريعة وجزيئات النصوص

استقراء الشريعة والنظر في أدلتها الكلية والجزيئية فليس ذلك مقصوراً على نص واحد، أو واقعة خاصة، بل الشريعة كلها دائرة على ذلك.

وذكر الشاطبي قاعدة مهمة هي: أن الأصل في العبادات - بالنسبة إلى المكلف - التعبد دون الالتفات إلى المعاني، وأصل العبادات (المعاملات) (الالتفات إلى المعاني) وأقام على ذلك أدلة ناصعة لا يتسع المجال لذكرها هنا.

ومن التيسير اللازم: الموازنة بين أمرين مهمين: مراعاة مقاصد الشريعة الكلية. ومراعاة النصوص الجزئية. فمن المعروف أن هناك مدارس ثلاثاً في هذه القضية، طرفين ووسطاً.

١ - المدرسة الأولى التي تأخذ بظواهر النصوص الجزئية. وتتغفل المقاصد الكلية للشريعة، وهم الذين أسمهم (الظاهرية الجدد).

٢ - المدرسة الثانية التي تنظر إلى المصالح والمقاصد الكلية مغفلة النصوص الجزئية من محكمات القرآن والسنة، وتزعم أن عمر بن الخطاب عطل النصوص من أجل المصالح، وهو زعم خاطيء ردنا عليه في موضعه.



بقلم المفكر الاسلامي الكبير
/ د /
يوسف القرضاوي

٣ - المدرسة الثالثة الوسطية، التي تنظر إلى النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية، فلا تهمل هذه ولا تلك، بل تجمع بينها في توازن واتساق.

وقد قرر المحققون من علماء الإسلام أن أحكام الشريعة إنما شرعت لمصالح العباد في المعاش والمعاد، سواء أكانت هذه المصالح ضرورية أم حاجية أم تحسينية.

ودليل ذلك كما قال الإمام الشاطبي - هو

والخلاصة: أن مقاصد الشريعة إنما هي جلب الخيرات والمصالح للناس، ودرء الشرور والمفاسد عنهم، وهذا ما ركز عليه الشاطبي، في (موافقاته) وجعل العلم به والتفقه فيه سبباً للاجتهاد، لا مجرد شرط له.

وهذا ما يتضح لنا في فقه الصحابة - رضي الله عنهم - وخصوصاً الخلفاء الراشدين والعبادلة، ومعاًذاً، وغيرهم، فإنهم لم يغلوا المقاصد في فقههم وقتاؤاهم.

وهذا هو سر توقف عمر - رضي الله عنه - ومن معه في قسمة أرض السودان، وعدم توزيعها على الفاتحين، ووقفها على أجيال المسلمين، وفي هذا

بحكم شرعي وإنما هو مما أدخله الناس في الشريعة بالاجتهاد والتأويل.

وقد يستدل هنا بقول ابن القيم الذي نقلناه من قبل: «الشريعة عدل كلها، رحمة كلها، حكمة كلها، مصلحة كلها»... الخ.

أضرب لذلك بعض الأمثلة حتى يتضح الموضوع.

❖ قضية ميراث البنات والعصبات:

فقد أثار الصحفي الشهير الاستاذ أحمد بهاء الدين قضية شغلت الناس، وهي ميراث البنت أو البنات من أبيهن المتوفى، حيث إن الحكم الشرعي المعروف هنا هو: أن للبنت الواحدة نصف التركة وللبنتين فأكثر الثلثين، وإذا كانت هناك زوجة كان لها الثمن، أو أم فلها السدس والباقي للعصبة. وأخذ هذا الحكم وحده منفصلاً عن سائر الأحكام الأخرى المرتبطة به، وفي ظل الأوضاع الحالية القائمة عملياً على أساس الأسرة الضيقة المنفصلة عن العصبة والأرحام، والذي لا يفكر أحدهم في قريبة - أخيه أو عمه - إلا يوم يموت، ويدع تركه، ويكون له فيها نصيباً أقول: أخذ هذا الحكم الجزئي بهذه الصورة يظلم الشريعة، ويفوت على الناظر معرفة الحكمة المقصودة من وراء هذا الحكم من أحكام الميراث.

إن الشريعة تعمل على إيجاد الأسرة الموسعة الممتدة المتواصلة، التي تضبط صلاتها شبكة من الأحكام، تجعل بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.

بعض هذه الأحكام يتعلق بنظام النفقات، حيث يلزم المוסر بالنفقة على قريبه المعسر، وبعضها يتعلق بالولاية، وبعضها يتعلق بالمسؤولية الجنائية في تحمل الدية ونحوها، وبعضها يتعلق بالإرث. وهي أحكام يكمل بعضها بعضاً.

وكما أن القريب يمكن أن يرث من أخيه المتوفى - أبي البنات - فيفتم، فهو يمكن أن يلزم بالنفقة على بنات أخيه، فيغرم. والعدل أن يكون المغنم بالمغرم [٢٣].

قال: عمر لمن خالفه من الصحابة: «أخشى أن يبقى آخر الناس لا شيء لهم» [١٩] وقال: «إني أريد أمراً يسع أول الناس وآخرهم» كما رواه أبو يوسف في الخراج وأبو عبيد في (الأموال) وغيرهما [٢٠]، وكذلك موقف عثمان في التقاط ضالة الأبل - مع ورود الحديث في النهي عن التقاطها [٢١] - وموقف علي في تضمين الصناع قيمة ما يهلك في أيديهم من أشياء وقوله: «لا يصلح الناس إلا ذاك» مع أن الأصل أن يدهم يد أمانة.

ويسير في هذا الاتجاه موقف معاذ في قبوله المنسوجات اليمنية، بديلاً للذرة والشعير وغيرهما من الحبوب في الصدقة، وقوله في ذلك: «إيتوني بعرض ثياب - خميمص أو لبيس - في الصدقة مكان الذرة والشعير، فإنه أهون عليكم وخير لأصحاب النبي بالمدينة» [٢٢] وسياقي الحديث عن ذلك.

ضرورة معرفة المقاصد لدراس الشريعة:

وأود أن أؤكد أن معرفة المقاصد والعلل للأحكام الشرعية ضرورة لا بد منها لمن يريد أن يدرس الشريعة، ويتعرف على حقيقة مواقفها وأسرارها. ولا بد له من إطالة الدراسة والتأمل في ذلك قبل أن يثبت أو ينفي أن للشريعة مقصداً أو حكمة في هذا الحكم أو ذلك. والا وقع في الخطأ المؤكد، ونفى حيث يجب الإثبات، أو أثبت حيث يجب النفي.

وقد تكون الحكمة أو المقصد الشرعي المتوخى من وراء الحكم واضحاً جلياً، وهذا لا إشكال فيه، وقد يدق ويخفى، إلا على أهل البصيرة الراسخين في العلم، الذين ينظرون إلى الأحكام نظرة شاملة مستوعبة يجمعون بها بين المتفرقات، ويدركون بها حكمة الشرع فيما أمر ونهى، وفيما أبطل وأجاز.

إن الجهل بمقصد الحكم الشرعي قد يدفع بعض الناس إلى إنكاره، لاعتقاده بأن الشارع لا يشرع شيئاً إلا لمصلحة الخلق، أفراداً وجماعات، فإذا لم يتعلق بالحكم مصلحة معتبرة، أو كان منافياً للمصلحة، اعتبر ذلك دليلاً على أنه ليس

بيان أهمية الآداب المشتركة التي جاءت بها السنة
المحمدية، ينبغي الاطلاع عليه. ففيه نفع
كبير [٢٧].

وما يجب تأكيده هنا:

أن تقرير مقاصد الشريعة وتأكيدها، ينافي ما
ذهب اليه بعض الفقهاء من تجويز (الحيل) في
بعض الأحكام التي تستوفي صورتها الشكلية في
الظاهر، ولكنها لا تحقق مقصد الشارع من
شرعتها.

وقد استدل الإمام البخاري على إبطال الحيل
بالحديث المشهور: «إنما الاعمال بالنيات، وإنما
لكل امرئ ما نوى»، كما استدل بما جاء في
أحاديث الصدقة: «لا يفرق بين مجتمع، ولا يجمع
بين متفرق، خشية الصدقة».

ففي زكاة الأنعام كالغنم مثلاً، إذا كان هناك
اثنتان يملك كل منهما أربعين شاة، فقد ملك نصيباً
فعليه فيه شاة، فإذا خلطا غنهما، لم يجب عليهما
إلا شاة واحدة، حسب مقدار الواجب في الغنم.
فلا يجوز هذا الخلط أو الجمع إذا كان المقصود
منه تقليل الواجب في الصدقة. كما لا يجوز
للعامل على الصدقة أن يفرق بين المجتمع والمخلوط
من الغنم، ليوجب فيه زيادة.

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً سماه
«إقامة الدليل على بطلان التحليل» وهو الذي جاء
فيه الحديث: «لعن الله المحلل والمحلل له» وأطال
النفس فيه في بيان إبطال الشرع للحيل، ومنافاتها
للمقاصد، كما أطال تلميذه العلامة المحقق ابن
القيم في بيان ذلك بالأدلة الشافعية في أكثر من
كتاب من كتبه، وخصوصاً في «اعلام الموقعين عن
رب العالمين» وفي «إغاثة اللهفان من مكاييد
الشیطان».

وقد نسب إلى الإمام أبي يوسف أكبر اصحاب
أبي حنيفة أنه يجيز الحيلة في التهرب من الزكاة،
كأن يأتي في آخر الحول، ويهب المال لأمرائه أو
ابنه مثلاً، ثم يستوهبه منها مرة أخرى، وبهذا لا
يستكمل النصاب شرط الحول، فلا يجب فيه
الزكاة!

«الآكل باليمين»

ومثل آخر هو الأكل باليمين، أو الشرب باليمين،
وتشديد السنة النبوية في ذلك، حتى جاء في
الحديث الصحيح: «لا يأكل أحدكم بشماله، ولا
يشرب بشماله، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب
بشماله» [٢٤]، وفي الحديث المتفق عليه: «سم الله
وكل بيمينك» [٢٥].

وفي حديث آخر: أنه (صلى الله عليه وسلم)
دعا من أمره بالأكل باليمين، فقال: لا استطيع
فقال: «لا استطعت» وما منعه إلا الكبير [٢٦]. فمن
الناس من زعم أن هذه عادات تختلف فيها
الشعوب والأقوام، ولا صلة للدين بها. ولا يعنى
الدين أن تاكل باليمين أو بالشمال.

وهذا ليس بصحيح في هذه القضية خاصة.
قد يصح هذا في شأن الأكل على الأرض أو
على منضدة، باليد مباشرة أو بالمعلقة والشوكة،
ونحو ذلك، مما هو أقرب إلى العادات المحضة،
ولذا لم يرد فيه أمر ولا نهي. أما مسألة الأكل
والشرب باليمين، فتختلف عن ذلك، وللدين فيها
قصد أكيد، لذلك جاء فيه الأمر والزجر والتشديد.

ومن مفاصل الدين في ذلك:

١ - إقامة آداب مشتركة تميز الأمة المسلمة من
غيرها، وتجسد وحدتها العملية في تقاليد وأعمال
يومية متكررة. وهذا ما تحرص عليه الأمم
العريقة، وتغرسه في عقول أبنائها بالتربية
والتثقيف.

٢ - تخصيص اليمين بالطيب والمحمود من
الأعمال كالأكل والشرب والمصافحة، والمضغمة،
ونحوها، في حين تكون الشمال للأعمال الأخرى
مثل الاستنجاء.

٣ - تثبيت فكرة التيامن في كل الأمور، التي دعا
إليها النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومارسها
بالفعل، فقد كان يحب التيامن في كل شيء: في
تنعله وترجله وطهوره، وللاستاذ محمد اسد في
كتابه «الاسلام على مفترق الطرق» بحث قيم في

الزمر، لأنها تصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، وهؤلاء تصدهم الزمر عن سفك الدماء، ونهب الأموال.

ونلاحظ في كلام الامام ابن تيمية هنا أمرين، كلاهما غاية في الأهمية:

الأول: تغيير فتواه بتغيير حال المفتي في أمرهم.
الثاني: مراعاة مقاصد الشريعة في التحريم والتحليل، وعدم الوقوف عند ظواهر النصوص وحدها، فهو سكت عن المنكر، مخافة منكر أكبر منه.

وما أحوج الذين يدعون الانتساب إليه وإلى مدرسته في عصزنا إلى أن يحفظوا كلمته هنا ويعوها، حتى لا يجمدوا على الظواهر، ويغفلوا المقاصد والأسرار.

وقد حكوا عن الامام ابي محمد بن أبي زيد القيرواني، صاحب (الرسالة) المشهورة في الفقه المالكي، وأحد أعلام العلم والعمل في عصره، أنه اتخذ كلبا لحراسة داره، وقد كانت في طرف المدينة، فلما انكر عليه بعض الناس ذلك قائلًا له: كيف تتخذ كلبا للحراسة، ومالك قد كرهه؟! فقال: لو كان مالك في زماننا لاتخذ أسدا ضاريا!

وحياتنا المعاصرة - بما فيها من تعقيدات ومشكلات لا تنتهي، كثير منها لم يخطر ببال السابقين من علمائنا - تحتاج من فقيه اليوم أن يقابلها باجتهاد جديد، بعضه انتقائي، وذلك فيما اختلف فيه علمائنا من قبل واختيار بعض الأقوال الملائمة منه، في ضوء الأدلة والاعتبارات الشرعية، وبعضه انشائي ابداعي، وذلك في المسائل الجديدة التي لم يعرفها الفقه القديم، وما أكثرها.

فلا بد أن يكون الفقه مادة حية مرنة، تتسع لكل حاجات العصر، وتغيرات الحياة المتجددة... وإذا كانت الشريعة - بنصوصها المحكمة، وقواعدها الكلية، وأحكامها القطعية - ثابتة لا تتغير، فإن الفقه - الذي يعكس فهما البشري لها، واستنباطنا الأحكام من أدلتها التفصيلية - يتغير بتغيرنا نحن البشر: زمانا ومكانا وحالا. ويجب أن يظهر هذا التغيير إذا عرضناه في صورة تأليف أو فتوى أو

وقد رددنا على هذا في كتابنا «فقه الزكاة» وبيننا أن أبا يوسف نص على عكس ذلك في كتابه الشهير «الخراج» الذي ألفه للخليفة الرشيد، وقال فيه: «لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر منع الصدقة، ولا إخراجها من ملكه إلى ملك جماعة غيره، ليفرقها بذلك فتبطل الصدقة عنها... ولا يحال في إبطال الصدقة بوجه ولا سبب» [٢٨].
وذهب الحنابلة والمالكية إلى تحريم هذه الحيل دينا، وإبطال أثرها قضاء وقانونا، وهذا هو الصحيح [٢٩].

ملاحظة تفسير الفتوى بتفسير الزمان

والهكان والنعال:

ومن جوانب التيسير اللازمة والمهمة: مراعاة تفسير الفتوى بتفسير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد، وعدم الجمود على المسطور في الكتب من أقوال، كانت تمثل زمنها، وهذا ما نبه عليه المحققون، وقامت على صحته الأدلة الشرعية.

ولعل أشهر من كتب في ذلك، وذاعت عبارته في الأفاق، هو الامام ابن قيم الجوزية، في كتابه الشهير (اعلام الموقعين) الذي عقد لذلك فصلا ممتعا، بدأه بقوله: «هذا فصل عظيم النفع جدا، وقع - بسبب الجهل به - غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل إليه، ما يعلم أن الشريعة الباهرة - التي في أعلى رتب المصالح - لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد، في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها ومصالح كلها، وحكمة كلها.

فكل مسألة خرجت عن العدالة الى الجور، وعن الرحمة الى ضدها، وعن المصلحة الى المفسدة، وعن الحكمة الى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل» [٣٠].

ومما ذكره هنا عن شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية: انه مر على جماعة من التتار في دمشق، وهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم بعض أصحابه فقال الشيخ رحمه الله: دعهم، فانما حرم الله

مكانهم، وعشنا في زمانهم، لحكمنا بما حكموا، فليس من السهل أن يتجاوز الإنسان مكانه وزمانه.

أضرب لذلك مثلاً، أقصى مدة زمن الحمل، فقد ذكر بعض الفقهاء أن أقصى زمن الحمل سنتان، وذكر بعضهم أربع سنوات، وبعضهم خمس سنوات... إلى سبع سنوات. وما أدلتهم في ذلك؟ استدل بعضهم بقول عائشة رضي الله عنها: لا يبقى الحمل في بطن أمه أكثر من سنتين، ولو بفكرة مغزل. ولا أدري مدى صحة سند هذا القول وثبوته عن عائشة؟ وبفرض أنه صحيح الثبوت، فماذا يعني؟

قالوا: إنه موقوف له حكم المرفوع؟ فلا بد أنها سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك مما لا مجال للرأي فيه. وهذا كله غير مسلم، فهذا مما يتسع فيه المجال للرأي، ولهذا اختلفت فيه الآراء اختلافاً كبيراً، وعائشة بنت هذا على ما سمعته وعرفته من أقوال النساء حولها. والجزم بأنها لابد أن تكون سمعت ذلك من الرسول المعصوم دعوى بلا برهان.

ولهذا لما قيل ذلك للامام مالك، وأن أقصى الحمل سنتان، قال: سبحان الله! من يقول هذا؟ هذه جارتنا امرأة محمد بن عجلان، امرأة صدق، وزوجها رجل صدق، حملت ثلاثة أبطن في اثنتي عشرة سنة، تحمل كل بطن أربع سنين [٢١].

فاستدل امام دار الهجرة بما تقوله النساء: وهو معذور في تصديق هذه المرأة وأمثالها، ما دامت معروفة بالصدق، ولم يكن بها أحد ممن حولها.

والمرأة معذورة أيضاً، أنها في الواقع ليست كاذبة، ولكنها متوهمة، تتوهم أنها حامل وهي غير حامل، وهذه حالة معروفة مشهورة للطب الآن، وتكرر كثيراً، ويسمونها الأطباء المختصون (الحمل الكاذب) وهو شيء تظهر على المرأة فيه كل أعراض الحمل المعروف، من انتفاخ البطن، والشعور بالغثيان والقيء، وتقلص عضلات البطن ونحوها، بما يشبه حركة الجنين في البطن، يظهر

قضاء. ففرق ما بين الشريعة والفقه: أن الشريعة وحي الله، والفقه عمل العقل الاسلامي في ضوء الوحي.

وإذا كان كثير من الخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه: أبي يوسف ومحمد قيل فيه: إنه اختلاف عصر وزمان لا اختلاف حجة وبرهان، وإن الامام لو رأى ما رآه لقال بما قاله - مع قرب الزمن بينهما - فكيف وبيننا وبين عصور الاجتهاد قرون وقرون؟!.

وكذلك كان للشافعي مذهبان: قديم قبل وصوله الى مصر، وجديد بعد استقراره في مصر، وقد رأى فيها ما لم يكن رأي، وسمع ما لم يكن سمع، بالإضافة إلى نضج السن والتجربة، فغير اجتهاده في كثير من الأمور. وأصبح مالوكاً أن يقال: قال في القديم، وقال في الجديد.

هذا وقد ظلت الحياة في عصورهم ساكنة لا يكاد يتغير لاحقها عن سابقها، الا قليلاً فكيف وعصرنا الحديث قد تغيرت فيه شؤون الحياة عما كانت عليه، تغيراً كبيراً بل هائلاً وسريعاً، امتد طويلاً وعرضاً، وعمقا، وشمل شؤون الفرد والأسرة والمجتمع والعالم في أموره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية والدستورية وعلاقاته الدولية.

ولو افترضنا أحداً من أهل القرون الماضية - بل من أهل القرن الماضي فقط - بعث من قبره، ورأى ما نحن عليه اليوم، لأنكر كل شيء في حياة الناس ولاتهم نفسه بالجنون، أو اتهم الناس كلهم بالجنون.

وهذا التغير الجذري يقتضي فقهاً جديداً، واجتهاداً جديداً، يتحرك بحركة الحياة، ولكن لا ينزلق معها... بل يضبطها بشرع الله وحكمه، «ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون».

ومن أسباب تغير الفتوى في زمننا توافر معلومات لنا لم تتوافر لعلمائنا السابقين، فهم بنوا حكمهم على ما كان لديهم من علم. ونحن نعتقد أنهم لو توافر لهم ما توافر لنا من معلومات لغيروا رأيهم، واقتوا بما نفتي به الآن، كما أننا لو كنا

بل أجاز عمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة وأصحابه وآخرون إخراج قيمة الطعام من النقود، بل رجح بعضهم ذلك إذا كان أنفع للفقراء. وحجتهم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر بإغنائهم عن السؤال في يوم العيد، والإغناء يتحقق بإعطاء القيمة كما يتحقق بإعطاء الطعام، وربما كان الإغناء بالقيمة أولى وأوفى [٢٢].

وفي بعض الأحوال في عصرنا كالمدن الكبرى مثل القاهرة وأستانبول وغيرها يكون إخراج الحبوب كالقمح والشعير، منافيا لمقصد الشارع تماما، لأنه لا ينتفع به ولا يتحقق به إغناء في ذلك اليوم، ويضطر إلى بيعه بأخس الأثمان، إن وجد من يشتريه منه! مع ما فيه من حرج على المعطي أيضا.

ولقد كان العلامة ابن القيم موفقا في عبارته، حين جعل الذي يتغير بتغير موجباته هو الفتوى وليس حكم الشرع، فالحكم لا يتغير، وإنما الفتوى - وهي تنزيل الحكم على الواقعة - هي التي تتغير. إن عمر - رضي الله عنه - حين أبى أن يعطي الزكاة قوما كانوا من «المؤلفة قلوبهم» في عصر الرسول وقال: «إن الله أعز الإسلام وأغنى عنهم» لم يغير بذلك حكما شرعيا ولم يعطل نصا قرانيا، كما قد يفهم بعض الناس، ولكنه غير الفتوى بتغير الزمن والحال عن عهد الرسول، فلم يعد عيينة بن حصن، ولا الأقرع بن حابس وأضرابهما من الطامعين، ممن يحتاج الإسلام ودولته إلى تأليف قلوبهم، بعد أن انتصر على أكبر دولتين في الأرض: فارس والروم! ولم يكتب الرسول (صلى الله عليه وسلم) صكا لهؤلاء ببقيهم مؤلفة إلى الأبد، والمؤلف هو الذي يرى الإمام تأليفه، فإذا لم ير تأليف شخص أو أناس بأعيانهم، أو لم ير التأليف مطلقا في عهده، لعدم الحاجة إليه، أو لأن هناك مصارف أهم منه، فهذا من حقه، ولا يكون ذلك إسقاطا لسهم المؤلفة إلى الأبد، كما فهم بعض الحنفية وغيرهم، ولا تعطيل للنص، كما ظن بعض المعاصرين، فإن عمر والأمة كلها لا تملك تعطيل نص صريح من كتاب الله، ولكنه رأى

ذلك كله مع وجود الرغبة الشديدة في الحمل، والشوق إليه والتعلق به، فيحدث ذلك كله حالة جسمية ونفسية كحالة الحامل الحقيقية تماما. ولكن بالكشف عليها الآن بأبوات الكشف الجديدة من الملمس والتحليل والتصوير بالأشعة ونحوها، يجزم الطبيب المختص أنها غير حامل قطعا.

والعجيب هنا أن المرأة قد تظل على هذه الحالة سنة أو سنتين مثلا، ثم يشاء الله أن تحمل في نهاية المدة حملا صادقا، فتظنه امتدادا للحمل الكاذب، وتحسب المدة كلها على هذا الحمل، وتلد بعد سنتين أو ثلاث أو أربع، فيصدقها الناس، وأن دعواها من أول الأمر لم تكن كذبا وزورا.

ماذا كان يمكن أن يفعل الفقيه وهو يسمع هذه القصص تحكى له من هنا وهناك من أناس ثقاة عن نسوة صالحات؟

رعاية المقاصد وتفسير الفتوى:

وهنا ملاحظة مهمة وهي: ارتباط رعاية العلل والمقاصد - التي شرعت لها الأحكام - بما قرره علماء الأمة منذ عصر الصحابة، من وجوب تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف والحال. بل بدأ هذا منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم). ولهذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقبل من بعض أصحابه ما لا يقبل من البعض الآخر، ويسامح أهل البادية فيما لا يسامح أهل الحضر، كالأعرابي الذي بال في المسجد.

ولهذا فرض زكاة الفطر من الأطعمة، لأنها كانت أيسر على المعطي وأنفع للآخذ، ولو كلفهم بدفع النقود لكلفهم عسرا.

وكان يأمرهم بإخراجها بعد صلاة الصبح وقبل صلاة العيد، لسهولة ذلك عليهم ومعرفتهم بالمحتاجين وقربهم منهم، لقلة العدد، وبساطة المجتمع.

وفي عهد الأئمة أجاز بعضهم إخراجها من منتصف رمضان أو من أول رمضان، كما أجازوا إخراج غالب قوت البلد، وإن لم يكن من الأطعمة المنصوص عليها.

فلم يتجاوز به موضعه. ولهذا اشترط الأصاويون في المجتهد: أن يكون عالما بمدارك الأحكام ومقاصد الشريعة، وأن يكون أيضا عالما بمصالح الناس في عصره. وهذا حق فإن من حصل كثيرا من العلم ووسائل الاجتهاد، ولكنه يعيش في برج عاجي، أو صومعة منعزلة، غافلا عن مصالح المجتمع ومفاسده، وما يدور في العقول من أفكار، وفي الأنفس من نوازع، وفي الحياة من وقائع وتيارات... مثل هذا - على علمه - لا يعد من أهل الاجتهاد والفتيا والحكم في شريعة الاسلام.

وهذا يوجب على رجال الفقه في عصرنا أن يفرسوا الكتب القديمة، لينتقوا منها ما يصلح لزمانهم ويثبتهم، ويدعوا ما كان معبرا عن زمن انقضى، وبيئة تغيرت، وعرف انتهى، لأنها ارتبطت ببيئة لم تعد قائمة، والمعلول ينور مع علته وجودا وعدمًا.

يقول الإمام القرافي في كتابه (الاحكام):

«ليس كل الأحكام - يعني الاجتهادية - يجوز العمل بها، ولا كل الفتاوى الصادرة عن المجتهدين يجوز التقليد فيها، بل في كل مذهب مسائل، إذا حقق النظر فيها، امتنع تقليد ذلك الإمام فيها» [٢٦].

«إن استمرار الاحكام التي مدرکہا العوائد - مع تغير تلك العوائد - خلاف الاجماع، وجهالة في الدين» [٢٧].

وقال في كتابه «الفروق»: «فمهما تجدد من العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمر!... والجمود على المنقولات أبدا ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين، والسلف الماضين» [٢٨].

«كل شيء أفتى فيه المجتهد فخرجت فتياه على خلاف الإجماع أو القواعد أو النص أو القياس الجلي السالم عن المعارض الراجح لا يجوز لمقلده أن ينقله للناس، ولا يفتي به في دين الله تعالى، فإن هذا الحكم لو حكم به حاكم لنقضناه، وما لانقره شرعا بعد تقررہ بحكم الحاكم أولى أن لانقره شرعا إذا لم يتأكد، فلا نقره شرعا، والفتيا

مصلحة المسلمين في عصره، أن يسد الطريق على الطامعين في أموال الزكاة باسم التأليف، ولم يرد عنه ما يمنع من التأليف وإعطاء المؤلف عند الحاجة واقتضاء المصلحة» [٢٩].

إن عمل عمر هذا مثال جيد لاعتبار المصلحة المرسله، وسد الزريعة إلى المفسدة، وهو مثال جيد كذلك لتغير الفتوى بتغير الأزمان والأحوال.

ومما غير عمر فيه الفتوى بتغير الحال: زكاة الخيل، فقد جاءه أناس من الشام يريدون إعطاء الزكاة منها، فتردد في ذلك، لأنه أمر لم يفعله الرسول ولا أبو بكر، ثم جاء أنه أوجب الزكاة في الخيل في قصة يعلى بن أمية وأخيه، حين وجد الفرس يبلغ ثمنها مائة ناقة! مستدلا بقياس الأولى، وهو نوع من مراعاة المقاصد والمصالح والعدل الذي قامت عليه الشريعة.

ومن الأمثلة التي تذكر هنا من تغير الفتوى بتغير المكان والحال: أن معاذ بن جبل حين بعثه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى اليمن وأمره أن يأخذ الزكاة من أغنيائهم ويردها على فقرائهم، كان مما أوصاه به «خذ الحب من الحب، والشاة من الغنم، والبعير من الابل» ولكن لم يفهم هذه الوصية إلا أنها تيسير على الناس، وأن هذا ما يطالبون به، فلما وجد الايسر عليهم أن يدفعوا القيمة رحب بذلك، لما فيه من الرفق بهم، والنفع لمن وراءهم بالمدينة، عاصمة الإسلام، إذا فضل شيء عنهم وأرسله إلى هناك، ففي خطبة معاذ باليمن قال: «أتتوني بخميس أو لبيس (ملابس من صنعهم) أخذهم منكم مكان الذرة والشعير فإنه أهون عليكم وأنفع للمهاجرين بالمدينة» [٣٤].

فاعتبار المصلحة ورعاية مقصد الشارع من الزكاة هو الذي جعل معاذًا - وهو أعلم الصحابة بالاحلال والاحرام كما في الحديث [٣٥] يؤثر أخذ القيمة «ثياب يمنية» بدلا من الحبوب، مع ما يظن من مخالفته ظاهر الحديث الآخر، وما كان لمعاذ أن يخالف حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي جعل اجتهاده في المرتبة الثالثة بعد الكتاب والسنة. ولكنه أدرك مقصود الحديث

«وقد اختلفوا متى انسد باب الاجتهاد؟ على أقوال، ما أنزل الله بها من سلطان قيل: بعد مائتين من الهجرة، وقيل: بعد الشافعي، وقيل بعد الأوزاعي وسفيان؛ وعندهم أن الأرض قد خلت من قائم بحجة الله ينظر في الكتاب والسنة، ويأخذ الأحكام، ولا يفتي أحد بما فيها إلا بعد عرضه على قول مقلده، فإن وافقه حكم وأفتى، وإلا ردها وهذه أقوال فاسدة، فإنه إن وقعت حادثه غير منصوص عليها، أو فيها خلاف بين السلف، فلا بد فيها من الاجتهاد من كتاب أو سنة. وما يقول سوى هذا إلا صاحب هذين» [٤١].

الهوامش:

- (١٩) البخاري مع الفتح (١٣٨: ٦: ٨: ٣٤٤) ونكره يحيى ابن آدم في الخراج بتحقيق أحمد شاكر ص ٤٤.
- (٢٠) الخراج لأبي يوسف ص ٢٢، ٢٤ ط السلفية والأموال ص ٥٨ هـ ٥٩ ط السنة المصيبة.
- (٢١) انظر: كتابنا: شريعة الاسلام ص ١١٦ - ١١٨ طبعة (دار الصمحة) الثانية.
- (٢٢) رواء البخاري مطلقا مجزؤا به في كتاب الزكاة من صحيحه عن طائفة، ووصله يحيى بن آدم في الخراج برقم (٥٦١) والبيهقي في السنن الكبرى (١١٢: ٤) وانظر: فقه الزكاة (٨٥٣/٢) وما بعدها (الطبعة الحادية والعشرين) مكتبة وبعية.
- (٢٣) انظر: كتابنا «مدخل لدراسة الشريعة الاسلامية» ص ٨٢ وما بعدها.
- (٢٤) رواء مسلم بمعناه عن جابر (٢٠١٩) وعن ابن عمر (٢٠٢٠).
- (٢٥) منقول عليه عن عمر بن أبي سلمة. (الذوال ورمضان: ١٣١٢).
- (٢٦) رواء مسلم عن سلمة بن الأكوع (٢٠٢١).
- (٢٧) فصل «روح السنة» وانظر كتابنا «كيف تتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط» نشر دار الوفاء - القاهرة.
- (٢٨) الخراج لأبي يوسف، ص ٨، ط. السلفية.
- (٢٩) انظر فقه الزكاة، ج ٢، ص ١٠٧٨ وما بعدها.
- (٣٠) اعلام الموقعين: ج ٣، ص ١٤ - ١٥.
- (٣١) رواء البيهقي في سننه (٧: ٤٤٣).
- (٣٢) من أراد التوسع في الموضوع فليراجعه في باب (زكاة الفطر) من كتابنا (فقه الزكاة).
- (٣٣) راجع هذا المبحث بتفصيل في «باب مصارف الزكاة» فصل المؤلفات قديمه.
- (٣٤) راجع هذا المبحث بتفصيل في فقه الزكاة «باب طريقة اداء الزكاة» فصل اخراج القيمة.
- (٣٥) رواء الترمذي (٣٧٩٣) عن أنس: «أرحم أمتي يا ربك، وأشدهم في أمر الله عمر». وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل» وقال الترمذي: حسن صحيح، كما رواء ابن ماجه (١٥٤).
- (٣٦) ص ١٢٩ ط بتحقيق عبد الفتاح أبي غدة في جواب السؤال التاسع.
- (٣٧) المصدر السابق ص ٢٣١.
- (٣٨) الفرق ج ١، ص ١٧٦، ١٧٧.
- (٣٩) رواء الشيخان من حديث عمرو بن العاص (الذوال ورمضان: ١١١٨).
- (٤٠) الفرق ج ٢، ص ١٠٩ - ١١٠.
- (٤١) انظر: قواعد الاحكام في مصالح الأئام.

بغير شرع حرام، فالفتيا بهذا الحكم حرام، وإن كان الإمام المجتهد غير عاص به، بل مثابا عليه، لأنه بذل جهده على حسب ما أمر به، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران» [٣٩].

فعلی هذا يجب على أهل العصر تنقذ مذهبهم، فكل ما وجدوه من هذا النوع يحرم عليهم به. ولا يعرى مذهب من المذاهب عنه، لكنه قد يقل وقد يكثر، غير أنه لا يقدر أن يعلم هذا في مذهب إلا من عرف القواعد، والقياس الجلي، والنص الصريح، وعدم المعارض لذلك، ولذلك يعتمد على تحصيل اصول الفقه، والتبحر في الفقه، فإن القواعد ليست مستوعبة في أصول الفقه، بل للشريعة قواعد كثيرة جدا عند أئمة الفتوى والفقهاء، لا توجد في كتب أصول الفقه أصلا، وذلك هو الباعث لي على وضع هذا الكتاب لا ضبط تلك القواعد بحسب طاقتي» [٤٠].

وإذا كان هذا القول في شأن الأقوال والفتاوي الصادرة عن الأئمة المجتهدين، فما بالك بأقوال المقلدين، وفتاوي المتأخرين!!

ولقد اكد القرافي ايضا وبعده ابن القيم، وبعدهما ابن عابدين - بناء على اعتبارات شرعية ذكرناها من قبل - أن لتغير العرف والزمن والحال أثرها في تغير الفتوى وتكييف الاحكام.

وكل هذا يؤيد وجهة نظرنا، في وجوب فحص الأقوال المروية، وخصوصا فيما عدا العبادات، أي في الشئون المدنية والتجارية والإدارية والجنائية والولاية ونحوها - حتى يتكون لنا فقه معاصر جديد مبني على دراسة عميقة قائمة على الموازنة والتجريب.

أما الاعتراض علينا بأن باب الاجتهاد قد اغلق بعد القرن الرابع أو الثالث أو الثاني فهو اعتراض مردود، لأن الذي فتح باب الاجتهاد للأمة هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلا يملك أحد بعد ذلك سده كائنا من كان.

يقول سلطان العلماء الإمام عز الدين بن عبد السلام:

الغزالي وافتتاح

أما نصيب حجة الإسلام الغزالي (٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ / ١١٥٨ - ١١١١م) من اجتراء واقتراء الدكتور نصر ٠٠ فإننا سنكتفى فيه أيضاً بالنظر في أربعة مواضع، ضمنها أربعة مطاعن في الغزالي ومشروعه الفكري، الذي لا يزال فاعلاً حتى الآن في إحياء علوم الدين، لتحيا بها علوم الدنيا عند المسلمين.

١ - يدعي الدكتور نصر على حجة الإسلام الغزالي أنه قد حصر الدين الإسلامي واختزله في الهروب من الدنيا، والخلاص الفردي والنجاة الأخروية. ٠٠ فعنده، أن «تصور الغزالي لغاية الدين ووظيفته تنحصر في الخلاص الفردي والنجاة في الآخرة» [١].

ولست أدري، هل قرأ الدكتور نصر المشروع الفكري العملاق والمتعدد الميادين، والمتوازن في المقاصد والغايات، الذي أبدعه الغزالي ٠٠؟ أم أنه قد اقتصر عبارات الزهد وأهدر السياق الذي جاء فيه ٠٠؟ إن الغزالي مشروع فكري يمثل

ظاهرة مجسدة للعصر الذي عاش فيه، ومن «الخفة الفكرية» اختزال مقاصده على هذا النحو الغريب ٠٠. ولو أن الدكتور نصر قرأ للغزالي قراءة الباحث عن الحقيقة، البريء

في كثير من كتابات الدكتور نصر أبو زيد «اجتراء» غير مألوف على كثير من رموز الأمة الإسلامية ٠٠. والحديث عن «رموز الأمة» لا يعني

إضفاء القدسية على بشر أيا كان دوره وموقعه في تاريخ الإسلام ٠٠. ففي الإسلام لا قدسية لغير الله وآياته ٠٠. ولا عصمة لغير الرسل، عليهم السلام، وحتى عصمة الرسل فهي فيما يبلغونه عن الله، فالعصمة من ضرورات «الرسالة» وليست امتيازاً للجانب البشري المجتهد في الرسل والأنبياء.

لكن لكل دين وفلسفة ووطن وجهاد وأمة «الرموز» التي تمثل «المثل» و«المنارات» الحافزة لأجيال الأمة على الاستباق على طريق الخير والتقدم الذي برزت على دربه هذه «الرموز» فالذين يعرفون قدر الدين وعظيم نعمته، يعرفون أقدار الجيل النبوي الفريد الذي رفع القواعد لهذا الدين، فغير وجه

الدنيا وحول مجرى التاريخ ٠٠. والذين يعرفون قدر الوطن والوطنية، يكونون رموزها الذين

وهبوا حياتهم لتحرير الأوطان وتقديمها ٠٠. والذين يعرفون قيمة العدالة الاجتماعية، يقدرون أبطالها حق قدرهم ٠٠. وهكذا في كل الميادين.

أفكار مثيرة للجدل

(٨٥٧)



بقلم المفكر الإسلامي:
أ. د. محمد عمارة

راءات نصر أبو زيد

السياسي والتفكك الاجتماعي، وسيطرة «العسكر» على شؤون الدولة، وهو العصر الذي انتهى بسقوط بغداد والقضاء على الشكل الرمزي الأخير للدولة الإسلامية[٤]!

هكذا، وفي كلمات معدودات، أهال الدكتور نصر على حجة الاسلام الغزالي كل ركام التخلف والانحطاط الحضاري والتفكك السياسي والاجتماعي والهزيمة العسكرية أمام الأعداء... الأمر الذي جعل هذه الكلمات «مجمعا لكم هائل من الأخطاء»!

أ - فهل حقا وجه الغزالي الضربة القاضية للعقل... أم أنه الذي طعم الأشعرية بجرعة من العقلانية جعلتها - تحل في تمثيلها للعقلانية الإسلامية الوسطية - محل تيار الاعتزال، فيقيم دعائم العقلانية الجامعة - بالوسطية - بين «العقل» و«الشرع»، الرافضة «للحشوية[٥]» - الظاهرية و«لغلو» الفلسفة والاعتزال.

ولو أن الدكتور نصر قرأ تراث الغزالي في العقلانية الإسلامية المؤمنة، وحسنت نيته، لتردد قبل أن يخط قلمه هذا الاجترار والافتراء... بل لو وعى مقاصد الغزالي من هذا النص الذي سنضرب به المثل على مقام ومعنى العقلانية عند الغزالي، لما قال هذا الذي قال... يقول أبو حامد: «إن أهل السنة قد تحققوا أن لا معاندة بين الشرع والمنقول والحق المعقول، وعرفوا أن من ظن من الحشوية وجوب الجمود والتقليد، واتباع الظواهر، ما أتوا إلا من ضعف العقول وقلة البصائر. وأن من تغفل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع، ما أتوا إلا من خيب الضمائر. فميل أولئك إلى التفريط، وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم

من سوء النية، لعلم أن الرجل لم يقف فقط عند الدعوة إلى تأسيس «الدنيا» على «الدين»، بل لقد أبصر أن صلاح الدين وإقامته مرهونان بصلاح الدنيا، ويتوافر الأمن الإنساني فيها على مختلف الحاجات... فهو الذي يقول: «إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا... ونظام الدين، بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات، من: الكسوة، والسكن، والأقوات، والأمن... ولعمري! من أصبح آمنا في سربه معافا في بدنه، وله قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها... فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل، وهما وسيلتاها إلى سعادة الآخرة... فإن، بان أن نظام الدنيا، أعني مقادير الحاجة، شرط لنظام الدين»[٦]!

هل قرأ الدكتور نصر، ووعى هذه الكلمات التي تؤسس نظرية لعلاقة الدين بالدنيا، وتأسيس صلاح الدين على صلاح الدنيا، وجعل نظام الدنيا شرطا لنظام الدين؟!

٢ - ولأن الدكتور نصر سيء الظن بالوسطية الإسلامية، فلقد جمع في كتابته عن الغزالي بين القول بتأسيس الغزالي «لوسطية في مجال الفكر والفلسفة»[٣]، وبين ركام من الاجترار على الغزالي... فهو الذي وجه الضربة القاضية للعقل، وقاد الأمة والخلافة والعصر إلى التفكك والانحيار... «ثم جاء أبو حامد الغزالي ووجه للعقل الضربة القاضية، وليس من الغريب أن يكون العصر الذي شهد خطأ الغزالي وأنصت إليه هو عصر الانحيار

٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ - ١٢٩١م] مع جحافل التتر ضد عالم الاسلام.

لكن يبدو أن أحقاد الدكتور نصر على صاحب (إحياء علوم الدين) قد جعلته يتخلى حتى عن «الجدل المادي الماركسي» الذي لا ينسب الظواهر الكبرى إلى عامل واحد دون سواه.. فقادته الأحقاد إلى تحميل الغزالي كل كوارث التاريخ الاسلامي!

٢- ويتخلى الدكتور نصر - في «هجائه» للغزالي - عن الحد الأدنى من دقة الباحث في تحليله للنصوص - رغم تبه الماركسيين به، «كأحسن من يحلل النصوص»؟! - فيسير مع «الخطأ الشائع» الذي زعم مروجوه عداء أبي حامد للسببية وارتباط الأسباب بالمسببات، فيقول: لقد «انتهى الغزالي إلى إهدار قوانين السببية، ومن هنا جاء الاعتقاد الخطير الذي ساد الخطاب الديني في الثقافة العربية: أن النار لا تحرق، وأن السكين لا تقطع، وأن الله هو الفاعل من وراء كل الأسباب» [٧].. فكانت ضربة الغزالي للعقل، من زاوية تفكيك العلاقة بين الأسباب والنتائج، أو بين العلل ومعلولاتها [٨]..

ونحن نسأل الدكتور نصر:

في الثقافة التي سادت «الخطاب الديني» - على حد تعبيره الأثير - ماذا يقول الإنسان الذي احترق منزله؟

- النار أحرقت المنزل؟ أم: - الله أحرق المنزل؟!

- وماذا يشتري «القصاب» الجزار» ليقطع اللحم؟ - أيشترى سكيناً؟ - أم يرفع إلى السماء طالباً من الله قطع اللحم؟!

إن مأساة الدكتور نصر - أحسن الماركسيين تحليلاً للنصوص - أنه لم يستطع التمييز بين عبارة: «أن الله هو الفاعل من وراء كل الأسباب».. وبين عبارة: «أن الله هو الفاعل دون كل الأسباب».. ففعل الله سبحانه وتعالى، من

والاحتياط.. بل الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد، ملازمة الاقتصاد، والاعتماد على الصراط المستقيم، فكلما طرقي قصد الأمور دميم.. وأنى يستتب الرشاد لمن يقتنع بتقليد الأثر والخبر، ويترك مناهج البحث والنظر، ولا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر، (صلى الله عليه وسلم)، وبرهان العقل هو الذي عُرف به صدقه فيما أخبر؟ وكيف يهتدى للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر؟!

هيئات! قد خاب على القطع والبتات، وتعثر بأثيال الضلالات، من لم يجمع بتأليف العقل والشرع هذا الشتات. فمثال العقل: البصر السليم عن الأفاق والأداء. ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء.. فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء، المستغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل، مكتفياً بنور القرآن، مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان.. فالعقل مع الشرع نور على نور [٦]!

إنها كلمات موزونة بميزان الحكمة العالية، تؤسس نظرية العقلانية الاسلامية، الجامعة بين نور العقل ونور الشرع، والتي تنكب طريقها الأغبياء!.

ب- ثم ٠٠ من علم الدكتور نصر أن عصر الغزالي هو عصر «سيطرة العسكر على شئون الدولة الاسلامية».. إن سيطرة العسكر بدأت في عهد المتوكل العباسي (٢٠٦ - ٢٤٧هـ/ ٨٢٦ - ٨٦١م) ٠٠ أى قبل عصر الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ - ١١١١م) بنحو ثلاثة قرون؟!

ج- ومن قال للدكتور نصر إن «سقوط بغداد» هو أثر من آثار الغزالي؟! وبغداد قد سقطت (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) بعد قرن ونصف من عصر الغزالي! وكان سقوطها - كما يعلم الذين يعون التاريخ - إلى جانب أمراض التراجع الحضارى الذاتية - بسبب تحالف الغزوة الصليبية [٤٨٩ -

٤ - وأخيرا .. فمن كان يتصور أن يصل الاجتراء بالدكتور نصر حامد أبو زيد - الذى يستلهم المادية الجدلية الماركسية فى التفكير والتفسير والتحليل للقرآن، والنبوة والوحي، والعقيدة والشريعة - على النحو الذى قدمنا - من كان يتصور أن يبلغ الاجتراء «بفتى المادية الماركسية» إلى حد «تكفير» حجة الاسلام أبى حامد الغزالي؟! ..

أى والله! .. وإلا فليقدم لقرائه تحليلا للنص الذى كتبه عن الغزالي، وقال فيه: «إن تصورات الغزالي كلها - رغم ما لقيته بعد ذلك من شيوع وانتشار - تعارض المقاصد الأولية للوحي والشريعة معا» [١٠].

فإذا كانت «تصورات الغزالي كلها» [لاحظ «كلها»] «تعارض المقاصد الأولية للوحي والشريعة معا» - فهل يبقى له حظ من الايمان بالوحي والشريعة - أي الإسلام؟! ..

إن الدكتور نصر - وأنا معه - قد اشتكى ويشتكى من بعض الذين حكموا عليه بالكفر والردة عن الاسلام .. فهل وعى أنه عندما يبيع لنفسه تكفير حجة الاسلام الغزالي، إنما يعطي أمضى أسلحة التكفير لخصومه .. مع الفارق الشاهق بين «المحلل الماركسي للنصوص» وبين «حجة الإسلام»! ..

وباليت قد قرأ وعى كلمات الغزالي عن «أن التكفير: خطر، لا يسرع إليه إلا الجاهل»! ..

الهوامش:

- (١) مفهوم النص من ٢٧٩.
- (٢) الاقتصاد فى الاعتقاد من ١٢٥، طبعة القاهرة - مكتبة محمود على صبيح - بدون تاريخ.
- (٣) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية من ٥.
- (٤) نقد الخطاب الديني من ٦١.
- (٥) المشوية: فرقة منسوبة إلى «المشوة» الذى لا قيمة له - لعجزهم عن فقه ما وراء ظواهر النصوص.
- (٦) الاقتصاد فى الاعتقاد من ٢، ٣.
- (٧) نقد الخطاب الديني من ٤٠.
- (٨) المرجع السابق من ٦١.
- (٩) تهافت الفلاسفة من ٦٧، ٦٨، طبعة القاهرة ١٩٠٢م.
- (١٠) مفهوم النص من ٣٣٦.

وراء كل الأسباب، عقيدة إسلامية لا خلاف عليها بين أحد من المؤمنين بالإسلام، وهى لا تعنى إلغاء عمل الأسباب، ولا إلغاء علاقة الأسباب بالمسببات، وإنما تعنى - مع عمل الأسباب فى المسببات، والارتباط بينهما - فى العادة - قدرة الخالق، سبحانه، على الفعل وراء هذه الأسباب - التى هى مخلوقة له - بوقف عمل هذه الأسباب التى خلقها، وباستبدالها بأسباب أخرى، إذا هو أراد خرق العادة وتغيير المعتاد ..

ولو قرأ الدكتور نصر، وعى ما كتبه الغزالي فى السببية، لابتعد بنفسه عن مزالق هذا «الخطأ الشائع» - الذى أشاعه المستشرقون، أصحاب النزعة الوضعية والمادية .. والذى تلقفه تلامذتهم فى بلادنا - وإلا فأين هو «إهدار قوانين السببية» فى قول الغزالي: «إننا نسلم أن النار خلقت خلقة إذا لاقها قطنان متماتان أحرقتهما، ولم تفرق بينهما إذا تماثلتا من كل وجه. ولكننا مع هذا، نجوز أن يلقي شخص فى النار فلا يحترق، إما بتغير صفة النار أو بتغير صفة الشخص، فيحدث من الله تعالى أو من الملائكة صفة فى النار تقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعداها، وتبقى معها سخونتها، وتكون على صورة النار حقيقتها .. أو يحدث فى بدن الشخص صفة، ولا يخرجها عن كونه لحما وعظما، فيدفع أثر النار» [٩].

فالنار سبب موجب للإحراق .. لكن الله سبحانه وتعالى، قادر - وهو الخالق لها وإحراقها - على تغيير صفتها، أو تغيير صفة الذى تلقىه فيها .. وذلك بخلق سبب جديد يفعل فعلا جديدا .. فالسببية - عند الغزالي - قائمة أبدا وفاعلة دائما، إن فى الأحوال المعتادة، أو فى الأحوال غير المعتادة، التى لها هى الأخرى أسبابها وقوانينها ..

تلك هى حقيقة موقف الغزالي - وكل علماء الاسلام وفلاسفته - من السببية .. إذا نحن امتلكتنا، بحق، القدرة على تحليل النصوص! ..



الرحمة المهداة

تهل في شهر ربيع الانور - نكزى حبيبة إلى الأمة الإسلامية عزيزة على المسلمين جميعا يهتبلون لقيائها، ويستبشرون لمقدمها، ويسعدون بها، تلك هي - نكزى المولد النبوي الشريف الذي تعطرت الأكوان بميلاده، وازدهرت بوجوده، وانتصرت ببعثته، وابتهجت الدنيا كلها بميلاده السعيد فكان ميلاد النبوة والرسالة، وميلاد القيم والمثل العليا، وميلاد النور والايمان، وميلاد رائد حقوق الانسان، إنه نبي الرحمة ورسول الأمة، سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

خاتم النبیین

أدم لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء لم أخرج إلا من طهره» [١].

وقد ظهرت لمولده علامات وبشارات، منها أنه ولد مختوناً مسروراً، ووقع حين ولد وهو جالس على الأرض بيده، ورأت أمه عند ذاك كأن شهاباً خرج منها أضواء له الأرض، وأنشد عبد المطلب يوم مولده قائلاً:

الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على القلمان
أعبيذه بالببيت ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنیان
أعبيذه من غمر ذي شنان
من حاسد مضطرب العنان [٢]

فتولاه جده عبد المطلب وسماه محمداً، لأن والده توفي قبل مولده، وأرضعته أولاً ثويبة أياماً، ثم تولت إرضاعه حليلة السعدية وأخذته معها إلى بلادها في بني سعد بن بكر، ولما بلغ أربع سنين أتاه الملكان فشققا بطنه واستخرجا علقة سوداء وطرحاها، وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب، وقال أحد الملكين للآخر: «لو وزن بأمته كلها لوزنهم» ولم تمر سنة حتى رأت حليلة معجزة أخرى، إذ شاهدت غمامة تظله، إذا وقف وقفت،

وقد رأيت في هذه المناسبة الخالدة أن أقدم لشباب المسلمين نبذة مختصرة موجزة عن حياته الشريفة، ليلموا بفصولها، ويعرفوا جوانبها، فذلك بعض الواجب عليهم قِبَل نبيهم ورسولهم الأكرم عليه السلام.

نسبه الشريف:

هو سيدنا محمد الطيب المبارك بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قُصَي بن زيد، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن قيس، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، وأمه أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

مولده ونشأته:

وقد وُلِدَ (صلى الله عليه وسلم) في عام الفيل من الأصبلا والعواتك والفواطم الشريفة، وذلك يوم الاثنين لعشر خلون من شهر ربيع الأول كما تحدث عن نفسه: «إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن



بقلم: د. أ. د.
يوسف القارواني
جامعة القرويين

- فاس -

وهي يومئذ بنت أربعين سنة.

وكان أول من ولد لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمكة قبل النبوة القاسم ، ثم ولد له زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم ولد له في الاسلام عبد الله قَسَمِي الطيب والظاهر، وأمههم جميعا خديجة بنت خويلد[٦].

ولما رجع (صلى الله عليه وسلم) من الحديبية أهداه المقوقس القبطي صاحب الاسكندرية مارية القبطية ولدت له غلاما سماه إبراهيم، عُقِّ عنه شاة يوم سابعه، وحلق رأسه، ثم دفعه إلى أم سيف لترضعه، وكان يزوره ويحنو عليه حتى قال أنس بن مالك: ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٧] وكان إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة، فكان يأتيه ونجى معه فيدخل البيت فيأخذه ويقبله، غير أنه ما لبث أن توفي ولم يتعد ستة عشر شهرا[٨].

نبوة رسول الله وعلاماته:

عن العرياض بن سارية قال سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمجدل في طينته، وسأخبركم من ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت» وقال: «كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث»[٩].

وقد ظهرت لنبوته علامات كثيرة قبل المبعث وبعده: منها أنه ولد مختونا مسرورا، ومنها أنه عندما كان يسير تظله غمامة، ومنها تطهير الملكين ونزع المضغة السوداء من قلبه وهو صغير، ومنها أنه كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا قالت السلام عليك يا رسول الله، ومنها أنه ما شكا - صغيرا ولا كبيرا - جوعا ولا عطشا كما تحدثت أم أيمن[١٠].

وفي حديث أنس أن الصحابة احتاجوا إلى الماء ليشربوا ويتوضأوا فلم يجدوه، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقدر رحراح، فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه

وإذا سار سارت، فافزعها ذلك، فقدمت به إلى أمه التي لم يبق معها سوى سنت سنوات حتى توفيت، فأخذه جده عبد المطلب ورعاه، وضمه ورق عليه، وكان يقربه منه ويدنيه، ويجلسه على فراشه، ووكل حضانتها لأم أيمن، غير أنه لم تمض سنتان على وفاة أمه حتى توفي جده وهو ابن ثمانين سنين فكفله عمه أبو طالب، وكان يحبه حبا شديدا لا يحبه ولده، ولا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج معه إذا خرج، وكان يقول له: إنك لمبارك إذ كان الصبيان يصيحون رمضا شعثا، ويصيح رسول الله دهينا كحيل[١٢].

ولما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اثنتي عشرة سنة خرج به أبو طالب إلى الشام في غير التجارة، فرأه بحيرا الراهب وتنبأ له بالنبوة وأوصى به عمه ليحفظه فعاد به إلى مكة. وشب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه، ويحوطه من أمور الجاهلية ومعانيها، لما يريد به من كرامته، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما وأمانة، وأصدقهم حديثا، وأبعدهم من الفحش ، وما رئي ملاحيا ولا مماريا أحدا حتى سماه قومه الأمين[٤] ثم خرج بعد ذلك إلى الشام في تجارة خديجة وقد بلغ من العمر خمسا وعشرين سنة، وظهر الملكان مرة أخرى يظلاله من الشمس حتى بهر ذلك ميسرة غلامه، وراهبا رآه ينزل تحت شجرة فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي وهو آخر الأنبياء[٥].

زواجه من خديجة وأولاده:

كانت خديجة بنت خويلد امرأة شريفة حازمة، ذات كرامة وخير، من أعظم أهل قريش شرفا، وأكثرهم مالا، فلما رجع الرسول من تجارته بالشام غامنا رابحا، وقد رأت الغمامة تظله وهو قادم عليها، فأرسلت إلى رسول الله من يدعوه لخطبتها، فقبل الرسول عليه السلام، وذهب في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة

العيون، فشرّبوا، وكانوا ما بين السبعين إلى الثمانين [١١].

ومنها حادث سراقَة بن مالك الذي لحق النبي في طريقه إلى الهجرة ليؤذيه: فدعا النبي [صلى الله عليه وسلم] أن ترسخ قوائم فرسه فرسخت فقال: يا محمد أدع الله أن يطلق فرسي فأرد عنك فقال النبي [صلى الله عليه وسلم] «اللهم إن كان صادقاً فأطلق له فرسه» فخرجت قوائم فرسه [١٢].

بعث رسول الله وما بعث به:

بعث رسول الله [صلى الله عليه وسلم] في الأربعين سنة من مولده إلى الأحمر والأسود، أي إلى الإنس والجن كما قال: أرسل إلى الناس كافة، وبه ختم النبيون، وبعث بالحنيفية السمحة، وبعث رحمة مهداة لرفع قوم ووضع آخرين، وليتم مكارم الأخلاق، فعن أبي هريرة قال، قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله» [١٣].

وقد نبّئ رسول الله في يوم الإثنين من شهر رمضان، إذ بدأ تنزل الوحي عليه بواسطة جبريل وهو يتحنث في غار حراء، وكان أول ما أنزل عليه «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم» [١٤] ثم تتابع تنزل الوحي عليه في مدة ثلاث وعشرين سنة، منها ثلاثة عشر سنة بمكة، وعشرة بالمدينة [١٥] وكان آخر ما نزل: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» [١٦].

دعاء رسول الله الناس إلى الإسلام:

أمر الرسول أن يصعد بما جاء من عند الله، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إلى الله، فكان يدعو أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين

مستخفياً، ثم انتقل إلى الدعوة جهراً، فاستجاب له من هذاه الله، وأعرض عنه من شاء الله، فعاب ألهم، فعاوده، وضايقه في دعوته.

ولم يعبأ النبي بمضايقتهم، وتابع نشر دعوته حتى كثر المؤمنون به وبالإسلام، وخشيت قريش ظهور الإسلام، وجلس المسلمون حول الكعبة، فأرسلوا إليه عمه أبا طالب ليكلّمه أن يترك ألهم، وتسفيه ما هم عليه، ويتركوه لدعوته فقال الرسول: «أرايتم إن أعطيتكم هذه هل أنتم معطي كلمة إن أنتم تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم» فقال أبو جهل إن هذه لكلمة مريضة نعم وأبيك لنقولنها وعشر أمثالها قال: «قولوا لا إله إلا الله» فاشمأزوا ونفروا منها وغضبوا وقاموا [١٧].

الهجرة إلى الحبشة:

ولما اشتدت مضايقة قريش للمسلمين، وكثر عليهم أذاها، أذن لهم الرسول أن يتفرقوا في الأرض، وأشار إلى الحبشة، فهاجر إليها من المسلمين سراً أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، ووجدوا لدى ملكها العون والأمان، وكان ذلك في السنة الخامسة من المبعث [١٨] ثم كانت بعدها هجرة ثانية إلى الحبشة عندما ازدادت مضايقة قريش للمسلمين وفتنتهم لهم في دينهم، فأذن لهم الرسول للخروج مرة ثانية، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً، وثمانية عشرة امرأة، ويقوا هناك يعبدون ربهم، وينتظرون أمر نبيهم حتى سمعوا بهجرته إلى المدينة التحقوا به مسرعين [١٩].

خروجه إلى الطائف والإسراء والمعراج:

ولبت النبي عليه الصلاة والسلام بمكة يدعو إلى ربه مسفها آلهة قريش، وما هم عليه من ضلال إلى أن كانت السنة العاشرة من المبعث، حيث حلت به مصيبتان: وهما وفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة، فلزم بيته، وأقل الخروج، وبالت منه قريش ما لم تكن تنال، فخرج إلى الطائف

الأوس، فأسلموا وبايعوا، ثم عادوا ومعهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن [٢٣] ثم لما حضر الحج كانت العقبة الثانية، خرج أصحاب الرسول الذين أسلموا للقائه بمكة، ولقيهم بمنى وسط أيام التشريق، وكانوا سبعين رجلا معهم امرأتان وتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله، ورغبهم في الاسلام، فبايعوه، ثم عادوا جميعا إلى المدينة [٢٤].

الهجرة إلى المدينة:

طابت نفس رسول الله بعد بيعة المسلمين في العقبة الثانية، إذ جعل الله له بهم منعة، وقوما أهل حرب وعدة ونجدة، فجعل البلاء يشتد بالمسلمين من المشركين، وزادوا من تضيقهم عليهم ونالوا منهم حتى اشتكى أصحابه، واستأذنه في الهجرة فأذن لهم قائلا: «قد أُخْبِرْتُ بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها» [٢٥] فأخذ المسلمون ينسلون مهاجرين إلى الله ورسوله أرتالا، ونزلوا على الأنصار في دورهم، فأوؤهم ونصروهم، وواسوهم حتى خرج المسلمون جميعا إلى المدينة، ولم يبق إلا القليل منهم بمكة، فخافت قريش خروج الرسول عليه السلام وتآمروا على قتله، لكنه استطاع أن يهاجر صحبة أبي بكر الصديق، حيث اختفى عن أعين قريش في غار ثور أياما [٢٦] ثم رحل هو وصاحبه ودليلهم في حماية الله وفي الطريق مروا بخيمة أم معبد فسألوها تمرا أو لحما يشترين، فلم يصبوا عندها شيئا إلا شاة خلفها الجهد عن الغنم، فمسح الرسول ضرعها فدرت، فشرى بها حتى أرتووا وتركوها أحسن مما كانت [٢٧] وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون ولا يرونه يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه

رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلوا بالبر وارتحلا به

فأفلح من أمسى رفيق محمد

ومعه زيد بن حارثة، وبقي بها عشرا لا يدع أحدا من أشرفهم إلا جاءه وكلمه، فلم يجيبوه، وخافوا على أبنائهم، فأغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة، فلجأ إلى حائط يدعو ربه من كفران العشير والبعيد بدعائه المشهور «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين» ثم عاد راجعا إلى مكة [٢٠].

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سأل ربه أن يريه الجنة والنار، وقبل حادث الهجرة بسنة تقريبا، وفي ليلة من الليالي ورسول الله قائم في بيته أتاه جبريل بالبراق، وأسري به إلى بيت المقدس، فصلى بالأنبياء إماما ثم عرج به إلى السماوات سماء سماء، فلقي فيها الأنبياء، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، ورأى آيات ربه الكبرى، وفرضت عليه الصلوات الخمس، ونزل جبريل فصلى برسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصلوات في مواقيتها [٢١].

دعاء رسول الله الأوس والخزرج:

كان مفتاح النصر:

وقد لبث عليه الصلاة والسلام بمكة يدعو القبائل إلى الله، ويعرض نفسه عليهم كل سنة، بمجنة، وعكاظ ومنى، أن يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة، ولم تستجب له أية قبيلة منهم، حتى أراد الله إظهار دينه، ونصر نبيه، وإنجاز وعده، فساقه إلى هذا الحي من الأنصار، وانتهى إلى نفر منهم وهم يحلقون رؤوسهم، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا وأسرعوا، وآمنوا وصدقوا، وأووا ونصروا وواسوا، وتواعدوا على لقائه في الموسم المقبل، وكانوا ستة أو ثمانية، ثم قدموا إلى المدينة فدعوا قومهم إلى الاسلام، فأسلم من أسلم ولم تبق دار من دور الانصار إلا فيها ذكر من رسول الله عليه الصلاة والسلام [٢٢].

وفي العام المقبل لقي الرسول اثني عشر رجلا وهي العقبة الأولى، عشرة من الخزرج، واثان من

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعائها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرع الشاة مزيد[٢٨]

أن استجاب الله لرسوله وتحولت القبلة نحو
الكعبة، ونزل في ذلك القرآن قائلا: [قد نرى تقلب
وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فول
وجهك شطر المسجد الحرام][٢٩]. فكان المسجد
النبي ثاني مسجد في الإسلام بعد مسجد قباء
الذي أسس على التقوى. وإثر ذلك بشهر نزل
فرض شهر رمضان وزكاة الفطر ثم صلى
الرسول صلاة عيد الفطر بالمصلى قبل الخطبة،
وصلى صلاة العيد يوم الأضحى وأمر
بالأضحية[٣٠].

غزوات الرسول وجهاده في سبيل الله:

وقد غزا الرسول عليه السلام عدة غزوات من
أجل نصرة دين الله، كانت أولاها غزوة بدر التي
أعز الله فيها الاسلام وأهله، وهزم الكفر وجنده،
كانت في رمضان من السنة الثانية للهجرة[٣١]
ثم تتابعت غزواته وجهاده الى أن كان يوم النصر
يوم فتح مكة[٣٢] الذي أتم الله به نعمة الاسلام،
وتوحدت الجزيرة العربية تحت راية لا إله إلا الله
محمد رسول الله، مصداقا لقوله تعالى: [إذا جاء
نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين
الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان
توابا][٣٣].

رسل الرسول وكتبه إلى الملوك. دليل على عالمية الاسلام:

عندما رجع الرسول من الحديبية في السنة
السادسة، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى
الاسلام، وكتب لهم كتابا، إذ خرج ستة نفر منهم
في يوم واحد، وكان ممن كتب إليهم داعيا إلى
الاسلام النجاشي، وقيصر، وكسرى والمقوقس
صاحب الاسكندرية والحارث الغساني وهؤلاء
الحنفي[٣٤]. وقد أسلم من هؤلاء الستة النجاشي
والمقوقس والحارث إذ هداهم الله إلى
الاسلام[٣٥] ثم تتالت رسل النبي وكتبه إلى بقية
الملوك والزعماء والقادة، مما يميز دعوة الاسلام

وتجمع المسلمون في المدينة ينتظرون قدوم
رسول الله عليه الصلاة والسلام، الذي حل بقباء
أياما إلى أن كان يوم الجمعة، فجمع من كان معه
من المسلمين وهم يومئذ مائة، ثم رحل الى المدينة
وأقام بدار أبي أيوب الأنصاري سبعة أشهر،
ومازال هذا النشيد العظيم الذي استقبلت به
الأنصار رسول الله يرن في آذاننا منذ صغرنا،
والذي نتمنى أن يصبح نشيد أطفالنا في
المدارس.

طلع البدر علينا

من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا

ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا

جئت بالأمر المطاع[٣٦]

بناء المسجد النبوي.

والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

كان أول عمل قام به الرسول بعد وصوله المدينة
المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على الحق
والمواساة في دار أنس وكانوا حوالي مائة ما بين
مهاجر وأنصاري.

ثم اشترى أرضا ليتيمين من الأنصار ليتخذها
مسجدا، فأمر بها فبنيت باللبن، وسقفت بالجريد،
واشترى الرسول مع أصحابه في البناء وهو
يقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة[٣٧]

وكانت قبلته إلى بيت المقدس، ومازال النبي
يدعو ربه أن يصرف وجهه نحو الكعبة، فمازالوا
يصلون قبل بيت المقدس سبعة عشر شهرا، إلى

والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صلب، وإذا التقت التقت معا، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفاً، وأجراً الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس بذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهه هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله [صلى الله عليه وسلم] [٤٦].

وقال الحسين: سألت أبي عن دخول النبي [صلى الله عليه وسلم] فقال: كان إذا أوى إلى منزله جزأً دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأً جزؤه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة والخاصة، ولا يدخر عنهم شيئاً.

وذكر مجلسه فقال: مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، إذا تكلم أترق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكث تكلموا، كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا فحاش ولا عياب ولا مداح، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ [٤٧].

قال: فسألت عن مخرجه كيف كان يصنع فيه فقال: كان رسول الله، [صلى الله عليه وسلم] يخرن لسانه إلا مما يعينهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، أو قال ينفرهم، ويكرم كريم منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقيم القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجوز الذين يلونه من الناس، خيارهم أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.

قال قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه؟ قال: كان رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، دائم البشر، سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب، يتغافل

بالعالية والعمومية خلافاً لغيره من الأدیان السابقة عليه، مصداقاً لقوله عليه السلام: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس كافة» [٢٨] وكان من نتائج تلك السفارات وفادات العرب وغيرهم على رسول الله مبايعين بالاسلام.

أوصاف الرسول وأخلاقه:

عندما أخبرت أم معبد زوجها لدى عودته بخبر مرور رسول الله بهم، وما كان من أمر الشاة العجفاء، قال لها: صفيه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة، متبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعب له ثلجة، ولم ترز به صلعة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشعاره وطف، وفي صوته صلح، أحور أكحل، أزج أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكان منطق خريزات نظم يتحدثون، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربة لا تشنؤه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود، لا عابث ولا مفند [٣٩].

ووصفه أبو هريرة فقال: (ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله [صلى الله عليه وسلم] كأن الشمس تجري في جبهته، وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله [صلى الله عليه وسلم] كأنما الأرض تطوى له، كنا إذا مشينا نهجد أنفسنا وإنه لغير مكترث) [٤٠].

ووصفه علي كرم الله وجهه فقال: (لم يكن بالطويل الممط، ولا بالقصير المتردد، كان ربة من القوم، ولم يكن بالجعد القلط ولا السبط، كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهم ولا المكثم، وكان في وجهه تدوير وكان أبيض مشرباً، أدعج العينين، أهدب الأشفار، أجرد، ذا مسربة، شثن الكفين

سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على
سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت
على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في
العالمين إنك حميد مجيد.

الهوامش:

- (١) سيرة ابن هشام ١٥٨/١ - ودلائل النبوة ٢٤ - كما رواه الطبراني.
- (٢) سيرة ابن هشام ١٥٩/١ - الروض الأنف ١٠٧/١ - سبل الهدى ٤٢٧/١.
- (٣) سبل الهدى ١٧٨/١.
- (٤) سيرة ابن هشام ٢١٠/١.
- (٥) المصدر السابق ٢٠٢/١ - سبل الهدى ٢٣١/٢.
- (٦) سيرة ابن هشام ٢٠٢/١ - الروض الأنف.
- (٧) مسند الإمام أحمد ١١٢/٣.
- (٨) سيرة ابن هشام ٢٠٢/١ - ابن سعد ١/١ - زاد المعاد ٤٩/١.
- (٩) ابن سعد ٩٦/١ - المسند ٣٦٢/٥ - الوفا ٢٦/١ - سبل الهدى ٩٨/١.
- (١٠) سيرة ابن هشام ٢٥٠/١ - ابن سعد ١٠٥٧/١ - الروض الأنف.
- (١١) جوامع السيرة النبوية ص ٢٩.
- (١٢) الرياض النضرة للحب الطبري ٧٢/١ - سبل الهدى ٣٥٤/٢.
- (١٣) حديث متواتر صحيح أخرجه الشيخان عن أبي هريرة.
- (١٤) سورة العلق - الآيات الخمس.
- (١٥) الصحيح المختوم للمباركفوري ص: ٥٢١ و ٥٢٢.
- (١٦) سورة المائدة - الآية ٣.
- (١٧) رواه أحمد وأحمد والبيهقي عن الأشعث بن سليم عن رجل - سيرة ابن كثير ١٥٦/٢.
- (١٨) سيرة ابن هشام ٢٤٤/١ - ٣٥٠ - سبل الهدى ٤٨٥/٢.
- (١٩) المصدر السابق ٣٥٤/١ - طبقات ابن سعد ٢٠٧/١.
- (٢٠) ابن سعد ٢١١/١ - سبل الهدى ٢٧٧/٢ - والصحيح رواه الطبراني.
- (٢١) دلائل النبوة ١٧٤ - سبل الهدى ٣٩٨/٢ - عيون الأثر ١٤٠/١ و ٤٤٤.
- (٢٢) سيرة ابن هشام ٢٨٢/٢ - سبل الهدى ٢٦٧/٢.
- (٢٣) سبل الهدى ٢٦٩/٢ - ٢٧١.
- (٢٤) سبل الهدى ٢٧٧/٢ - ٢٧٨.
- (٢٥) ابن سعد ٢١٠/١ - سبل الهدى ٢١٣/٢ - والصحيح رواه الترمذي.
- (٢٦) ابن سعد ٢١٤/١ - سبل الهدى ٢٣٦/٢.
- (٢٧) الروض الأنف ٨٢/٢ أسد الغابة ٣٧٧/١ - النهاية ١٣٤/١.
- (٢٨) نهاية الأرب ٣٣٧/١٦ - سبل الهدى ٢٤٩/٢.
- (٢٩) رواه البيهقي عن عائشة - سبل الهدى ٣٨٦/٢.
- (٣٠) ابن هشام ١١٤/٢ و ١٢٤ - الروض الأنف ١٨/٢ - سبل الهدى ٣٨٦/٢.
- (٣١) سورة البقرة - الآية ١٤٤.
- (٣٢) صحيح البخاري ٤/٢ - ٢٢٥ و ٢٢٦.
- (٣٣) سبل الهدى ١٧/٤ - ٢٠.
- (٣٤) المصدر السابق ١٨/٤.
- (٣٥) سورة النصر.
- (٣٦) ابن هشام ٢٥٤/١ - ابن سعد ٢/١ - ١٥ - ابن كثير ٢٦/٤.
- (٣٧) جوامع السيرة النبوية ٥٤ - ٥٦.
- (٣٨) حديث صحيح رواه السائب بن يزيد.
- (٣٩) مثال الطالب لابن الأثير ص ١٧٢ - طبقات ابن سعد ٢٣٠/١.
- (٤٠) طبقات ابن سعد ٤٢٢/١ و ٤٢٣ - دلائل النبوة ٢٢٧/٢ - ٢٣٠.
- (٤١) الشمايل لابن كثير ٥٠ - ٥٦ - الخصائص الكبرى ١٨٨/١.
- (٤٢) مثال الطالب ص ١٩٩.
- (٤٣) الشمايل للترمذي ٣٩/١ و ٥٣.
- (٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه.

عما لا يشتهي، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرقت جلساؤه كائنا على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومسائلته ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع عن أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام[٤٢].

وسئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلق رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فقالت: كان خلقه القرآن[٤٤].

ثم سئلت عن أخلاقه فقالت للسائل: ألسنت رجلا عربيا تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن القرآن خلقه، ومن هنا كان [صلى الله عليه وسلم] أحسن الناس خلقا، وكان يقول: «إن خيركم أحسنكم أخلاقا» ويدعو: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي».

وخدمه أنس عشر سنوات فقال: خدمت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] عشر سنين فما رأيته قط صافحه إنسان فنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينصرف، وما قال لشيء صنعته لم صنعت كذا، ولا قال: ألا صنعت كذا وكذا، ولقد شممت العطر فما شممت ريح شيء أطيب ريحا من رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، ولا أصغى إليه رجل فنحنى رأسه حتى يكون هو الذي يتنحي عنه. فلما فتحت مكة بالاسلام، ودخلها الرسول وصحبه مكبرين مهللين، حطموا الأصنام، ورفعوا الصوت بالأذان من أعلى الكعبة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأكمل الله تنزيل القرآن، وانتشر دين الله، قبض الله نبيه ورسوله وتوفاه إليه، وعمره ثلاث وستون سنة، لتتم بذلك النبوة، وتكمل الرسالة، ويعم التوحيد جميع العالمين.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل



جاء في الحديث الشريف عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه
وسلم}: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من
ولده ووالده والناس أجمعين. رواه البخاري.

الإيمان وكماله في محبة النبي {صلى الله عليه وسلم}

الله عليه وسلم} أحب إليه من نفسه لكونه السبب
في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة.
والمراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعي المتابع
لهوى النفس. فإنه معلوم أن محبة الإنسان
لنفسه من حيث الطبع أشد من محبة غيره. وكذا
محبة ولده ووالده أشد من محبة غيرهما، وهذا
الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص بل
خارج عن حد الإستطاعة فلامؤخدة، لقوله
سبحانه {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} بل المراد
الحب العقلي الاختياري الذي هو إثارة ما يقتضيه
العقل رجحانه، وإن كان على خلاف الطبع ألا
ترى أن المريض يكره الدواء المر بطبعه ومع ذلك
يميل إليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله لما
علم أو ظن أن صلاحه فيه وكذلك - المؤمن، إذا
علم أن الرسول {صلى الله عليه وسلم}
لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح دينه
ودنياه وآخرته وعقباه وتيقن أنه عليه
الصلاة والسلام أشفق الناس عليه
وألفهم إليه، وحينئذ يرجح جانب أمره
بمقتضى عقله على غيره وهذا أول
درجات الإيمان. وأما كماله فهو أن

فقوله: لا يؤمن أحدكم: خطاب يشمل الموجودين
ومن بعدهم من المولودين وفي رواية مسلم (عبدٌ)
وفي رواية غيرها (أحدٌ) أي - لا يكمل إيمان
أحد - بدلالة رواية ابن حبان - لا يبلغ عبدٌ حقيقة
الإيمان والمعنى لا يعتد بإيمانه، وفي رواية عبد
الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي
{صلى الله عليه وسلم} وهو أخذ بيد عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فقال عمر يا رسول الله
لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال له
{صلى الله عليه وسلم} لا والذي نفسي بيده حتى
أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر فإنه الآن
والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال {صلى الله
عليه وسلم} الآن يا عمر: أي الآن في هذا الزمان
قد استقممت إيمانا وتكملت إيقاناً. وحصل

الجواب. بالآن أي عرفت ونطقت بما
يجب. وقال الحافظ في الفتح: أي لا
يكفي ذلك لبلوغ الرتبة العليا حتى
يضاف إليه ما ذكر.

ثم قال الحافظ فعلى هذا فجواب
سيدنا عمر أولا كان بحسب الطبع ثم
تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي {صلى

بقلم:

عبد الله

محمد أبكر

- جدة -

عنها مع سيدنا القائد [صلى الله عليه وسلم]،
ومعلوم أن سيدنا محمداً [صلى الله عليه وسلم]
أفضل من عيسى ومن جميع الانبياء عليهم أفضل
الصلاة وأزكى التسليم، فهو [صلى الله عليه
وسلم]، إمامهم وأمامهم، فمن كان مع سيدنا
وحبيبنا محمد [صلى الله عليه وسلم] أفضل ممن
هو مع غيره، فالأمر إذاً لإمامة وتبعية، ومن هذا
الباب جاء تفضيل سيدتنا عائشة رضى الله عنها
على سائر النساء، وإن فى ذلك خلاف، والتفضيل
لا يقتضى انتقاص الآخرين، ولا ننسى أن السيدة
عائشة أحب الناس الى رسول الله [صلى الله
عليه وسلم]، ومن الرجال سيدنا أبي بكر الصديق
رضي الله عنه، ومن هؤلاء الرجال الكمل الطيقة
الأولى من الصحابة الكبار، وفى مقدمتهم الخلفاء
الأربعة، والبقية من العشرة المبشرة، وأصحاب
الشجرة. وأهل أحد ويدر الكبرى.

فكل هؤلاء كُمل بلا شك ولا ريب. كمال فى
الدين والإيمان وكمال فى المحبة والاتباع، كمال
فى تادية الحقوق والقيام بالواجبات كمال فى
الطاعة له [صلى الله عليه وسلم] الذى لا ينطق
عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ومن يطع
الرسول فقد أطاع الله - كيف لا إيمان ولا كمال
فيهم وهم الذين مدحهم الله بفضل معية الرسول
[صلى الله عليه وسلم]: يقول سبحانه [محمد
رسول الله والذين معه] كيف لا وهم صفوة الخلق
بعد الانبياء والمرسلين عليهم صلوات الله أجمعين،
كيف لا وهم السادة القادة من جميع الأمم، كيف
لا ومنهم الزوجات الطاهرات السيدات من نساء
العالمين، كيف لا وكلهم تشرفوا برؤية الحبيب
[صلى الله عليه وسلم] وجالسوه فى مجالسه
وعاشروه، وملؤوا أعينهم منه [صلى الله عليه
وسلم] هبة منه وإجلالا وحياء، كيف لا كمال وقد
نظر هو [صلى الله عليه وسلم] إليهم بالعين
الرحيمة نظرة الأب إلى أبنائه، بالرحمة والشفقة
نظرة من قيل فى حقه: (حريس عليكم بالمؤمنين

بصير طبعه تابعاً لعقله فى حبه له [صلى الله
عليه وسلم].
وقوله: الناس أجمعين أي سائر الخلق عموماً
حباً اختيارياً يوجب إكراماً له عليه الصلاة
والسلام، وإجلالا فى مقام الاحترام واختياراً
يوجب محبة رسول الله ورضاه على محبة
المخلوقين مما سواه.
يفهم من هذا كله أن إيمان الشخص لا يكمل -
بل لا يحصل إلا بمحبة النبي [صلى الله عليه
وسلم] فوق محبته لكل الناس ومن كل شيء، ولا
إيمان لمن لا محبة له، وقد وردت أحاديث كثيرة
فى شأن الإيمان. منها قوله [صلى الله عليه
وسلم]: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما
جئت به، وقوله: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
ما يحب لنفسه، وقوله: والله لا يؤمن. قيل من
يارسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه، - أي
شره - وقوله: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
وقوله: لا يشرب الخمر حين يشربها أى الرجل
وهو مؤمن. . . الى غير ذلك من الأحاديث الواردة
فى عدم الايمان وتحققه وثبوته أو نفي كماله، أو
انتزاعه أو وجود حالوته.
أما الإيمان الأول والأصلي يحصل به [صلى
الله عليه وسلم] وبما جاء به وبما جاء به . .
الايمان بالله وملانكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
وبالقدر خيره وشره.

وأما مسألة الكمال البشري وما يتبعه فنعمتد
فيه الى قوله [صلى الله عليه وسلم] فى الحديث
الشريف الوارد عن أبي موسى الأشعرى رضى
الله عنه قال - قال رسول الله [صلى الله عليه
وسلم] «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من
النساء إلا أسية ابنة مزاحم، ومريم ابنة عمران،
وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على
سائر الطعام (رواه الامام أحمد وغيره)» .
لأنه قيل: مريم مع سيدنا عيسى عليه وعلى
نبينا أفضل الصلاة والسلام وعائشة رضى الله

ربى يطعمني ويسقين» إنها الخصوصية، وما النبوة إلا الأسرار، إذاً!.

فعلى المرء المحبة الصادقة والاتباع القويم والايمان الكامل بهذا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم] وبما جاء به، والمرء مع من أحب (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً)، فنعم هذه النتيجة من المعية القويمة النافعة والمعية: في الآخرة تقتضى معية سابقة في الدنيا، إما حساً أو معنى فائت إذا أحببت في الدنيا ومحبيك هذا ممن أحبه الله في الدنيا بسبب الطاعة، وهياً له فى الآخرة من الاكرام والانعام ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كل ذلك نتيجة المحبة - فائت بمعيته هذه وبمحبتك تصل إلى الأعلى والأرقى، ما توفرت التقوى منك، فكن على مراد مولاك، وكن مع الذين قال الله فيهم وأمر: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا لله وكونوا مع الصادقين} كن مع الذين يحبونه ويحبهم.

وجاء في الحديث الشريف «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» وجاء أيضاً: قوله (صلى الله عليه وسلم] «لا تصاحب إلا مؤمناً» الحديث، وكلها أحاديث صحاح ومن صاحب أو أحب أو جانس أو إلى غير ما وصف له الحبيب (صلى الله عليه وسلم] من الأوصاف فهو بشأنه أبصر وكل إناء بالذى فيه ينضح.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يقر أعيننا برؤية الحبيب (صلى الله عليه وسلم] يقظة ومناماً في الدنيا والآخرة.

وأن يجعلنا معه في جنات النعيم، ويرزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً، وأن يصدق فينا محبته بالقول والعمل ويجعلنا من المتسكين بكتابه وسنة سيد أحبائه.

رؤوف رحيم) نظرة من قيل فيه: (ما زاع البصر وما طغى) لا شك أنه نظر حفيف ونظيف وشريف. فليتة خصنى برؤية وجهه، زال عن كل من رآه العناء، كيف لا، وهو القائل (طوبى لمن رأى من رأى من رأتى)، أو رأى من رأى من رأتى لا شك إنها الرحمة المجردة: كيف لا وهو (صلى الله عليه وسلم] مصدر الرحمة، في قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ويقول هو (صلى الله عليه وسلم] عن نفسه: أنا الرحمة المهداة، والهدية تختلف وتمتاز عن العطية.

فاذا كانت هذه الكماليات كلها في صحابته رضوان الله عليهم أجمعين بل فى من هم أدنى منهم درجة وأنزل رتبة، فاذا كان كذلك، فما بالك به وبما فيه هو (صلى الله عليه وسلم] أليس من البديهة أن يكون هو (صلى الله عليه وسلم] الإنسان الكامل الحقيقي المتجلى بالكمال البشرى والانسانى.

ولو قلنا أنه (صلى الله عليه وسلم]: هو الأكمل والأفضل، وهو كذلك، فلو قلنا ذلك، لفاتنا أن ندرك من كنه حقيقته الذاتية المعنوية التى من أنوارها وتجلياتها أوصافه الخلقية الحسية التى جاءت فى الشمائل الشريفة (فى كتاب الترمذى وهذه الأوصاف فى حد ذاتها وعلى ظهورها قد بلغت الكمال الأبلغ فليس ثمة شيء صورة ومعنى فى الكون كله أكمل منه (صلى الله عليه وسلم] بل جميع المخلوقات، فهو الأفضل على الإطلاق، وناهيك عن الخوض فى الكمال المعنوى، فذلك حديث فى شرحه طول، والطول فيه تقليل كيف لا وهو الذى يقول: فى نفسه وعنهما: (إني على علم من الله علمنيه) ويقول أيضاً: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) ولا مانع من أن يكون هذا الأدب والتأديب زائد على ما ورد فى القرآن الكريم والذى كانت السيدة عائشة تقول فيه كان خلقه القرآن، والقرآن كلام الله، فما المانع من أن يكون هذا وذاك: والمورد واحد، وهو (صلى الله عليه وسلم] يؤكد لنا ذلك بقوله «إني لست كهيتكم أبيت عند



الرحمة
المشادة

اكتسب المجتمع الإسلامي خيريته وسموه بهذا القدر الكبير من الأخلاقيات، والسلوكيات، والقيم والفضائل، التي حكمت العلاقات، ووجهت الروابط والصلات بين أفرادها، بحيث يعطي كل فرد قدره، وينزل المنزلة التي يستحقها. وينال التقدير والتوقير الذي وصّت به الشريعة السمحة، ودعا إليه الكتاب الحق والسنة الهادية. ومن الأسس التي يقوم عليها مبدأ التوقير في الإسلام: مقام النبوة، وكبر السن، ومقام العلم بالقرآن، وحق الضعيف والمرأة، ومقام الإمارة.

التوقير من معالم المجتمع الإسلامي

هذا العقاب للوفد التيممي دعا رب العالمين عباده المؤمنين إلى غض الصوت في مجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فما بالك عند النداء والمخاطبة، حتى تصف الآية من يغضون أصواتهم في مجلس النبي بأنهم أصحاب عقول محصتها التقوى، لهم عند الله مغفرة وأجر عظيم، يقول سبحانه (يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم، وأنتم لا تشعرون). إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم، إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم[٣].

إن الآيات أخذت على بني تميم أمرين في التعامل مع النبي الكريم:

أولهما: أنهم لم يتخيروا وقت اللقاء، فجاءوا في فترة من النهار يخلد الإنسان فيها إلى الراحة.

ثانيهما: ارتفاع أصواتهم في النداء، وهذا أمر لا يليق بمقام النبوة أن يجهر الإنسان أمامه بالقول كما يفعل مع الآخرين، بل لابد من أناة في الحديث، وترفق في الخطاب، وأدب في النداء، كما قال سبحانه: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)[٤].

وهذا المبدأ يرتكز على الحديث الشريف، الذي يرويه يميون بن شعيب عن السيدة عائشة رضي الله عنها: إن مر بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة، فأقعدته فأكل، فقليل لها في ذلك، فقالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «أنزلوا الناس منازلهم»[٥].

وكان السيدة عائشة أحست من هيئة الرجل أن له شأنًا يتطلب شيئا من توقيره وإبعاده عن المهانة التي قد تلحق به حاجته وسؤاله، وهذا مدى من التكريم لا يدركه إلا نور الحس الإيماني، وأولو الألباب من الناس.

وقد علمنا القرآن الكريم أن مقام النبوة يفرض ألوانا من التكريم والتوقير لمكانهم عند الله، ومكانتهم الأخلاقية والسلوكية في دنيا الناس، وينالها من حذا جذوهم من أهل التقوى والصلاح، يحدثنا الله تبارك وتعالى عن المثوبة التي ينالها من أطاعوا الله ورسوله، فيقول سبحانه: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا)[٦].

وفي مقدمة من دعا رب العالمين لتوقيرهم خاتم الرسل محمد (صلى الله عليه وسلم): لقد انتقد القرآن الكريم وقد بنى تميم الذين أزعجوا النبي (صلى الله عليه وسلم) في قبولته في غير تجميل أو تلطف وقد وصفهم بعدم التعقل، لأن القول الحسن ثمرة العقل الواعي، وفي بداية



بقلم: أ.د. السيد رزق الطويل
عميد الدراسات الإسلامية
- جامعة الأزهر -

إجلال المولى جل وعلا وتعظيمه روى أبو موسى الأشعري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن من إجلال الله إكرام ذى الشبهة المسلم، وحامل القرآن الكريم غير الغالى فيه، والبصافى عنه، وإكرام ذى السلطان المقسط» [٨].

وهنا يشير هذا الحديث بجانب توقير الكبار، وإكرامهم إلى أصحاب العلم بالقرآن، الملازمين لتلاوته وتدبره وفهمه من غير غلو وشطط؛ إنهم من خير الناس قال ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) فى حديث له: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

كما يشير الحديث إلى حق السلطان العادل فى التوقير والتكريم ما دام يقوم فى الناس بالحق والقسط؛ ولذا عندما تناور الصحابة حول لقب الخليفة عمر بن الخطاب يقولون: خليفة خليفة رسول الله، فيطول بهم الكلام، ويطول أكثر مع من يليه!! فقال أحدهم: نقول: يا عمر، فقال: إذن تهمضونني حقي!! فقال: أنتم المؤمنون، وأنا أميركم، فقولوا: يا أمير المؤمنين، وارضى الصحابة ذلك، بعدا عن التكلف وحفاظا على حق الأمير.

ورعاية المرأة والطفل تدخل فى هذا الإطار، أتذكر موقف موسى عليه السلام من ابنتي شيخ شعيب، وهما يذودان أغنامهما، يقول لهما موسى عليه السلام: «ما خطبكما، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء، وأبونا شيخ كبير فسقى لهما» [٩].

ليت شعري ما لي أرى هذه الفضائل غربت من أفاق مجتمعا، فالشباب الأقوياء يزاخمون الشيوخ الضعفاء والنساء فى الحفلات، ويحتلون المقاعد، والكبار يعانقون الزحام وآلام الوقوف ومتاعبه؛ وأين توقير العلماء وأهل القرآن!! إن وسائل الإعلام تسرف فى السخرية بهم وامتنانهم فيما تقدم من أفلام ومسلسلات.

وتقدير الرؤساء ونزى السلطان قيمة غيبها نفاق الانتهازيين والوصوليين لكن الإسلام يدعو الأمة إلى احترامهم، وإنزالهم منزلتهم، كما يدعو إلى نصحبهم وتقويمهم إبعادا لهم عن الانحراف والشطط، حرصا على أمن المجتمع المسلم وسلامته.

الهوامش:

(١) رواه مسلم وأبو داود معلقا، وقال الحاكم فى كتابه معرفة علوم الحديث: حديث صحيح.

(٢) سورة النساء/ ٦٩.

(٣) سورة الجرات/ ٥٠-٢.

(٤) سورة النور/ ٦٣.

(٥) أخرجه مسلم.

(٦) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي.

(٧) رواه الترمذي وقال حديث غريب.

(٨) حديث حسن رواه أبو داود.

(٩) سورة القصص/ ٢٢.

وتتوالى توجيهات النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الأمة الإسلامية لتأخذ نفسها بهذا اللون مع علماء الأمة، وذوى الرأى، وأولى الألباب فيها، وذوى الشبهة من كبارهم الذين ابيضت لحاهم فى الإسلام، كل هؤلاء لهم حق التوقير، وواجب الترقق، وأن نشعرهم بالبر، ونعطيهم حق المكانة التى تبووها إن كان من نوى الإمارة والسلطان، وأما الضعيف فنعينه ليقوى، واليتيم نأخذ بيده ليشدد، والمرأة نساعدها على تعففها وتصونها، وعندما تتجفع فى ذلك فإن مجتمع المسلمين يأخذ صورته الصحيحة، فيكون مجتمع القيم، والحقوق المصونة، والأدب الكريم الذى يكتمل به إيمان المؤمنين.

ولنقف وقفة متدبرة أمام بعض التوجيهات النبوية فى هذا الصدد.

يكرم النبي (صلى الله عليه وسلم) أهل الفطنة، والفقهاء، وأصحاب العقول الراشدة فيأمر بأن يكونوا فى الصف الأول، وأقرب الناس إليه فى الصلاة، روى أبو مسعود عقبة بن عمرو البدرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يقول عند قيامه للصلاة: «لئلى منكم نؤو الأحلام والنهى» [٥].

ووضعهم فى هذا الموضع ليس مجرد تكريم بلا موجب، ولكن لأنهم أقدر على مواصلة الصلاة، وتحمل عبء الإمامة إذا حدث للإمام شيء، وكذلك لهم القدرة على تذكره إذا نسي فى التلاوة، أو سها عن عمل من أعمال الصلاة.

وتوقير الصغير الكبير مطلب إسلامى، كما أن رحمة الكبار للصغار قيمة إسلامية تربية تشيع الرفق والمودة فى المجتمع، وقد نبه النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى ذلك فى أحاديث عدة من ذلك ما رواه عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا» [٦].

وعبارة الحديث تؤكد خطورة هذه الفضيلة: إذ أن الحديث يعنى أن المخالفين لها قد تخرجهم عن ساحة الفضائل الإسلامية.

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قبض الله له من يكرمه عند سنه» [٧].

وفى هذا الحديث تذكير للصغار بمستقبل أت لا ريب فيه، تكبر سنهم ويفتقدون التوقير الذى ضنوا به على أسلافهم.

بل إن هناك نصا نبويا آخر يعد هذه الفضيلة من باب



شعر: د. محمد محسن

عضو رابطة الأدب
الإسلامي العالمية

رحمة للعالمين



الرحمة
المهداة

أحمدُ : يا رحمة الرحمن
ومحبة تنساب في شرياني
ومحرر الكون الأسير بشريعة
علوية منظومة الأركان
يا خير قواد البرية كلها
ومحطم الأصنام والأوثان
مدحوا مروعة الأحبة والعدا
نورا أضاء مساحاة الأزمان
قالوا وقال الله في خلق النبي
عظيمة في محكم القرآن
الصادق الورع الأمين، صفاته
تسرى هدى في سائر الأكوان
هاجرت فاجتاح البسيطة بشرها
وتفتحت مخضرة الأغصان
قد جئت شرقت المدينة داعياً
لله والتوحيد والإيمان
فتغير التاريخ والكون اهتدى
أما الضلال فقشه الطوفان
سبحان من أسرى بخير عباده
ليلا إلى الحرم الشريف الثاني

فوق البراق أراه من آياته
 ما لا يجول بخاطر الإنسان
 هذا إمام المرسلين سما إلى
 أعلى سماوات وأعظم شأن
 في ليلة القدر الأمين وقد أتى
 بالوحي يتلو أول القرآن
 «اقرأ وربك» خالق العلم الذي
 بكتابه أهده للإنسان
 فهده من حقب الظلام إلى السنا
 وهده من جهل لخير بيان
 وهده للصلوات بعد شهادتين
 وللزكا والصوم في رمضان
 والحج للبيت الحرام فريضة
 لمن استطاع بعزمه المتفاني
 يا قائد الغر الرسول المصطفى
 وهداية من ربنا الرحمن
 المسجد الأقصى يئن وقده
 تشكو اليهود لربها الديان
 تعوى سرايفو ولا تلقى سوى
 شرك اليهود وسطوة الطغيان
 الدين في كل البلاد محاصر
 والثج والنيران في الشيشان
 ندعو النصير لكي يعيد فتوحنا
 كي نستعيد مساجد الجولان
 ندعو القدير بأن يقلل عثارنا
 بجهادنا ويقوة الإيمان

الجدل النبوي

.. أدب وتربية



الرحمة
المهداة

المضون اللغوي مادة الجدل:

التزم به من مذهب، وما اعتنقه من مبدأ قصد
تبكيت خصمه ومباهته».

الجدل عند المعتزلة وعند المعندين:

الجدل عند المعتزلة مناقشات هادئة تتوجه إلى
العقل، وتطالبه بالنظر والتدبر، وتخطب
الحواس تدعوها إلى استخدام ما حولها من
كون وأنفس للوصول إلى تقرير الحق، ولكن
الجدل عند المعندين خصام ونزاع، ومراء
وعناد، وإثارة شُبُهَة،

وإشاعة ومغالطات،
وإغـراض وتـلصص
بـاستعمال أساليب لا
يقرأها منهج، ولا يرتضيها
منطق؛ لعدم استنادها

على سلطان من كتاب، ولا على برهان من عقل،
ولبعدها عن الموضوعية، وانغماسها في الذاتية
ومقتضيات الهوى، وعدم تخلصها من المنفعة
المصلحية، إذًا، الجدل نوعان: ممدوح ومذموم.

الجدل الممدوح:

الجدل الممدوح هو ما سلكه الأنبياء الكرام،
عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، من طرق
بيانية في سبيل نشر ما كُفِّوا به من دعوات،
وخاصة ما كانوا يقومون به من مناظرات،
ومحاورات ومناقشات، يعرضون فيها ما تيسر

يبدو أن الجدل يطلق في الأصل اللغوي على

معنيين حسيين:

أحدهما: الشد والقتل والإحكام. وقد جاد في
مفردات الراغب [١] «جدلت الحبل أي أحكمت
فته، وجدلت البناء أي أحكمته».
ثانيهما: الإلقاء والإسقاط على الجدالة التي
هي الأرض الصلبة، جاء في أساس البلاغة [٢]
«جدله، أي ألقاه على الجدالة».

وعلى كل سواء أكان
الجدل مستمدا من الفتل
والشد أم من الصراع
والإسقاط، فالهم أنه يطلق
على المشادة الكلامية التي

تهدف إلى تحقيق الغلبة لما اعتنق من مذهب،
ولما اتخذ من رأي، وإلحاق الهزيمة بالمخالف.

يقول محمد التومي [٣]: «وإذا اعتبرنا المنازعة
الكلامية جدلا استنادا على المعنى الأصلي الأول
فذلك؛ لأن كل واحد من المجادلين، إنما يعمل
على شد رأيه وإحكامه؛ بما يقدمه من أدلة
تأييدية، وبما يكشف عنه من وهن في رأي
خصمه.. وإذا اعتبرنا التسمية على المعنى
الثاني فذلك؛ لأن كل واحد من المجادلين، إنما
يجتهد في استجماع قواه العقلية، بإبراز
المؤيدات وإظهار الشواهد، لبيان وجهة ما

بقلم: د. عبد الرحمن طالب
المعهد الوطني العالي للحضارة
الإسلامية - الجزائر -

لهم من بينات، وما نزل عليهم من وحى، وقد كانوا يجادلونهم بالحسنى.

الجدل المذموم:

الجدل المذموم عند الله ورسوله وصالحى المؤمنين العقلاء هو:

١ - جدل يقصد به تغطية الحقيقة وتغييبها، بدل إظهارها والدفاع عنها . قال الله تعالى[٤]: {ويجادل الذين كفروا بالباطل لِيُدْخِلُوا بِهِ الحق}.

٢ - جدل بدون حجج قاطعة، لم يركز على المستندات الثابتة من عقل متبصر، ونقل متفحص . وقد ذم الله هؤلاء الأقوام الذين يجادلون بدون سلطان، أي بدون برهان، ووصفهم بالكبر فقال[٥]: {إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم إن في صدورهم إلا كبراً ما هم ببالغيه}.

٣ - جدل لأسباب ذاتية، مثل سيطرة العادات والتقاليد، فالمجموعة البشرية إذا ألقت بنفسها الى العادات الجارية في الأوساط التي تعيش فيها، تصبح ترى أن المتعة كل المتعة في مسابقة ما عليه المجتمع الذي هو أحد أفرادها، قال الله تعالى حكاية عنها[٦]: {إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون}.

دور الجدل في التربية:

- عندما يُجادل الوثني والكافر ليخرجوا من الظلمات إلى النور تربية.

- عندما يزعج المسلم المسرف على نفسه من ضباب الذنوب إلى نور الطاعة والهداية تربية.

- عندما يُرقى المسلم إلى معارج المخلصين، ويزاحم بعمله الذين سبقت لهم الحسنى تربية وترقية.

وهذه العمليات كلها تتم بأساليب تربوية نص عليها القرآن، واستعملت في السنة النبوية،

وستأتي منها نماذج مختارة.

نماذج من آحاديت الجدل:

١ - الجدل مع حصين في وحدانية الله تعالى:

ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني قصة حصين الذي ذهب يجادل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال له الرسول[٧]:

- يا حصين كم تعبد من إله؟

- قال: سبعا في الأرض وواحداً في السماء.

- فقال: إذا أصابك الضر من تدعو؟

- قال: الذي في السماء.

- قال: فإذا هلك المال من تدعو؟

- قال: الذي في السماء.

- قال: فيستجيب لك وحده وتشركهم معه؟

أرضيته في الشكر أم تخاف أن يُغلب عليك؟

- قال: ولا واحدة من هاتين . قال: وعلمت أنني

لم أكلّم مثله .

- قال: يا حصين أسلم تسلم .

- قال: إن لي قوماً وعشيرة فماذا أقول؟

- قال: قل: اللهم إني أستهديك لأرشد أمري،

وزدني علماً ينفعني .

فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم .

كان السيد حصين - رضي الله عنه - ذا

حصافة في الرأي، يُرسل من قبل الناس

للمهمات الكبرى فينجح في حلها، ولذا اختارته

قريش ليجادل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

وذهب معتمداً على نكائه، وحسن تجاربه، ولكن

ما إن بدأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

يسأله: كم تعبد من إله؟ من تدعو؟ أرضيته في

الشكر أم تخاف أن يُغلب عليك؟ حتى غلب على

أمره، وارتجّ عليه، وسقط في يده، وعلم أنه لم

يكلم في سالف أيامه رجلاً مثل رسول الله

(صلى الله عليه وسلم)، لا من حيث العلم الحق،

ولا من حيث الجدل الهادف الصائب .

في أسلوب جدلي لطيف، رواها أبو أمامة فقال [١٠] «إن فتى من الأنصار أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال: أدنه، فدنا منه قريبا، قال فجلس.

قال: أتجبه لأمك؟

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال: أفتجبه لابنتك؟

قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم.

قال: أفتجبه لأختك؟

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

قال: أفتجبه لعمتك؟

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.

قال: أفتجبه لخالتك؟

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

قال: فوضع يده عليه قال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء».

لم يكن الفتى يلتفت إلى الزنا بعد هذا الجدل الهادف الهادي؛ لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما قال له أول الأمر: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم كأنه قال للفتى حيث أنك لا تحبه لأمك، فالناس أيضا لا يحبونه لأمهاتهم، وإذا كان ذلك كذلك فكيف آذن لك به، وكيف ترضاه لنفسك، لأن المزني بها هي لشخص آخر أم، أو بنت، أو أخت، أو عمه، أو خالة أو محرّم من محارمه. ولما غلب على أمر الفتى بالاحتكام إلى العقل، واقتنع بالجدل المنطقي الذي ليس

ولما علم الرسول (صلى الله عليه وسلم) توقّف الجدل عن اقتناع دعاه إلى الإسلام. ولما تعلل السيد حصين بكونه ذا قوم وعشيرة، وقد أرسله قومه إليه ليجادله، فماذا عساه أن يقول لهم إذا رجع إليهم، لم يجبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن سؤاله، وإنما أرشده إلى ما هو أهم، فقال له قل: «اللهم إني أستهديك لأرشد أمري، وزدني علما ينفعني»، وهذا من باب قوله تعالى [٨]: {يسألك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج}. قال الشيخ سليمان [٩]: «السائلون سألو ما بال الهلال يبدو دقيقا، ثم يزيد حتى يمتلئ نورا... سألوا عن سبب اختلاف القمر في ذاته فأجيبوا ببيان فائدة هذا الاختلاف، إشارة إلى أن هذا هو الذي ينبغي أن يسأل عنه» وكذلك كان جواب الرسول (صلى الله عليه وسلم) للسيد حصين، فبدلا من أن يلقنه جوابا لقومه، علّمه دعاء هاما، فيه كل الخير والهداية، وما إن نطق السيد حصين بالدعاء حتى هداه الله إلى الإسلام، وخرج مقتنعا بما فعل. وهذا هو الجدل الهادف. وأثر التربية فيه أوضح من الشمس، يتجلى ذلك في انسلاخ السيد حصين المجادل من ثوب الكفر القاتم، وارتداء لباس الإيمان الناصع.

٢- طلب الترفيع في الزنا:

كان الزنا متفشيا في الجاهلية، ولكن لم يكن كل الناس زناة، كما أن العفة والزواج النظيف كان موجودا، ولكن لم يكن كل الأشخاص أعفاء ومتزوجين، ولما جاء الإسلام حرم الزنا والمخادنة والاستبضاع، وترك الزواج الفطري المتعارف عليه، وثمة فتى لما علم بحرمة الزنا جاء يترخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الزنا كقضية استثنائية؛ لأنه رأى أن الاستثناءات في الأحكام موجودة في الإسلام، وهذه القصة التي جاءت

من الكاذبين ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين).

وفي الحديث الموالي غيرة وشك من رجل لم يفصح بالقذف، وبعد جدال منطقي اقتنع المرتاب، ورجع إلى زوجته مرتاح الضمير. وفي الحديث النبوي عن سيدنا أبي هريرة - رضي الله عنه [١٢] - أن رجلاً أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال يارسول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود.

فقال: هل لك من إبل.

قال: نعم.

قال: فما ألوانها؟

قال: رمك.

قال النبي {صلى الله عليه وسلم} أربماً جاءت بالبعير الأورق؟

قال: يارسول الله نعم.

قال: فأين ترى ذلك؟

قال: أراه نزعاً عرق.

فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} وهذا نزع عرق.

هذا الرجل الذي استنكر بقلبه ولده، وهو ضمضم بن قتادة، والسبب في الاستنكار هو اختلاف الألوان بين الأب والولد، فالأب السائل كان أبيض، والولد ولد أسود. ولما قال للرسول {صلى الله عليه وسلم} «إن امرأتي ولدت غلاماً أسود» علم قصده وإن لم يصرح بشيء، لا قذفاً ولا تهمة، وبدلاً من أن يقول له الرسول {صلى الله عليه وسلم} لأول وهلة: قد يأتي الولد مخالفاً لأبيه في اللون من دون برهان، استدرجه بأربعة استفهامات من محيط بيئته التي يعيش بين جنباتها، من الإبل الرمادية اللون التي تلد أحياناً البعير الأسود، ولما اعترف السائل بأن

فيه سباب، ولا إهانة ولا إزعاج؛ علم بأن الزنا ليس من المروءة بمكان، ولما علم الرسول {صلى الله عليه وسلم} بشهامة الفتى وغيرته على حريمه، تحقق بأنه ليس بديوث؛ لأنه لم يرض الفساد لمحارمه، وحينذاك دعا له بالمغفرة والطهارة والحصانة، فصادف الدعاء استعداد الفتى لذلك، وقبل الله الدعاء، وكانت النتيجة العفة عن المحرمات.

وفي هذا الحديث تربية فاعلة، تفيد في التربية والتعليم معاً، لما فيها من التدرج في الجدال من الأقرب الحميم التي هي: الأم أو البنت، إلى الأوسط المحترم التي هي الأخت، إلى ما بعده، وهي العممة والخالة، وكأنه {صلى الله عليه وسلم} يقول له: هذا الذي تطلب الرخصة فيه، فإنك بشهادتك هذه لا ترضاه لنفسك، فكيف ترضاه لغيرك؟

٢ = نزع عرق:

من شهامة المرء الغيرة على حريمه، فلا يرضى أن تصاب محارمه بأنثى في عرض أو جسم، والغيرة شعبة من شعب الإيمان، لكن الشك في عفة الحريم من دون سلطان بين، قد يؤدي بصاحبه إذا جهر به إلى اللعان، وحل العصمة الزوجية إلى الأبد، إذا كان القذف مُنصباً على الزوجة، أما إذا كان القذف موجهاً إلى غير الزوجة، فالجزاء هو حد الفرية ثمانين جلدة، قال الله تعالى [١١]: {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم، والذين يرمون أزواجهن ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان

مقامه من أمه، من كونه ابنها ويسكن معها ويخدمها.

وقد تكرر الجواب من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بوجوب الاستئذان على الأم في المرتين الأوليين، بدون ذكر علة الاستئذان، وفي المرة الثالثة أظهر سبب الاستئذان على شكل استفهام: أحب أن تراها عريانة؟ وهنا تجلت التربية النبوية في هذا السؤال المخرج المخل، ووقع الاقتناع.

والاستئذان كما يجب على الأم يجب على نوات المحارم كلهن: البنت، الأخت، العممة، الخالة، الجدة، بنت الأخ، بنت الاخت، وهكذا لأن العلة واحدة. أما الزوجة أو الأمة التي يحل النظر إلى عورتها، فلزواجها أو سيدها الدخول عليها بدون استئذان.

والجدل النبوي هنا أفاد السائل إفادة تربوية أخلاقية عظيمة، وأحدث في نفسه مروءة وأدبا مع أمه: إذ الإنسان مهما كان حميما أو قريبا أو صديقا يكره أن ترى سوءته، وما سميت العورة سوءة إلا لأنه يسوء المرء اكتشافها.

مع كل إنسان شيطان:

علم الناس بوجود الشيطان قديم، يرجع إلى زمن خلق أبينا السيد آدم عليه الصلاة والسلام، ولكن كون الشيطان موجودا مع كل إنسان، هذا هو الذي يجهله كثير من الناس، ولذا تعجبت السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - واستفهمت لما قال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أقد جاءك شيطانك؟»

وفي الحديث عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت [١٤]: «خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من عندي ليلا فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع.

فقال: مالك يا عائشة أغرت؟

هذا الاختلاف في اللون موجود في الإبل، بسبب وجود هذا اللون في الأصول البعيدة لهذا البعير، أقره الرسول (صلى الله عليه وسلم) على هذا العلم، ونبيهه إلى أن الغلام الأسود الذي استنكره هو الآخر نزعه عرق، وجاء أسود؛ لأن شخصا ما من أجداده الأبعدين كان يحمل هذا اللون. وهنا اقتنع السائل وقرت عينه بولده، ورجع معترفا بولده، ميرثا ساحة زوجته، كان ذلك بفضل الجدل النبوي المنطقي الهادي.

٣ - الاستئذان في الدخول على الأم:

كل عاقل يعلم بأنه من اللياقة والأدب، الاستئذان في الدخول على الناس في بيوتاتهم، ولكن قد يغفل المرء أحيانا فيظن الاستئذان خاصا بالأباعد، أما المحارم والأقارب فلا داعي للإعلام بالدخول عليهم، وهذا موضع الحديث الآتي.

عن عطاء بن يسار أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سأله رجل [١٣]: فقال: يارسول الله أستأذن على أمي؟ فقال: نعم.

قال الرجل: إني معها في البيت. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استأذن عليها.

فقال الرجل: إني خادمها. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استأذن عليها أحب أن تراها عريانة؟ قال: لا. قال: فاستأذن عليها.

تكرر السؤال من الرجل ثلاث مرات، من أجل توضيح مقامه من أمه، إنه ابنها، ويسكن معها، ثم هو مع هذا وذاك خادمها تحتاج إليه في كل حين، ولم يكن الرجل يسأل أو يجادل حبا في الجدل، أو معاندا للحق، إنما كان يريد أن يظهر

قلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟

فقال: أقد جاءك شيطانك.

قلت: يا رسول الله أو معي شيطان؟

قال: نعم.

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: نعم.

قلت: ومعك يا رسول الله؟

قال: نعم ولكن ربي أعانني حتى أسلم.

وقع بين السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وبين رسول الله [صلى الله عليه وسلم] استفسار، بسبب ما شاهده الرسول من اضطراب وقلق عند السيدة عائشة، فسألها الرسول [صلى الله عليه وسلم] عن قلقها، وهل نشأ ذلك عن غيرة؟ فأجابت باستفهام: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ ولكن الرسول [صلى الله عليه وسلم] لم يقرها على ما فعلت، ولح في سؤاله إلى أن ما عملته قد يكون من وسوسة الشيطان، وهنا اغتتمت السيدة عائشة الفرصة؛ لتسأل عن كون الشيطان موجودا معها ومع كل الناس؟ ثم تجرأت وسألت - قصد الإفادة - مرة أخرى عن إمكان وجود الشيطان مع الرسول [صلى الله عليه وسلم] نفسه أيضا، فأجابها نعم، ولكن الله أعانني عليه حتى أسلم (بضم الميم) من شره، وروي حتى أسلم (بفتح الميم) أي حتى أضحي شيطاني مسلما فلا يوسوس لي بشر. وهنا ينقطع الجدل، وتستسلم الزوجة الطاهرة راضية مرضية اقتناعا بالأمر الواقع.

٦- أيضا الجهاد للدين:

الجهاد أنواع: جهاد للدعوة الإسلامية، جهاد للغنيمة، جهاد للسمعة، جهاد للرياء، وفي الحديث [١٥]: «جاء رجل إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في

سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». إذاً الأنواع الثلاثة المسؤول عنها كلها باطلة ولا تسمى جهادا، وبقي الجهاد الخالص لوجه الله الذي لا يراد منه إلا نصر الإسلام، ولكن هناك نوع آخر من القتال غمض شأنه على بعض الصحابة، فسأل عنه الصحابي مقداد بن الأسود - رضي الله عنه - فقال [١٦]: «قلت يا رسول الله، أ رأيت إن لقيت رجلا من الكفار فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أفأقاتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال: لا تقتله».

فقلت: يا رسول الله إنه قطع يدي.

قال: لا تقتله، فإن قتلته، فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلة قبل أن يقول كلمته التي قال: «الصحابي مقداد سأل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] عن قضية خطيرة، كافر محارب يقطع يد مسلم، ثم يعلن الإسلام بعد اليأس من النجاة، ويحجبه الرسول [صلى الله عليه وسلم] بعدم شرعية القتل؛ لأنه أعلن الإسلام، ولكن السيد مقداد يتعجب من هذا الأمر، فيجادل للتأكد من فهم الفتوى فيقول، إن الكافر كان محاربا، وقد قاتلني فقطع يدي فعلا، ويحجبه الرسول [صلى الله عليه وسلم] بما معناه إن قتلته بعد إسلامه صار دمك مباحا بالقصاص، كما أن دم الكافر مباح بحق الدين، فوجه الشبه إباحة الدم وإن كان الموجب مختلفا؛ لأن الشارع - عليه الصلاة والسلام - ليس له غرض في إزهاق الروح، بل في الهداية والإرشاد، فإن تعذرت بكل سبيل تعيين إزهاق الروح، لزوال مفسدة الكفر من الوجود».

والتربية في هذا الحديث أن الجهاد أو التأديب لا يكون لغرض الانتقام والتشفي، ولا

روى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - حديثاً للرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا طرف منه [١٩]: «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض». المؤمن الحق لا يحتاج إلي دليل من الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنه الصادق الأمين، ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعطي الدليل أحياناً لمخاطبيه من دون طلب: حتى يقتنع عقله بعد ما كان قد اطمأن قلبه. وليعلمهم - كيفية تبين الدعوة الإسلامية - بالأدلة والبراهين المقبولة. ولهذا وبعد ما قدم التشبيه البليغ الذي صير فيه الغضب جمرة محرقة، أقام دليلاً منطقياً محسوساً، وهو احمرار العينين، وانتفاخ الودجين. وأرشد إلى علاج هذا الغضب القاتل الذي لا ينشأ عنه إلا الفساد، بالجلوس إلى الأرض «فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض»، فالجلوس يقلل من الهيجان والاضطجاع يذهب، وفي حديث الصحابي أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه [٢٠]: «أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع».

٢١ فضي البصر:

عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت [٢١] كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) احتجبا منه، فقلنا يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟»

للعصبية والحمية، ولا لنيل شيء من متاع الدنيا: مسؤولية كانت أو مالا، والشخص بمجرد نطقه بالشهادتين هو أخ مسلم، لا يُقتل ولا يُخذل، وله ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما على المسلمين من الواجبات.

نماذج أخرى من الهجاج بالمنطق الفطري:

النماذج التي قدمت في الأحاديث السابقة، كان فيها جدال بين اثنين، ولكن النماذج التالية ليس فيها جدال ولكنها أحاديث قدمها الرسول (صلى الله عليه وسلم) لسامعيه، بحجة المنطق الفطري والوجداني الذي يملك النفس من قريب ويقنعها حتى لا تجد سبيلاً لإطالة اللجاج.

١ هديت الفطرة:

عن الصحابي أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [١٧]: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، ثم يقول: أقرأوا [١٨]: «فطرة الله التي فطر الناس عليها» فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها، قالوا يارسول الله، أفرأيت من يموت صغيراً؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين».

في هذا الحديث يأخذ البيان قضية الفطرة من القرآن الكريم، فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالمولود يولد سليم الفطرة، مهياً لما يلحق له من خير أو شر، فينقله أبواه إلى دينهما؛ بما يبتأن في قلبه من ألوان العقيدة والسلوك، مثله مثل البهيمة التي تولد مستجمعة الخلق، سليمة القرون، كاملة الأعضاء، فيتناولها صاحبها بالجدع أو الوسم فيغير ويشوه ما كان بريئاً من العيب، وبهذا الاستفهام التقريري يكون الجواب تصديقاً وإذعاناً ملزماً بالاعتناع.

إسلام الحصين، وإسلام خبيب، عفة الفتى عن الزنى، اعتراف المتشكك بولده الأسود، وتبرئة ساحة زوجته، رضى الولد البار بالاستئذان على أمه، الاقتناع بفطرة المواليد، ضرر الغضب ومعالجته، غش البصر عن الأجانب حتى ولو كان المنظور إليهم عُمياً، لقد استسلم الصحابة - رضوان الله عليهم - في كل ما ذكر، لواقع الأمر المنطقي، الذي يُثَلِّج الصدر، ويريح الضمير، ويظمنن إليه القلب السليم.

الهوامش:

- (١) حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات مطبعة الطليبي/ ١٣٨١ مائة جلد.
- (٢) محمد بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، بدون ذكر المطبعة ولا تاريخ الطبع.
- (٣) محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، الشركة التونسية للكتاب، تونس/ ١٤٠٠ هـ، صفحة ٧.
- (٤) سورة الكهف، الآية/ ٥٦.
- (٥) سورة غافر، الآية/ ٥٦.
- (٦) سورة الزخرف، الآية/ ٢٢.
- (٧) ابن حجر، الإصابة، مطبعة محمد مصطفى، مصر/ ١٣٥٨ هـ، الجزء ١ ص ٣٢٧.
- (٨) سورة البقرة، الآية/ ١٨٩.
- (٩) سليمان بن عمر الشهير بالجمال، الفتوحات الإلامية، المكتبة التجارية الكبرى، بدون تاريخ، الجزء الأول، صفحة ١٥٢.
- (١٠) ابن حنبل، المسند، الجزء الخامس، صفحة ٢٥٧.
- (١١) سورة النور، الآيات/ ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩.
- (١٢) الإمام أحمد المسند، الجزء الثاني، صفحة ٤٠٩، البخاري، الصحيح، كتاب الطلاق، الباب ٢٥.
- (١٣) الإمام مالك، الموطأ، كتاب الجامع، باب الاستئذان، الحديث الأول.
- (١٤) الشيخ منصور علي ناصف، التاج الجامع للأصول، الجزء الخامس، صفحة ٢٢٢، والحديث رواه الإمام مسلم.
- (١٥) الإمام البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، الباب ١٥.
- (١٦) الإمام البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، الباب ١٢.
- (١٧) الإمام البخاري، الصحيح، كتاب القدر، الباب ٢، وكذا الإمام مسلم، الصحيح، كتاب القدر، الحديث ٢٤.
- (١٨) سورة الروم، الآية/ ٢٠.
- (١٩) الإمام الترمذي، الجامع، كتاب الفتن، الباب ٢٦، وكذا ابن حنبل، المسند، الجزء الثالث، صفحة ١٩ - ٦١١.
- (٢٠) المافظ المنذري، الترغيب والترهيب، الجزء الرابع، صفحة ٢٢٩.
- وقال رواه أبو داود، وابن حبان في صحيحه.
- (٢١) محمد بن علاء الصديقي، دليل القالعين لطرق رياض الصالحين للإمام النووي، باب تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية، مطبعة الحايي، مصر، بدون تاريخ الطبع، الجزء الرابع، صفحة ٤٧٨.
- (٢٢) سورة النور، الآية/ ٢٠.
- (٢٣) نفس المصدر السابق، الآية/ ٢١.
- (٢٤) سورة الأحزاب، الآية/ ٥٣.

الشرع الإسلامي أمر بغض البصر عن الأجنبي والأجنبية، قال الله تعالى [٢٢]: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم}.. وقال [٢٣]: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن}.. ولكن لما دخل الصحابي ابن أم مكتوم على زوجته الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم تحتجبا منه، بعد نزول آية الحجاب التي تقول [٢٤]: {وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب}.. فأمرهما الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالاحتجاب، فأجابتا بأن الداخل عليهن أعمى لا يبصر، ولا يعرف الزوجتين الطاهرتين، فنبههما الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى ما غفلتا عنه، وهو أن الله تعالى لما أمر بغض البصر، أمر الرجل والمرأة معا، وهذا التنبيه والارشاد جاء عن طريق الاستفهام «أفعميانا أننا؟» «ألستما تبصرانه؟» الحجة جاءت منطقية لا تقبل اللجاج، ولا تسمح به، واقتنع العقل السليم بهما، بعد ما ثلج الصدر لذلك، إنه المنطق السليم الشافعي، والأدب الرباني، الذي تلقاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من ربه، وأصبح له سلوكا عمليا بين المؤمنين. وتأثر به الصحابة رضوان الله عليهم فمشوا على منهجه القويم.

خلاصة أثر الجدل في التربية:

- أول ما يلتفت الانتباه في الجدل هو:
- أن التربية فيه تؤخذ عن اقتناع وارتياح.
- إما لكون الجدل فيها جاء عن حسن تسلسل الاستقهادات، وتعددها وترقيتها.
- وإما لكون الحجاج فيها جاء بحجة المنطق الفطري والوجداني، الذي يملك النفس من قريب ويقنعها، فلا تستطيع اللجاج وتستسلم للحق.
- وأحسن دليل على أثر الجدل في التربية وإفادته، ما وجد في تلك النماذج المعروضة آنفا:



أحسن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بوعكة المرض الذي ألم به في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة وجعلت الآلام تشتد وطأتها عليه يوماً بعد يوم، وتمكنت الحمى منه، وتصعدت حرارتها في سائر أعضائه حتى أن عمر بن الخطاب دخل عليه وهو محموم، فوضع يده عليه فقبضها من شدة الحر، وبدأت قواه تتلاشى شيئاً فشيئاً حتى حل الاجل ووقع المحتوم يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول.

رثاء المصطفى في الشعر

النبي [صلى الله عليه وسلم] حتى قال قائل من الناس: فو الله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت، حتى تلاها أبو بكر، فإنما هي في أفواههم. وعم الناس الحزن وفهم الأسى، فضجت أجواء المدينة بالنشيج والبكاء، وارتفعت اصوات الشعراء في أرجاء المعمورة، معبرة عن مشاعر أصحابها الحزينة، مفصحة عن لوعة أفئدتهم. وقد وردت إلينا صور كثيرة من هذه الاشعار الباكية الحزينة.

محمد جبهة العودات - الاردن -

والشعر الذي بين أيدينا من مرثي الرسول يجمع بين شعر العاطفة الخاصة، المعبرة عن شعور الشخص، وبين شعر الرثاء العام، المعبر عن عظم المصيبة في فقد، وخسارة الامة بفراقه. وخير ما يمثل النوع الاول قصيدة السيدة فاطمة، فهي تقطر أسى وحزناً، وتتفجر عاطفة ولوعة، فكل بيت فيها يقطر دمعاً بل دماً، فالحزن يجري في قلبها وفؤادها، ويتمثل في حركاتها وسكناتها بل في كل بيت من أبيات قصيدتها:

قد كنت ذا حمية ما عشت لي
أمشي البراح وكنت أنت جناحي
فاليوم اخضع للضعيف وأتقي
منه وأدفع ظالمي بالراح
يارب صبرني على ما حل بي
مات النبي وانطفأ مصباحي

* وقد حاول بعض الشعراء عبثاً تسليتها

ولحق بجوار من اختاره واصطفاه، وتسرب النبا الفادح من البيت المحزون وفزع المؤمنون لهذا النبا، وأظلمت أفاق المدينة، وكادت تريخ أبصار من فيها من المؤمنين، وافقد الهلع كثيراً من المسلمين وعيهم، فلا يدرون ماذا يفعلون، فدخلوا على النبي عليه الصلاة والسلام في بيت عائشة، ينظرون إليه فقالوا:

كيف يموت وهو شهيد علينا ونحن شهداء على الناس، فيموت ولم يظهر على

الناس؟ لا والله ما مات، ولكنه رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى بن مريم، وليرجعن. وتوعدوا من قال أنه مات، ونادوا في حجرة عائشة وعلى الباب: لا تدفنوه؛ فإن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] لم يمت.

وأقبل أبو بكر فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل بيت عائشة فيمّم رسول الله وهو مسجي ببرد، فكشف الثوب عن وجهه، فاسترجع، فقال: مات رسول الله. ثم تحول من قبل رأسه فقال: وانبيه، ثم حذر فمه فقبل جبهته، ثم سجّاه.

ثم خرج الى الناس في المسجد، وقام فيهم خطيباً فأقبل الناس اليه، ثم قال: أما بعد: فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تبارك وتعالى: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين]. فلما تلاها أبو بكر أيقن الناس بموت

الشمس، وخبا البدر، وتزعزعت الآطام، وانهدت الجبال، واقلعت النخيل كما يقول أبو ذؤيب الهذلي:

كسفت لمصرعه النجوم ويدرها

وتزعزعت اطام بطن الا بطح

وتزعزعت اجبال يثرب كلها

ونخيلها لخطب مفدح

* وفي رثاء السيدة فاطمة شاركت الطبيعة ايضا فآغبرت آفاق السماء، وكورت الشمس، وظلم النهار، واضطربت الارض:

إغبر آفاق السماء وكورت

شمس النهار وظلم العصران

فالارض من بعد النبي كئيبة

أسفاً عليه كثيرة الرجفان

* وشاركت الارض المسلمين في مصيبتهم، فمالت جوانبها ومادت تحت أرجل المسلمين في رثاء ابي سفيان بن الحارث:

لقد عظمت مصيبتنا وجلت

عشية قيل قد قبض الرسول

واضحت ارضنا مما عراها

تكاد بنا جوانبها تميل

* وأوضحت هذه المراثي ما سوف يتبع فقد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من انقطاع الوحي الذي كان يتنزل على قلبه الشريف، فكعب بن مالك أكد أن فقدته يعنى انقطاع الوحي الذي كان يهبط عليه في حياته، وما دام محمد عليه السلام قد انتقل الى الرفيق الاعلى ، فلا أمل بعد ذلك اليوم في هذا النور الذي كان يعم الكون ويشمل العالمين:

ألا أنعي النبي إلى من هدى

من الجن ليلة اذ تسمعوننا

لفقد النبي إمام الهدى

وفقد الملائكة المنزلينا

* واتى حسان على هذا المعنى بعد أن مهد له بالحديث عن فداحة الرء وعظم المصيبة، فقال:

وهل عدلت يوماً رزية هالك

رزية يوم مات فيه محمد

تقطع فيه منزل الوحي عنهم

وقد كان ذا نور يغور وينجد

* وتطرق ابو سفيان بن الحارث الى هذا المعنى في مراثيه أيضاً فقال:

وتصبيرها، لعلها تخفف من تلك اللوعة، وتطفيء بعض النيران الملتهبة بين جنبها، فخطابتها هند بنت أثنائه بقولها:

أفطم فاصبري فلقد أصابت

مصيبتك التهام والنجودا

وأهل البسر والابحار طراً

فلم تخطئ مصيبتك وحيداً

* وقد أحسن حسان في تصوير ما أصابه عند فقد رسول الله، فصور حاله بأنه أصبح بعد فقدته وحيداً في صحراء قاحلة يكاد يقتله الظم بعد أن كان في ماء ونهر فقال:

يا أفضل الناس إني كنت في نهر

أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

* وصور غنيم بن قيس المازني أثر فقد الرسول في نفسه فقال:

ألا لي الويل على محمد

قد كنت في حياته بمقعد

وفي أمان من عدو معتد

* اما الصديق - رضي الله عنه - فقد ضاقت عليه الديار، ووهنت منه العظام، ودفن حبه وبقي منفرداً وهو حسير:

لما رأيت نبينا متجدلاً

ضاقت علي بعرضهن النور

وارتعت روعه مستهام واله

والعظم مني واهن مكسور

أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى

ويقيت منفرداً وأنت حسير

* وتفن الشعراء في النوع الثاني من الرثاء، وهو تبيان أثر فقدته على المجتمع والناس، واجادوا في صوره، فأبدت السيدة صفية بنت عبد المطلب تخوفها مما سيحل بالمسلمين من الاضطراب إثر فقدته فقالت:

لعمرك ما ابكي النبي لفقده

ولكن لما اخشى من الهرج أتيا

* أما أبو الهيثم بن التيهان فانه كنى عما أصاب المسلمين من ذل لفراقه بقوله:

لقد جئمت اذاننا وانوفنا

غداة فجئنا بالنبي محمد

* وحاول الشعراء أن يشرحوا العوالم الطبيعية رزء المصاب، فهي تحس وتتألم لفراقه، فانكسفت

فقدنا الوحي والتنزيل فينا

يروح به ويغسلو جبرئيل

* وتعيد الخصال وتسجيل المناقب من السبل التي سلكها معظم من رثى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذكروا مناقبه، وعددوا فضائله، ونشروا محامده، وهو ما يسمى بالتأبين، ولكن جميع هؤلاء الشعراء تحدثوا بسيرة جديدة لم تكن تعرفها الجاهلية فيها الجد والتقوى والايمان، وفيها الخير والبر والوفاء، وبهذه المآثر والمناقب الجديدة كانت فاجعة الاسلام والمسلمين عند فقد الرسول الكريم عليه السلام.

فهذا كعب بن مالك يلح على عينيه ان تبكي رسول الله بدمع منهنم:

يا عين فابكي بدمع نرى

لخير البرية والمصطفى

على خير من حملت ناقه

واتقى البرية عند التقى

* وبكت السيدة اروى بنت عبد المطلب فيه البر والرحمة والهدى، فقالت:

ألا يارسول الله كنت رجلاً

وكنت بنا برأ ولم تك جافياً

وكنت بنا رؤوفاً رحيماً نبيناً

لبيك عليك اليوم من كان باكياً

* وحسان أكثر الشعراء ايثاراً لهذه الطريقة، فقد اطلق في عرض شمائله الكريمة وخصاله الحميدة:

إمام لهم يهتيمهم الحق جامداً

مطمئناً صدق أن يطيعوه يسعدوا

عفو عن الزلات يقبل عنهم

وان يحسنوا فالله بالخير أجود

وما فقد الماضون مثل محمد

ولا مثله حتى القيامة يفقد

* واستعان شعراء هذه المراثي في رثائهم للرسول بالبكاء، فطالما طلبوا الى أعينهم ان تتجدهم بالدموع، والى مآقيهم ان تسعفهم بالبكاء، فنشروا الدموع الغزار.

* واستهلكت هند بنت اثاث مرثيتها بقولها:

أيا عين بكى لا تملى

فقد بكر النعي بمن هويت

* ولم يكتف الشعراء بما صبت أعينهم من دموع، وما تفجر في مآقي المسلمين من بكاء، وإنما حاولوا

ان يشركوا جميع الكائنات والموجودات معهم في البكاء، فهذا حسان بن ثابت يذكر بكاء السماء والارض فيقول:

يبكون من تبكي السموات يومه

ومن قد بكته الارض فالتاس اكد

* واشرك عامر بن الطفيل الارض والسماء في البكاء ايضاً فقال:

بكت الارض والسماء على النور

الذي كان للعباد سراجاً

من هدينا به الى سبيل الحق

وكنا لا نعرف المنهاجاً

* واشرك مروان بن ذي عمير الهمداني جبريل مع الارض والسماء فقال:

إن حزني على الرسول طويل

ذاك مني على الرسول قليل

بكت الارض والسماء عليه

ويكاه خديماً جبريل

* وحاول الشعراء من خلال هذا الرثاء تأكيد هدايته لهم وأنه مصدر النور والاشراق، فشبهوه بالضياء تارة، وبالبدر المتلألئ حيناً، وبالسراج الوهاج حيناً آخر.

فهذه هند بنت اثاث تذكر هذه الاوصاف في رثائها فتقول:

قد كنت بدراً ونوراً يستضاء به

عليك تنزل من ذي العزة الكتب

* وأكدت السيدة صفية هذه الاوصاف فشبهته بالسراج المنير:

وسراجاً يجلو الظلام منيراً

ونبياً مسدداً عريباً

* ولم ينس من رثى رسول الله من الشعراء، أن يخصصوا نبينهم بالدعاء والصلاة والتبريك والتسليم خلال رثائهم له.

فحسان يتوجه الى الله سبحانه أن يصلي وملائكته والطيبون على حبيبه فيقول:

صلى الإله ومن يحف بعشرته

والطيبون على المبارك أحمد

* وتدعو له اروى بنت عبد المطلب بالسلام والجنان:

عليك من الله السلام تحية

وادخلت جنات من العدن راضياً

* وخصه عبد الله بن سلمه الهمداني بالسلام كلما

هبت الريح وأزال النور الظلام، فقال:

فعليه السلام ما هبت الريح

ومسدت جنح الظلام نوار

* وسلكت السيدة صفية هذه الطريقة فبلغته
سلامها وسلام ربه كل بكرة وعشاء فقالت:

فعليك السلام منا ومن ربك

بالروح بكرة وعشياً

* واستنزلت عليه رحمة الله وسلامه، وحسن ثوابه
فقالت:

رحمة الله والسلام عليه

وجزاه المليك حسن الثواب

* وترضت عنه في الدنيا والآخرة ودعت له بالجنان
الخالديات فقالت:

رضي الله عنه حياً وميتاً

وجزاه الجنان يوم الخلود

* وتمنى هؤلاء الشعراء أن يفدوا رسول الله بكل
ما يملكون، بأنفسهم وأهليهم والمسلمين، فقالت
السيدة صفية:

ليت يومي يكون قبلك يوماً

انضج القلب للحرارة كياً

* أما سيدنا أبو بكر فإنه تمنى أن تقوم القيامة
بعد فقده، وألا يرى بعده مالا ولا ولداً فقال:

ليت القيامة قامت بعد مهلكه

ولا نرى بعده مالا ولا ولداً

نفسى فدأؤك من ميت ومن بدن

ما أطيب الذكر والاخلاق والجسدا

* وتمنى في مرثية أخرى أن لو غيب من قبل أن
يرجع بفقد صاحبه عليه الصلاة والسلام:

ياليتني من قبل مهلك صاحبي

غيبت في جدث علي صخور

* وتمنت السيدة فاطمة لو صادفت الموت قبل أن
يصل إليها نعي الرسول وغيبته الكتابان فقالت:

فليت قبلك كان الموت صانفا

لما نعت وحالت لوزك الكذب

* وأخيراً فما دام الموت حقاً، فلا مناص من
التسليم لله سبحانه، والرضا بقضائه في رسوله،
ولكن أتى للمسلمين أن يطيقوا فراق ربهم
ومن تغفل حبه في كل ذرة من أجسادهم، أتى لهم
أن يصبروا عن النور الذي غمر أفئدتهم والسعادة
التي ملأت عقولهم.

إن لقاءه أصبح حلم كل شاعر، ومصاحبته أمل كل
مسلم ومسلمة، فتمنوا أن يجمعهم الله به يوم
القيامة، ليسعدوا بجواره، ويأسوا بقربه فقال
حسان:

يارب فاجمعنا معاً ونبيينا

في جنة تثني عيون الحسد

في جنة الفريوس فاكتبها لنا

ياذا الجلال وذا العلاء والسؤدد

* ولم يتمن أبو بكر الصديق الموت إلا ليكون مع
الحبيب المهتدي عليه السلام:

فكيف الحياة لفقد الحبيب

وزين المعاشر في المشهد

فليت المصائب لنا كلنا

وكنا جميعاً مع المهتدي

وأخيراً نود أن نسجل بعض الملاحظات على هذه
المراثي، وهي:

(١) شيوخ المخطوطات التي قد تهبط أحياناً إلى
البيت الواحد، وربما يكون مرد ذلك إلى أن كثيراً من
شعر هذه المراثي قد امتدت إليه يد الضياع، والا
فليس من الممكن أن يرثي شاعر رسول الله ببيت
واحد، أو بيتين فقط.

(٢) مساهمة المرأة المسلمة بالقسط الأكبر
والنصيب الأوفر من هذه المراثي، ونحن لا نستكثر
ذلك على المرأة المسلمة، فمعروف أن المرأة أدق حساً
وأرق شعوراً من الرجل في مثل هذه الأحداث
والمناسبات وكتاب - مراثي شواعر العرب - يصور
مدى ما قدمت المرأة العربية في هذا الميدان.

(٣) انفراد بعض المصادر المتأخرة بإيراد بعض
هذه المراثي، مثل النخائر والأعلاق للباهلي ومناقب
آل أبي طالب لابن شهر آشوب، مما جعلنا متيقنين
بأن هذه الكتب أخذت عن مصادر لم تصل إلينا، وإلى
وصلت لقدمت لنا ثروة شعرية كبيرة، في هذا الباب
وغيره.

(٤) إغفال الطبري لجميع هذه المراثي مع توسعه
في أخبار الرسول [صلى الله عليه وسلم]، وإيراده
الشعر المناسب لجميع الأحداث التاريخية، وقد تابعه
في ذلك ابن الأثير في الكامل، بينما اقتصر ابن
هشام في سيرته على مراثي حسان فقط.



الرحمة
المهدة

لم يترك المصنفون والباحثون قديماً أو حديثاً جانباً من جوانب سيرة الهادي {صلى الله عليه وسلم} إلا وكتبوا عنه وبحثوا فيه، فقد كتب الكثير عن مولده {صلى الله عليه وسلم} ونسبه، ودلائل نبوته، وسيرته، وأفعاله، وأخلاقه ومناقبه، وشمائله، وأحكامه، وأقضيته، وتفسيره، وجوامع كلمه، ومعجزاته، وما مُدح به، وغير ذلك [١].

المزاج في حياة الرسول

{صلى الله عليه وسلم}

الشغف على لغتهم وأدابهم، إذ كانت العرب - كما يقول ابن إسحاق «إذا مدحت رجلاً قالت: هو ضحوك السن، بسأم العشيّات هش إلى الضيف، وإذا نمته قالت: هو عبوس الوجنة جهم المحيا كرية المنظر» [٢].

وفي الأسماء التي شاعت بين العرب مبرزة المكانة المميزة للضحك نذكر: بسأم، وضحأك، وبشير، وبشير، وفرحان فإذا كان للضحك هذه المنزلة

عند عامة العرب فكيف بمن كان معلماً

لل بشرية وأسوة حسنة في السلوك وقودة صالحة في الخلق؟

تعقبت هذا الموضوع في كتب السيرة، وفتت نظري عناية أصحاب السيرة بمزاج الرسول {صلى الله عليه وسلم} حيث أفرد بعضهم أبواباً خاصة لمزاجه {صلى الله عليه وسلم} كما صنع ابن الجوزي في «الوفا

ورغم ثراء مكتبة السيرة وغناها بالمؤلفات والدراسات التي غطت أدق تفاصيل حياته {صلى الله عليه وسلم} فإن هناك جانباً أحسب أنه لم يأخذ حقه من الدراسة والبحث، وأعني به المزاج في حياة الرسول {صلى الله عليه وسلم} فلطالما تساءلت: هل كان الرسول {صلى الله عليه وسلم} يمزح مع أصحابه؟ وهل كان يتقبل مزاحهم ودعابتهم؟ وكيف كان هديّه في ذلك اللون من ألوان السلوك الاجتماعي؟

إياه فرعون - سوريا -

الرسول {صلى الله عليه وسلم} والمزاج: لم يكن الضحك والمزاح من الأمور المستهجنة أو المذمومة عند العرب، بل كانوا على العكس من ذلك فهم أكثر الشعوب شغفاً بالضحك والفكاهة، وقد انعكس هذا

الربيعان - ١٤١٨ هـ
يوليو وأغسطس - ١٩٩٧ م

بأحوال المصطفى» والقسطلاني في «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» والخطبي في السيرة الحلبية.

كما لا يخلو كتاب من كتب الأدب من الإشارة إلى بشر الرسول ومزاحه، نذكر من هذه الكتب: نثر الدر للأبي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري والمستطرف في كل فن مستظرف للأبشيحي.

كما درج مصنفو كتب أدب الفكاكة على تصدير كتبهم بالحديث عن مزاحه [صلى الله عليه وسلم] كما صنع ابن الجوزي في «أخبار الظرفاء والمتماجنين» والحصري في «جمع الجواهر في الملح والنوادر».

ولعل أول من كتب في هذا الموضوع بشيء من التوسع والتفصيل هو محمد الغزي (المتوفى سنة ٩٨٤هـ) حيث ألف كتاباً طريفاً جمع فيه كل ما أثر عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] من إباحة المزاح والترخيص فيه، وما روي في مزاحه [صلى الله عليه وسلم] مع أصحابه، كما تعرض في كتابه هذا الذي عنوانه بـ«المزاح في المزاح» لمزاح بعض الصحابة الذين اشتهروا بالظرف والدعابة، وتعقب أخبار التابعين والعلماء والفقهاء الذين عرفوا بالمرح وحب الفكاهة [٢].

وتجمع كل تلك الكتب والمؤلفات على حبه [صلى الله عليه وسلم] للمزاح وتقبله للدعابة، إذ أن الصورة التي نستخلصها من مجمل تلك الكتابات هي صورة النبي دائم البشر، ضحوك السن الذي «يمازح أصحابه ويخالطهم ويحدثهم ويؤنسهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم، ويداعب صبيانهم

ويجلسهم في حجره» [٤].

وقد وصفه أصحابه بحب المزاح، فهذا عبد الله بن الحارث يصفه بقوله: «ما رأيت رجلاً أكثر مزاحاً من رسول الله [صلى الله عليه وسلم]» [٥]، وعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان النبي [صلى الله عليه وسلم] من أفكاه الناس [٦]، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: كانت في النبي [صلى الله عليه وسلم] دعابة [٧].

وقد أثر عنه [صلى الله عليه وسلم] قوله: «رُحُوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كُنت عمية» [٨].

فالدعوة إلى الضحك والمزاح إذن ليست دعوة إلى أمر مستتكر أو مذموم كما قد يعتقد البعض، فهذا رسولنا وقودتنا [صلى الله عليه وسلم] لم يعرف العبوس والتجهم طريقاً إلى وجهه الشريف، بل كان دائم البشر ضحوك السن، يمازح أصحابه ويذايعهم، يتفكه حيناً، ويطرب للفكاكة حيناً آخر، وفي ذلك حكمة بالغة لمسها الزرقاني عندما قال: «فلو ترك [صلى الله عليه وسلم] الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس لأخذ الناس أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء، فمزح [صلى الله عليه وسلم] ليمزحوا» [٩].

ومن هنا فقد ذهب أغلب الفقهاء إلى استحباب المزاح طالما روعيت فيه آدابه وشروطه الشرعية، وقد سئل سفيان الثوري: المزاح هجنة فقال: بل سنة لقوله [صلى الله عليه وسلم]: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً» [١٠].

أما ما ورد عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] في ذم المزاح والنهي عن المداعبة فقد

دعابة الرسول {صلى الله عليه وسلم}:
عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير، وكان له نُفَر يلعب به، فمات، فدخل النبي {صلى الله عليه وسلم} ذات يوم فراآه حزينا، فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نُفَره، فقال: يا أبا عمير ما فعل النُّفَر؟ [١٤].

والنُّفَر تصغير نُفَر وهو فرخ العصفور.
وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهراً كان يهدي للنبي {صلى الله عليه وسلم} الهدية من البادية، فيجهزه الرسول {صلى الله عليه وسلم} إذا أراد أن يخرج، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: «إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه» وكان النبي {صلى الله عليه وسلم} يحبه، وكان رجلاً دميماً فمشى {صلى الله عليه وسلم} يوماً إلى السوق فوجده قائماً يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال الرجل: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي فجعل لا يألوا ما ألصق ظهره بصدر النبي {صلى الله عليه وسلم} حين عرفه وجعل النبي {صلى الله عليه وسلم} عليه وسلم يقول: من يشتري العبد؟ فقال يارسول الله إذن والله تجدني كاسداً، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: «لكن عند الله لست بكاسد، أو قال: لكن عند الله أنت غال» [١٥].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: خرجت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم بعد ولم ابُدن، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالي حتى

حمله الفقهاء على الإفراط والمبالغة حتى في ساعات الجد أو على المزاح المبني على الكذب واختلاق الأمور، أو المزاح الخبيث، والدعابة السمجة التي تجرح النفس، وتخدش الحياء وتورث البغضاء والقطيعة بين البشر، فكل ذلك منهى عنه بلا شك، أما المزاح الذي نعنيه في هذا المقام فهو ذاك اللطيف البريء الذي لا يجرح ولا يؤذي، ولا يتخذ الكذب مطيةً ووسيلة، مزاحٌ ينهل من هدي الرسول {صلى الله عليه وسلم} القائل: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً».

والقائل أيضاً: «إن الله لا يؤاخذ المزاح الصادق في مزاحه» [١٦].

ولهذا نجد أن المزاح المروي عنه {صلى الله عليه وسلم} كله من نوع الكناية أو التورية.

ومن ذاك أن امرأة من الأنصار أتت النبي {صلى الله عليه وسلم} فقالت يارسول الله ادعُ الله أن يدخلني الجنة، فقال لها: «أما علمت أن الجنة لا يدخلها عجوز؟» فبكت، وفي رواية فصرخت، فتبسم الرسول {صلى الله عليه وسلم} وقال لها: «لست يومئذ بعجوز، أما قرأت قوله تعالى: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً، عُرِيّاً أُرْتَباً» [١٧].

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: احملني، فقال له النبي {صلى الله عليه وسلم}: «إني حاملك على ولد الناقة» فقال: يارسول الله ما اصنع بولد الناقة؟ إنّه لا يحملني فقال الرسول {صلى الله عليه وسلم}: «وهل تلد الابل إلا النوق!!» [١٨].

أسابقك، فسابقته فسببته فسكت عني ،
حتى إذا حملت اللحم ویدنت ونسيت خرجت
معه في بعض أسفاره فقال للناس: تقدموا،
فتقدموا: فقال لي: تعالي حتى أسابقك،
فسابقته فسببتي، فجعل يضحك ويقول:
«هذه بتلك» [١٦].

وعن خُواب بن جبیر قال: نزلنا مع رسول
الله [صلى الله عليه وسلم] مرَّ الظهران
(اسم موضع قرب مكة) فخرجت من خبائي،
فإذا نسوة يتحدثن فأعجبني، فرجعت
فأخرجت حلة لي فلبستها، ثم جلست معهن،
فخرج رسول الله [صلى الله عليه وسلم]
فقال: «أبا عبد الله ما يجلسك إليهن؟» فلما
رأيت رسول الله هبته واختلطت، فقلت: يا
رسول الله جمل لي شرد، وأنا ابتغي له
قيداً، قال: فمضى رسول الله وتبعته، فألقى
إلي رداءه ودخل الأراك فقضى حاجته
وتوضأ، ثم جاء فقال: أبا عبد الله ما فعل
شرادُ جملك؟ ثم ارتحلنا، فجعل لا يلحقني
في منزل إلا قال لي: «السلام عليك يا أبا
عبد الله، ما فعل شرادُ جملك؟»

فلما رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة
واجتبت المسجد ومجالسة رسول الله [صلى
الله عليه وسلم] فلما طال ذلك تحيَّنت ساعة
خلوة المسجد فخرجت إلى المسجد وقمت
أصلي، فخرج رسول الله [صلى الله عليه
وسلم] من بعض حُجره، فجاء فصلى ركعتين
خفيفتين، وطوَّلت رجاء أن يذهب عني، فقال:
«طوِّل أبا عبد الله ما شئت أن تطوِّل فلست
قائماً حتى تنصرف» فقلت في نفسي: والله
لا اعتذرني إلى رسول الله ولا يبرئُ صديري،
فلما انصرفت قال: السلام عليكم أبا عبد
الله، ما فعل شرادُ جملك؟ فقلت: والذي بعثك

بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت،
فقال: «رحمك الله» ثلاثاً ثم لم يعد لشيء
مما كان [١٧].

الهوامش:

(١) راجع: معجم ما أُلّف عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم]
للككتور صلاح الدين المنجد لتلق على ثراء مكتبة السيرة النبوية
وتتوقع مواضعها.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣٨١/٦.

(٣) يذكر الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه «معجم ما أُلّف
عن رسول الله أسماء ثلاثة كتب أخرى - غير المراح في المزاح -
تبحث في مزاح الرسول [صلى الله عليه وسلم] وهي:

- بيان صفة مزاح النبي [صلى الله عليه وسلم] لعلي بن سلطان
القاري.

- شفاء السقام في نوافره عليه الصلاة والسلام لشعبان بن
محمد الأثاري.

- مزاح النبي للزبير بن بكار.

لكن هذه الكتب شأن كثير من الكتب والمصنفات الأخرى لم
تصل إلينا... راجع ص ٢١٤ من الكتاب المذكور.

(٤) القسطلاني: المواهب اللدنية بالمعنى المصنوعة ٢٥٧/٢.

(٥) ذكره ابن الجوزي في الوفا بأحوال المصطفى ٤٤٥/٢، وقد
رواه الترمذي بلفظ: «ما رايت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله
[صلى الله عليه وسلم]».

(٦) قال العراقي: رواه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث
أنس يوجد في بعض نسخ مسند الزبارة زيادة مع ضاع.

(٧) الوفا بأحوال المصطفى ٤٤٩/٢.

(٨) ذكره السيوطي في الجامع الكبير بلفظ: ساعة وساعة وقال:
رواه الديلمي عن أنس.

(٩) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية: ٢٧٣/٤.

(١٠) رواه الطبراني عن ابن عمر بإسناد حسن والخطيب عن
أنس، وفي رواية عن أبي هريرة أنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك
تداعبنا: قال: «نعم، وإني لا أقول إلا حقاً» رواه أحمد والترمذي.

(١١) ذكره ابن الجوزي في الوفا من حديث عائشة: ٤٤٩/٢.

(١٢) قال الزرقاني: رواه الترمذي وابن الجوزي موصولاً عن
أنس، ورواه الحسن مرسلًا تارة بإسقاط أنس وتارة وصله بذكر
أنس، وقد رواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر من حديث
عائشة.

(١٣) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والبخاري في الأب
المفرد.

(١٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(١٥) قال ملا علي القاري في شرح المشكاة: رواه صاحب
المصابيح (أي البغوي) في شرح السنة، وكذا الترمذي في الشعائل
وابن حبان وصححه، وزاد الصافظ ابن حجر في الإصابة: الاسم
أحمد.

(١٦) رواه النسائي وابن ماجه.

(١٧) قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من رواية زيد بن
أسلم عن خُواب بن جبیر مع اختلاف رجاله ثقات.

سبعون وصيفا ووصيفة، فيعطي الله - تبارك وتعالى - المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله)، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب مع اختلاف في الرواية وبعض اللفظ. وحين نقول إن معاجم اللغة تعجز عن الإحاطة بوصف قصور الجنة، فإننا ننظر إلى قول الحق - تبارك وتعالى - {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}.

فالقصر بالصفة المتقدمة مما لم تره العيون ولا سمعته الأذان ولا خطر على قلوب البشر، لولا ما جاء في القصص النبوي عن صفات قصور الجنة وغرفها.

نقل القرطبي عن ابن وهب قال: أخبرنا ابن زيد عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [٢]: «إنه ليجاء للرجل الواحد بالقصر من اللؤلؤة الواحدة، في ذلك القصر سبعون غرفة، في كل غرفة زوجة من الحور العين، في كل غرفة سبعون بابا، يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنة سوى الرائحة التي تدخل عليه من الباب الآخر».

وروى الترمذي عن بريد بن الخصيب قال: أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فدعا بلالا فقال: (يا بلال بما سبقتني إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل عربي فقلت أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلت أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا من أمة محمد، قلت: أنا محمد، قلنا: هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فقال بلال: يارسول الله، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث إلا توضأت عنده،

تصور الجنة وغرفها وضيائها:

في اللغة العربية يطلق القصر على البيت الضخم الفخم المبني من الحجارة أو نحوها، ويجمع على قصور، قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا}.

وقصور الجنة أجل وأعظم مما هو في مفهوم اللغة حيث أوضحت السنة مفهوم القصر في الجنة في رواية عن الحسن قال [١]: سألت عمران بن حصين وأبا بكر - رضي الله عنهما - عن تفسير هذه الآية (ومساكن طيبة) فقالا: على الخبير سقطت، سألتنا عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: (قصر من لؤلؤ في الجنة، في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء، في كل بيت سبعون سريرا، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون، على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لونا من الطعام، في كل بيت

سنة ونعيمها (٢)

ينطق عن الهوى. ولا شك أن هذا البيان، وهذا الوصف الفريد هو توضيح وتفسير لما أجمله القرآن الكريم. وعندما نقف على التعبير البياني الذي جاء في القصص النبوي، ندرك مدى تأثيره وأثره في اللغة العربية واعطاء النماذج الأسلوبية والبلاغية لأئمة البيان الذين نهلوا من هذه اللغة الشاعرة.

ومن ذلك القصص ص ص رواه

الترمذي [ه] عن عبد الرحمن بن اسحاق، عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «إن في الجنة لغرفاً، يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ قال: لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام».

وروى الطبراني عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن في الجنة غرفاً، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام).

وقد تقدم في درجات الجنة قصة رويت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن أهل الجنة ليتراعن أهل الغرف من فوقهم كما يتراعن الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين».

ورأيت أن لله - تعالى - علي ركعتين، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} {بهما} هكذا نقل القرطبي السبق لبلال والقصر لعمر.

ونقل ابن قيم الجوزية [٣] عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن مغيث بن سمي قال: إن في الجنة قصوراً من ذهب، وقصوراً من فضة، وقصوراً من لؤلؤ، وقصوراً من ياقوت وقصوراً من زبرجد. وقال الأعمش عن مجاهد

عن عبيد بن عمير قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها.

وغنى عن البيان أن القصر يشتمل على أنواع من الغرف، وقد يطلق الجزء ويراد به الكل كما جاء في قول الله تعالى: (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا).

والغرفة في اللغة: العلية، وهي الحجرة في الطبقة الثانية من الدار وما فوقها، وتجمع على عُرف، وغرفات، كما في القرآن الكريم: (وهم في الغرفات آمنون) وكما قال تعالى: (لكن الذين اتقوا ربهم لهم عُرفٌ من فوقها عُرفٌ مَبْنِيَةٌ).

يقول ابن قيم الجوزية [٤] فأخبر أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلاقي بعضها فوق بعض، حتى كأنها ينظر إليها عياناً، ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية، أي لهم منازل مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها.

وقد وصف القصص النبوي غرف الجنة وصفا حقيقيا وديقاً معجزاً لا يتأتى إلا لنبي معصوم لا



بقلم:

أ.هـ. عبد الباقى
أحمد على هودة

- مصر -

(وهم في الغرفات آمنون) قال: (الغرفة من ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، أو درة بيضاء، ليس فيها فصم ولا وصل، وإن أهل الجنة ليتراعن الغرفة منها كما تتراعن الكوكب الشرقي أو الغربي في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعم).

وفي قصة مروية عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن المتحابين في الله - تعالى - لعلى عمود من ياقوته حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة، يضيء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا، يقول أهل الجنة بعضهم لبعض: انطلقوا بنا حتى ننظر إلى المتحابين في الله - عز وجل - فإذا أشرفوا عليهم أضواء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا، عليهم ثياب خضر من سندس، مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله - عز وجل -).

وينقل القرطبي [٧] عن صاحب عيون الأخبار قصة مرفوعة عن علي، رضي الله عنه، تصف حال المتقين منذ خروجهم من قبورهم حتى دخولهم الجنة. جاء فيها: (فينطلق بهم إلى قصور من فضة، شرفاتها من ذهب، يرى ظاهرها من باطنها من النور والرقعة والحسن قال: فيقول أولياء الله عند ذلك يارضون: لمن هذا؟ فيقول: هذا لكم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلولا أن الموت يرفع عن أهل الجنة لمات أكثرهم فرحاً، قال ثم يريد أحدهم أن يدخل قصره، فيقول له رضوان: اتبعني حتى أريك ما أعد الله لك، قال: فيمر به فيريه قصوراً وخياماً، وما أعطاه الله، عز وجل، قال: ثم يأتي إلى غرفة من ياقوتة، من أسفلها إلى أعلاها مائة ذراع، قد لونت بجميع الألوان على جنادل الدر والياقوت، وفي الغرفة سرير طوله فرسخ في عرض مثل ذلك، عليه من الفراش كقدر خمسين غرفة بعضها فوق بعض، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذلك قوله - عز وجل: [وفرش مرفوعة] وهي من نور والسرير من نور...).

وأورد البيهقي قصة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن في الجنة لغرفاً، فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها، قيل لمن هي يارسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام، وواصل الصيام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس نيام، قال: وما طيب الكلام؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ فإنها تأتي يوم القيامة لها مقدمات ومعقبات. قيل: وما وصال الصيام؟ قال: من صام شهر رمضان، ثم أدرك شهر رمضان فصامه، قيل: وما أطعم الطعام؟ قال: من قات عياله وأطعمهم، قيل: وما إفشاء السلام؟ قال: مصافحة أخيك وتحيته، قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: صلاة العشاء الآخرة).

وتوضح قصة نبوية أخرى بعض صفات غرف الجنة. فعن جابر بن عبد الله قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «ألا أحدثكم بغرف الجنة؟ قال: قلنا: بلى يارسول الله بأبينا أنت وأمتنا، قال: إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله، يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، قال: قلنا: يارسول الله لمن هذه الغرف؟ قال: لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام، قال: قلنا: يارسول الله ومن يطيق؟ قال: أمتي تطيق ذلك. وسأخبركم عن ذلك، من لقي أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدام الصيام، ومن صلى صلاة العشاء الأخيرة في جماعة، فقد صلى الليل والناس نيام، اليهود والنصارى والمجوس».

ومن القصص النبوية في وصف غرفات الجنة ما نقله القرطبي [٦] عن الترمذي الحكيم عن سهل بن سعد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله - تعالى: (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا) وقوله:

عن أبي موسى الأشعري، عن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: «إن للمؤمن في الجنة الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا» وفي لفظ: «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن» وفي لفظ آخر (الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون) والبخاري وحده في لفظ: (طولها ثلاثون ميلا).

وقد تحدث القصص النبوي عن المادة التي بُنيت منها هذه الغرف، والقصور والبيوت فهي: لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران وبعض القصور والبيوت والغرف في بعض الجنات: لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء، وحشيشتها الزعفران. وبعض البيوت - كبيت خديجة رضي الله عنها، من قصب أو من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت لا صخب فيه ولا نصب، وأرض الجنة مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة.

سلام للارتقاء للدرجات:

نعني بالسلام التي مفردها (سَلَّمَ) بضم السين وفتح اللام المشددة الوسيلة التي يرتقى عليها، ويسمى معراج، وهي مقسمة إلى درجات مفرد درجة وهي المراقبة من مراقى السلم، وتطلق الدرجة على المنزلة من منازل الرفعة. ويطلق على السلم مصعد وهو ما يوصل من طابق إلى طابق. وقد سبق الحديث عن القصور والغرف المبنية والدرجات العليا في الجنة والارتفاع الشاهق في الخيام. قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: [لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية]: أخبر - عز وجل - عن عبادته السعداء، أن لهم غرفا في الجنة، وهي القصور أي الشاهقة طباق فوق طباق، مبنيات محكمات مزخرفات عالياً.

وجاء في القصص النبوي عن صفة بيت المؤمن في الجنة بما يزيد من نعيم أهل الجنة وكرم الله لهم في دار الخلد، من ذلك ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال [٨]: (دار المؤمن في الجنة درة مجوفة، في وسطها شجرة تنبت الحلل ويأخذ بأصبعه، أو قال بأصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان) وعنه أيضا: (إن دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة فيها أربعون بيتا، في وسطها شجرة تنبت الحلل، فيذهب فيأخذ بأصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان).

هذه صورة حقيقية لقصور الجنة ودورها وغرفها، وهي كما قلنا لا تستوعبها معاجم وفقه اللغة، ولا يمكن لخيال البشر أن يقع على هذه الصور، ومن هنا ندرك أثر وتأثير القصص النبوي في الفن الأدبي والفن المعماري لدى المسلمين، وأثر ذلك على الأمم الأخرى التي نقلت عن الحضارات الإسلامية.

وتحدث القصص النبوي عن خيام الجنة. وأصل الخيمة بيت يتخذ الأعراب من الثياب أو عيدان الشجر، وتجمع على خيام وخيمات. وهذا المعنى اللغوي يختلف عما ورد في القرآن الكريم والقصص النبوي، فحين قال الله تعالى: ((أحور مقصورات في الخيام) عنى بالبيوت المصنوعة من اللؤلؤ المجوف ذات الأبواب الكثيرة والمساحات الواسعة نقل عن أبي الدرداء [٩] (الخيمة لؤلؤة واحدة، لها سبعون بابا كلها من در) وعن ابن عباس: (الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب).

قال ابن قيم الجوزية: وهذه الخيم غير الغرف والقصور، بل هي خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار. وقال ابن أبي الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد عن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان قال: ينشأ خلق الحور العين إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام.

وجاء في القصص النبوي في الصحيحين [١٠]

الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: {يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه}.

ونقل ابن كثير [١٢] عن الامام أحمد في رواية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: {من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، فإن حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها} قالوا يارسول الله أفلا نخبر الناس؟ قال: {إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفرج أو تنفجر أنهار {الجنة}.

وفي مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: {الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام} وقال ابن عفان {كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهار الأربعة، والعرش فوقها، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس} وفي بعض الروايات: {الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام}.

فرش أهل الجنة ولباسهم:

لا بأس من الاستئناس بتعريف الفرش من خلال ما جاء في معاجم اللغة العربية، لعل ذلك يوضح الفرق بين ما يخطر على الفكر وما يتعارف عليه الناس وبين ما يفسره القصص النبوي.

فالفرش: يعنى الفضاء الواسع من الأرض، وفرش الشيء: بسطه عليها، ويقال ذلك في الصغير الخفيف من النبات والحيوان.

ولكن مفهوم الفرش في الجنة يختلف عن ذلك الاختلاف، من ذلك ما جاء في قول الله تعالى [١٣] {وزياني مبثوثة} قال ابن عباس: الزياني: البسط ومعنى مبثوثة أي ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها، وجاء في تفسير قوله تعالى:

وقد وضع القصص النبوي وفصل في درج الجنة، ففي قصة عن ابن عباس [١١] رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «درج الجنة على عدد أي القرآن، لكل آية درجة، فتلك ستة آلاف ومائتا آية وستة عشر آية، بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض، وينتهي به إلى أعلى عليين، لها سبعون ألف ركن، وهي ياقوتة تضيء مسيرة أيام وليالي». وقالت عائشة - رضي الله عنها: {إن عدد أي القرآن على عدد درج الجنة، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن}.

وقد قدمنا في قصص درجات الجنة مجموعة من الروايات، ونزيد هنا في هذا المقام ما ذكره ابن وهب قال: أخبرني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أنه سمع عتبة بن عبيد الضبي يذكر عن حدثه، أن رجلا أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله، كم في الجنة من درجة؟ قال: {مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أول درجة منها دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من فضة، والدرجة الثانية دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ذهب، والدرجة الثالثة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد، وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هي إلا الله}.

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: {إن الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لو سعتهم}.

وفي القصص النبوي مكانة صاحب القرآن في الآخرة وعلو منزلته في الجنة، حيث يصعد إلى أعلى الدرجات بقدر ما يقرأ ويرتل من القرآن الكريم، ففي قصة خرجها أبو داود عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: {يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها}.

وعن ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري - رضي

وجاء في رواية عن أسماء بنت أبي بكر [١٦] - رضي الله عنها - عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (يسير الراكب في ظل الفن منها مائة سنة، فيها فراش الذهب، كأن ثمرها القلال، يعني سدره المنتهى).

ويوضح القصص النبوي لباس أهل الجنة وحليهم من الذهب والفضة والحريز المحلى بالدر والياقوت والزينة والترف الذي لا يقدر على وصفه وتفصيله إلا عن طريق السنة المطهرة. ففي الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه [١٧] قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (قال الله - عز وجل - أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)).

وقد أفرد ابن قيم الجوزية باباً تحدث فيه عن لباس أهل الجنة وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمازقهم وزيابهم. وجاء فيه عن أبي الدنيا عن كعب قال: (إن لله - عز وجل - ملكاً منذ يوم خلق يصوغ حلي أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة، لو أن قلباً من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس، فلا تسألوا بعد هذا عن حلي أهل الجنة) وعن أشعث عن الحسن قال: (الطة في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء).

وفي قصة نبوية عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لو أن رجلاً من أهل الجنة أطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم).

وتصف قصة أخرى حال أهل الجنة في الحلي والزينة وهي عن أبي هريرة [١٨] رضي الله عنه - قال: إن أبا أمامة حدث أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حدثهم وذكر حلي أهل الجنة فقال: (مسورون بالذهب والفضة، مكلون بالدر، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج

{متكئين على فرش بطائنها من استبرق} هو ما غلظ من الديباج أو الديباج المزين بالذهب. وقال عبد الله بن مسعود: هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر؟ وقال مالك بن دينار: بطائنها من استبرق وظاهرها من نور جامد.

ونسوق قصة نبوية تصف في إجمال بعض مظاهر الجنة، ففي رواية عن أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ألا هل من مشمر للجنة، فإن الجنة لا حصر لها، هي ورب الكعبة: نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد ونهر مطرد، وثمره نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية؟ قالوا: نعم يارسول الله، نحن المشمرين لها، قال: (قولوا إن شاء الله) قال القوم: إن شاء الله. وجاء في قصة رواها أبو سعيد الخدري [١٤] - رضي الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: (وفرش مرفوعة) قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام.

وفي قصة عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الفرش المرفوعة؟ فقال: لو طرح فراش من أعلاها لهورى إلى قرارها مائة خريف.

ومما يتصل بفرش الجنة ما جاء في قول الله تعالى: {متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان} وقوله تعالى: {فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة، ونمازق مصفوفة، وزرابي مبثوثة} وقد نقل ابن قيم الجوزية [١٥] أن الرفرف: رياض الجنة، والعبقري: عتاق الزرابي، وأهل المدينة يقولون: هي البسط، وأما النمازق فهي الوسائد. قال الكلبي: وسائد مصفوفة على الطنافس، وزرابي بمعنى البسط.

وقيل في معنى {متكئين} أي مستتدين على وسائد خضر من وسائد الجنة (وعبقري) أي طنافس ثمينة ثخينة مزخرفة، ينسج فيها بسط منقوشة بلغت غاية الحسن.

الملوك . شباب مرد مكحلون) وتبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء .

وروى الإمام مسلم قصة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) .

ومن القصص النبوي الذي يجري بطريقة الحوار، فيه السؤال والجواب، والتشويق إلى تقييد الفوائد ، وفيه السرد والوصف الدقيق الذي يشهد على حرص أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على نقل كل ما جاء عنه بأمانة وعناية لم تعرفها البشرية من قبل .

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا محمد بن أبي الوضاح، حدثنا العلاء بن عبد الله بن رافع، حدثنا حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمر قال: (جاء أعرابي حرمي فقال: يارسول الله أخبرنا عن الهجرة إليك أينما كنت، أم لقوم خاصة، أم إلى أرض معلومة إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس، فسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسيرا ثم قال: أين السائل؟ فقال: ها هو ذا يارسول الله، قال: الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر، فقام آخر فقال: يارسول الله أخبرني عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تضحكون من جاهل يسأل علما، فسكت النبي (صلى الله عليه وسلم) ساعة، ثم قال: أين السائل عن ثياب أهل الجنة؟ فقال: ها هو ذا يارسول الله، فقال: لا بل يشقق عنها ثمر الجنة) ثلاث مرات .

وفي معجم الطبراني عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن من كوكب دري في السماء، لكل واحد منهم

زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البضاء) .
وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لقد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، قال قلت يارسول الله وما النصف؟ قال: الخمار) .

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (إن الرجل ليتكي في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام، ويسألها من أنت؟ فتقول: أنا المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا، أناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب) .

ومن القصص النبوي الذي يصف لباس أهل الجنة ما روى عن يحيى بن كثير عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: [١٩] (ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى، فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء، أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن) .

وعن خالد الزميل أنه سمع أباہ قال: (قلت لابن عباس ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجرة فيها ثمرة كائنه الرمان، فإذا أراد له الله كسوة انحدرت إليه من غصنها، فانفلقت عن سبعين حلة، ألوانا بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت) .

وعن أبي سعيد [٢٠] عن رسول الله (صلى الله

تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ وليكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هدرًا كان أو ترتيلاً).

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق} أي لباس أهل الجنة فيها الحرير، ومنه السندس وهو رفيع الحرير، كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، والاستبرق منه ما فيه بريق ولعان، وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس.

ونقل ابن كثير [٢٣] ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (تبلغ الحلة من المؤمن حيث يبلغ الضوء).

وعن ابن عباس أنه قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وفروعها من ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم.

«الحديث صلة»

الهوامش:

- (١) القرطبي: التذكرة ص ٥٤٣.
- (٢) المرجع السابق ص ٥٤٤.
- (٣) حادي الأرواح ص ١٨١.
- (٤) المرجع السابق ص ١٧٨.
- (٥) المرجع السابق ص ١٧٩.
- (٦) التذكرة ص ٥٤٠.
- (٧) المرجع السابق ص ٥٧٩.
- (٨) التذكرة ص ٥٨٢.
- (٩) ابن قيم الجوزية: حادي الأرواح ص ٢٥١.
- (١٠) المرجع السابق ص ٢٥٠.
- (١١) التذكرة ص ٥٢٨.
- (١٢) النهاية في الفتن والملاحم ج ٢ ص ٢٦.
- (١٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٠٣.
- (١٤) التذكرة: الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٥٣٠.
- (١٥) حادي الأرواح ص ٢٤٧.
- (١٦) منتخب كنز العمال ص ١١١.
- (١٧) حادي الأرواح ص ٣١٩.
- (١٨) المصدر السابق ص ٢٤٠.
- (١٩) المصدر السابق ص ٢٤٢.
- (٢٠) المرجع السابق ص ٢٤٢.
- (٢١) أكيدر: ملك دومة الجندل.
- (٢٢) التذكرة ص ٥٢١.
- (٢٣) النهاية في الفتن ج ٢ ص ٣٢٣.

عليه وسلم) أن رجلاً قال له: يا رسول الله طوبى لمن رآك وأمن بك، فقال: طوبى لمن رآني وأمن بي، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني، فقال له رجل: وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها) قال أبو هريرة: (دار المؤمن في الجنة لأولؤة، فيها شجرة تنبت الحلل، فيأخذ الرجل بأصبعه - وأشار بالسبابة والإبهام - سبعين حلة، من منطقة باللؤلؤ والمرجان) وقال كعب: (لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما حملته أبصارهم).

وعن أنس بن مالك قال: (أهدى أكيدر دومة [٢١] إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) جبة من سندس، فتعجب الناس من حسنها، فقال: لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا).

ونقل القرطبي [٢٢] أن عطارد بن حاجب أهدى لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثوباً من ديباج، كساه إياه كسرى، فاجتمع إليه الناس، فجعلوا يلمسونه ويعجبون ويقولون: يا رسول الله، أنزل عليك هذا من السماء؟ فقال: (ما تعجبون! فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا - يا غلام اذهب بهذا إلى أبي جهم وجئنا بأنبيائته).

ويقص علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن أهل الجنة توضع على رؤوسهم التيجان بعد أن يلبسهم لباس الوقار والكرامة. ففى مسند الإمام أحمد عن أبي بريدة عن أبيه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان وأنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان أو غايتان أو فرقان من طير صواف، والقرآن يلقي صاحبه يوم القيامة، حين ينشق عنه قبره، كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك فيقول له القرآن: أنا الذي أظلمتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه

عبد بن الطيب (ت ١٢٥٠هـ)

شعراء
من التراث: (٣)

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحمها
تحية من أوليته منك نعمة
إذا زار عن شحط بلادك سلماً
فما كان قيس ملكه ملكاً واحداً
ولكنه... ببيان قوم تهدموا
فقد وصل في البيت الثالث إلى ما سمي
أرثى بيت قالته العرب [٢].

ولقد كان من الذين دخلوا الاسلام في
وقت مبكر، ولكنه لم يحتك بالرسول عليه
الصلاة والسلام، والرجال الأول، إنما كان
احتكاكه في الفترة التي تميزت بالفتوح في
عهد عمر - رضي الله عنه - ، وبالقادة الذين
انطلقوا لمجاهدة الفرس [٣]،
وفي هذه الفترة رأيناه يقول
قصيدة مشهورة رحبة رويت
في المفضليات وتبلغ واحداً
وثمانين بيتاً، وإلى قصيدة
أخرى تبلغ أبياتها الثلاثين،
وقد حيرت هذه القصيدة

بقلم:

أ.د. عبد بدوي

كلية الآداب
جامعة الكويت

الرواة إلى حد اعتبارها قصيدتين، ذلك لأن
فيها حديثاً عن حرب المسلمين مع الفرس،
وفيها حديث عن الشراب، ويبدو أنه قالها
في مرحلتين من العمر، فقد كان في المرحلة
الأولى يتحدث عن الهرب بالحب، وفي
المرحلة الثانية يتحدث عن الهرب بالشراب،
وفي ضوء هذا كان النسيج واحداً، وكانت
الصورة هي الخطوط الرئيسية للقصيدة التي
عرف بها، وفي الوقت نفسه وضع فيها كل

كان شاعراً مجيداً غير مكثر، وهو ينتمي
إلى تميم، وكانت في الجاهلية يقال لها: عبد
تيم، وتيم صنم كان لهم يعبدونه، وقد تألق
شعره في الجاهلية، ووصل إلى مدى كان
يقدره الكثيرون، ومما يروى في هذا أنه
اجتمع مع الزبرقان بن بدر، والمخبل
السعدي وعمرو بن الأهتم، وقد هيأوا
مجلساً، ونحروا جزوراً، واشتروا خمرأ
ببعر، وجعلوا يشوون، ويأكلون، ويشربون،
فقال بعضهم: لو أن قوماً طاروا من جودة
أشعارهم لطرتم، فتحاكموا إلى أول من
يطلع عليهم فطلع ربيعة بن خدار اليربوعي
فسروا به، وحكموه، فقال: أخاف أن
تغضبوا فأمنوه من ذلك.

فقال للزبرقان: أما أنت
فشعرك كلعن أسخن لا هو
أنضج فأكل، ولا ترك نيباً
فينتفع به، وقال لعمر: أما
أنت فإن شعرك كبر ودحبر،
يتلأل فيها البصر، فكلما
أعيد فيها النظر قصر البصر.

وقال للمخبل: وأما أنت فشعرك قصر عن
شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم.
وقال لعبد: وأما أنت فإن شعرك كمزادة
أحكم خرزها فليس تقصر ولا تمطر [٤]،
ومما يحفظ له في فترة الجاهلية أنه رثى
قيس بن عاصم التميمي في قصيدة
مشهورة جاء فيها:

وذكرنيها بعد ما قد نسيتها
 ديار عليها وإبل متبعق
 وقفتُ بها والشمس نون مغيبها
 قريباً فهج الشوق من يتشوق
 قليلاً فلما استعجمت عن جوابنا
 تَعَزَّيتُ عنها والدموع ترقرق
 فلا الدار تدنيها لنا غير فينة
 ولا حُبُّها عن شاحط النَّأْيِ يخلق!
 ثم لما أَسْنُ ورابه بصره رأيناه يقدم وصية
 لأبنائه:

ولقد علمتُ بأنَّ قصرى حفرة
 غبراء يحملنى إليها شرجم [٦]
 فبكى بناتى شجوهنَّ، وزوجتى
 والاقربون إليَّ، ثم تصدَّعوا
 أبْنَى إِنْى قد كبرتُ، ورابنى
 بصرى، وفيَّ لمصلح مستمتع
 فلئن هلكْتُ لَقَدْ بنيت مساعياً
 تبقى لكم منها مآثر أربع
 أوصيكم بتقى الإله فإنه
 يُعْطِي الرغائب من يشاء ويمنع
 ويبْزُرُ والكم، وطاعة أمره
 إنَّ الأبرَّ من البنين الأطوع
 إنَّ الكبير إذا عصاه أهله
 ضاقت يداه بأمره ما يصنع
 ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم
 إنَّ الضفائن للقرابة توضع
 واعصوا الذى يُزْجِي النمام بينكم
 مُتَّصِحاً . ذاك السمام المنقع [٧]

وهي قصيدة طويلة، وقد علق على بعض
 أبياتها الجاحظ، فقال: وهذا الشعر من غُرِّ
 الأشياء، وهو مما يحفظ [٨] كما استشهد

هل حبلُ خولة بعد الهجر موصول
 أم أنت عنها بُعِثَ الدار مشغول؟
 حلتُ خويلة في دار مجاورة
 أهل المدينة فيها الديك والغيل
 يقارعون رؤوس العُجم ضاحية
 منهم فوارس لا عزل ولا ميل
 وقد غلوتُ وقرن الشمس متفتق
 وبونه من سواد الليل تحليل
 إذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته
 لدى الصباح وهم قوم معازيل
 إلى التجار، فأعدانى بلذته
 رخو الأزار كصدر السيف مشمول
 حتى اتكأنا على فرش يزينها
 من جيِّد الرِّقْم أزواج تهاوليل
 فيها الدجاج وفيها الأسد مخدرة
 من كل شيء يرى فيها تماثيل
 فى كعبة شادها بان وزينها
 فيها نبالٌ يضيء الليل مفتول
 لنا أضيص كجذم الحوض هذمه
 وطء العراك ليه الزُّق مغلول
 والكوب أزهَرُ معصوبٍ بقلته
 فوق السباع من الرِّيحان أكليل
 لما نزلنا نصبنا ظل أخبية
 وفار بالحم للقوم المراجيل [٩]

٠٠ وقد عاش في هذه الفترة محارباً
 شجاعاً [٩] وفي الوقت نفسه كان يستمتع
 بحياته، ويمرح ما وسعه المرح، ولكن الأيام
 كانت تمضي به بعيداً، وكانت ترغمه على
 الجد، وعلى التعبير عن العالم الذى يعيش
 فيه، ومن هنا رأيناه يعيش على التذكر،
 وعلى ذكر الديار، فيقول على نحو ما جاء

ببياض البيض، وقال آخرون: مناديل اليمن كأنها نور الربيع، فلم يوافق عبد الملك على هذا وقال: بل مناديل أخى بنى سعد، عبدة بن الطبيب.

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية
وفار للقوم باللحم المراجيل
وردٌ وأشقرٌ ما يؤنيه طابخه
ما غيرُ الغلي منه فهو مأكول
نُمتُ قُمنا إلى جردِ مُسومة
أعرافهن لأبيدنا مناديل [١٣]

المهم أنه كان يستحضر صور المدركات الحسية عند غيبتها عن الحواس، دون التصرف فيها بزيادة، أو نقص، أو تغيير، أو تبديل، وذلك كاستحضار صورة حديقة رأيتها من قبل ٠٠ وإلى اختلاف الناس في الإدراك الحسي يرجع اختلافهم في التصور، والقدرة على التصوير [١٤]، وقد كان سعيد بن جبير يقرأ الآية «أكاد أخفيها» ويستشهد بقول عبدة بن الطبيب:
يخفي التراب بأظلاف ثمانية
فى أربع مسهن الأرض تطليل [١٥]

** وأخيرا فإذا كان لابد من وقفة عند قصيدته اللامية المشهورة، فالمعروف أنها تمثل إحدى ذرى توسيع البنية التوليدية، وأن الزخرفة ملأت كل شريحة من شرائحها، ثم إن البنية التوليدية تتبطن النص بدقة دون أن تنحرف، وهكذا تكون في النهاية قد وصلت بالبنية التوليدية إلى ذروتها من التنامي في كل مكوناتها، وهي

البحثري به، على ما جاء في النماذج [٩]، ومما يتصل بهذه القصيدة تركيزه على قضية الزمن والانسان في قوله:

إذا الرجال ولدت أولادها
واضطربت من كبر أعضاؤها
وجعلت أسقامها تعتادها

فهى زروع قد دنا حصادها [١٠]
* وقد احتج له بعض رجال اللغة على شرح بعض الكلمات، ثم إن البلاغيين قد اهتموا به، واستشهدوا بقوله:

والمرء ساع لأمر ليس يدركه
والعيش شح وإشفاق وتأميل

* على ما يسمى بصحة التقسيم [١١]، كما استشهد ابن رشيق له فى باب الرجز والقصيد [١٢]، وعد في الذين أكدوا لعلم البديع.

وأخيراً فإذا كان قد قيل: إنه كان عبداً أسود، وأنه كان في البدء من لصوص الرباب، فإن قضية سواده لم تشغله في شعره، فقد كان على ثقة بنفسه، كما أنه كان من الذين تمتعوا بحياتهم، فقد جمع بين الجهاد تحت راية الإسلام، والجهاد تحت راية الاستمتاع بالحياة، حتى ولو كان هذا الاستمتاع مناقضاً للمفاهيم الإسلامية، ولقد حفظ له أنه كان يترفع عن الهجاء، فالذين أخذوا عليه أنه كان لا يحسن أن يهجو قيل لهم: إنه ما أبى من عي، ولكنه كان يترفع عن الهجاء، ويراه صنعة، كما يرى تركه مروءة وشرفاً، ولعل أجمل ما قيل فيه أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه: أي المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر كأنها القشرة الملتزمة

العلماء

تبقى

دائماً

اختيارك

الثقافي

والفكري

بهذا التصعيد تجسد رؤيا أعمق احتدامية،
وأعنف مجابهة، فهي تضع الحيوية في
مقابل الذبول، وتُفجّر الانسان والحيوان
بالطاقة في سياق الموت، في مقابل العلاقة
المتوترة مع المرأة [١٦].

الهوامش:

- (١) الإصابة ١٠٠/٢، الموشع ١٠٨.
- (٢) الأغاني ١٦٣/١٨، الشعر والشعراء ٦١٣/٢ والذي
قال هذا عمرو بن العلاء في ديوان المعاني ١٧٥/٢.
- (٣) شعر الفتوح الإسلامية، النعمان عبد المتعال القاضي
١٨٠.
- (٤) شرح اختيارات الفضل للتبريزي، تحقيق فخر الدين
قباوه ٦٤٣/٢.
- (٤) قيل كان في جيش النعمان بن القرن الذين حاربوا
معه الفرس بالمداخن - معاهد التنصيص ١٠٢/٨.
- (٥) تحقيق مصطفى حجازي ص ٨٣ ط المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية.
- (٦) الشرجع: الضرب يشدّ بعضه إلى بعض كالسرير
يحمل عليه الموتى - المفضليات ١٤٨، ١٤٩.
- (٧) من المفضلية ٢٧، معاهد التنصيص للعباسي ١.
- (٨) كما احتج برأيه في عدم تعليم الصبي العداوة،
الحيوان تحقيق عبد السلام هارون ١٦٨/٤.
- (٩) الحماسة ص ٢٤٠ ط ١٦.
- (١٠) الوششيات لأبي تمام ص ١٥٦ ط ١.
- (١١) جاء في البيان والتبيين أن عمر بن الخطاب أعجب
من حسن ما قسم وفصل ٢٤١/١.
- (١٢) العمدة ١٨٢/١ طه دار الجيل كقولها:
يا كرتني بسحرة عواذلي
وعذلهن خيل من الخيل
يلمنني في حاجة نكرتها
في عصر أزمان، ودهر قد نسل
(١٣) يرى ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٦١٤/٢ أنه
أخذه من قول امرئ القيس:
نمش بأعراف الجياد أكفنا ... إذا نحن قمنا عن شواء
مضئب.
- (١٤) دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر
ص ٣٢ ط ١.
- (١٥) آمالي المرتضى: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
٢٣٣ - دار الكتاب العربي بيروت - ويخفى بمعنى يظهر.
- (١٦) الرؤيا المنقعة، د. كمال أبو ديب ص ٤٤٦، ط.
الهيئة العامة للكتاب.

عضلة المصطلح العلمي العربي (المصطلح السليبي نموذجاً)

والعلم، فلئن كنّا لا ننتج ما ناكل إلا بنسبة قليلة، فإننا في الوقت عينه لا ننتج المعنى أو لنقل بأننا لسنا منتجي معرفة. فنحن في كل الأحوال، والحق يقال، مستهلكون، والمقصود بالاستهلاك هنا هو استهلاك المعارف المختلفة الواقعة علينا، أما الاستهلاك السيء فمعناه عدم الاحاطة بهذه المعارف وتمحيصها.

وفضلاً عن هذا، يجب الاعتراف بفداحة التقصير من حيث قلة مواكبنا للتطور العلمي الحاصل في العالم، لا سيما في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية كاللسانيات على سبيل المثال التي نزع من اننا نعرف حالها في الوطن العربي. فعندما نستقرئ واقع تدريس اللسانيات في بلداننا، فإننا نلاحظ دونما عناء، بأن مدارس برمتها ونظريات برأسها حديثة لم تلج بعد حياض معاهدنا وجامعاتنا، من ذلك مثلاً نظرية الحديث أو التلطف كما يسميها البعض واللسانيات التداولية ونظريات الخطاب. وهذا بالطبع مما يجعل تدريسنا الجامعي موسوماً بالتخلف. وهذا الذي قدمناه يصدق بطبيعة الحال على التخصصات العلمية الأخرى.

وهذا التقصير الفادح في مواكبة المعارف المختلفة مردّه إلى:

أ - ضعف حركة الترجمة في العالم العربي:
عندما نمنع النظر في مدونة ما ترحم إلى العربية على جميع الاصعدة، نجد ان ما ترحم هزيل جداً. وهنا يحضرني ما ذهب اليه زميلنا المغفور له عمّار بلّحّسن من أن واقع الترجمة في العالم العربي لا يساوي البتة ما كان عليه من نشاط وازدهار على أيام المأمون مؤسس بيت الحكمة، حيث كان وزن الكتاب المترجم

«يجب التساؤل عن اللغة العربية في علاقتها بالانسية Humanism، على اختلاف الصراعات والظواهرات، إن الامة العربية جائعة ومريضة وجاهلة، فلا غرابة أن تكون لغتها مفككة العضلات هزيلة وضبابية في التعبير» [١] - ما دام أهلها كذلك - أما اللغة العربية في ذاتها فهي قوية ناضجة حيّة.

إن هذا التصدير - على قساوته - يروم في الواقع وضع الاشكالية المعالجة في صلب اشكالية أكبر، هي اشكالية التخلف والتبعية اللذين عليهما العالم العربي، فاشكالية المصطلح العلمي ليست في المحصلة سوى وجه واحد لهذه الازمة العامة.

والحال إن اشكالية المصطلح العلمي، من جهة أخرى، ترجمان للمنزلة التي هي عليها كل من الثقافة

محمد بيجاتي

- الجزائر -

**** اللغة تضعف بضعف أهلها ***

**** التبعية تولد الانحياز في كل المجالات ***

الكاتب المترجم	الكاتب المترجم
<p>- دي سوسير: محاضرات في اللسانيات العامة</p> <p>أ. مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة</p> <p>ر. بارت: مبادئ في علم الأدلة</p> <p>ج. موان: مفاتيح اللسانية</p> <p>ج. موان: تاريخ اللسانيات</p> <p>ب. جيرو: علم الدلالة</p> <p>ف. أرمانفو: المقاربة التداولية</p> <p>ك. لي فوك وآخرون: قضايا اللسانيات العامة</p> <p>ر. هدرسون: علم الاجتماع اللغوي</p> <p>فندريس: اللغة</p> <p>ج. كانتينو: دروس في علم أصوات العربية</p> <p>ن. تشومسكي: البنى النحوية</p>	<p>- أربع ترجمات: تونسية، لبنانية، مغربية عراقية.</p> <p>- ترجمتان: سورية وتونسية.</p> <p>- محمد البكري، المغرب.</p> <p>الطيب البكوش، تونس.</p> <p>بدر الدين قاسم، سوريا.</p> <p>منذر عياشي، سوريا.</p> <p>سعيد علوش، المغرب.</p> <p>- المنصف عاشور، الجزائر.</p> <p>- محمد عبد الغني، العراق.</p> <p>محمد الدوافلي ومحمد الخصاص، مصر.</p> <p>- صالح الفرموي، تونس.</p> <p>- يوسف عزيز، المغرب.</p>

ذهبا: [٢].

وهذا الذي قلناه عن اللسانيات يمكن أن يصدق

على الفلسفة. وهنا لمفر من الاستشهاد بأهل

الفلسفة، فأهل مكة كما يقال أدري بشعابها.

يقول د. محمد وقيدي، الاستاذ بجامعة

محمد الخامس بالرباط ما يلي:

«... لقد قلنا إن شرط الترجمة لا يوجد بما

فيه الكفاية وبذلك على قولنا بالإشارة إلى أن

عددا من كبار الفلاسفة (٠٠٠) غير حاضرين

باللغة العربية، ولا يمكن أن نتصور حوارا

فلسفيا فعلا في غياب هذه النصوص، كما لا

يمكن أن نتصور في غيابها وجود تعليم فلسفي

جاء: [٣].

ولكي نقيم الدليل على هذا الضعف، حسبنا

أن نعرض ههنا نتائج احصائنا للكتب المترجمة

في مجال اللسانيات:

تعليق: الحصيلة كما هو واضح هزيلة: ١٢

كتابا، علما بأن جلها هي من قبيل المصنفات

العامة التي تنهض بالتعريف بأهم المفاهيم

اللسانية العامة. وفي هذا الباب، لابد من

الإشارة إلى عدم انتشار الكتاب العربي عبر

الاقطار العربية، وهذا من شأنه أن يتسبب في

اهدار الجهود: فالكتاب الواحد قد يترجم

ترجمات عديدة.

ويقول في مكان آخر عن حضور الفلاسفة المعاصرين لنا بأنهم:

«ليسوا بأكثر حظا من سالفهم برغم صفة المعاصرة التي تربطنا بفكرهم. هناك لا شك مجهود يستحق التقدير قام به بعض المترجمين لكن ما هو موجود من الترجمات لم يخضع إلا لاستراتيجيات ثقافية عامة.. نجد في الزمن المعاصر أيضا فلسفات لم تأخذ عنايتها من المترجمين إلى اللغة العربية مع أنه كان لها التأثير القوي على مسيرة الفكر الفلسفي المعاصر مثل نيتشه وهيدجر وهابرماس وبرانشفيك كما لم تحظ بما تستحقه من أهمية الفلسفات التي فكرت أساسا في الثورات العلمية المعاصرة: كارل بوبر، الكسندر كوينر، جورج كانغيلام وتوماس كوهن وغيرهم»[٤].

ب - منزلة الثقافة والبحث العلمي في العالم العربي:

بالإضافة إلى ما قدمناه أعلاه، لابد كذلك من الإقرار بأن منزلة الثقافة والبحث العلمي غير خليقة بأن تُقضي إلى النهوض بهما، ذلك لأننا لا نزال ننظر إليهما على أنهما من قبيل الكماليات في حين أن الدول المتطورة - على تطورها البين - ما فتئت ترصد الأموال الهائلة لترقية البحث العلمي على جميع الأصعدة. وفي هذا الباب بالذات، يجدر بنا أن نقف قليلا عند التقرير الهام الذي أصدرته منظمة اليونسكو في سنة ١٩٩٤ حول واقع البحث العلمي ومنزلته في الحركة التنموية في العالم. وما يهمنا منه الأرقام التي وردت فيه والتي تتعلق بنسبة الدخل القومي العام المرصودة للبحث العلمي:

- اليابان: ٣.١.

- الولايات المتحدة الأمريكية: ٢.٨.

- الاتحاد الأوروبي: ٢.

- أوروبا الوسطى والشرقية: ١.٧.

- إسرائيل: ١.٧.

- كندا: ١.٤.

- نيوزيلندا.

- استراليا ونيوزيلندا الجديدة: ١.٢.

- الاتحاد السوفياتي سابقا: ١.١.

- الصين: ٠.٨.

- الهند: ٠.٨.

- أمريكا اللاتينية: ٠.٤.

- الشرق الأدنى والوسط: ٠.٤.

- المغرب العربي: ٠.٣.

لسنا - فيما نعتقد - بحاجة إلى التعليق على هذه الأرقام[٥].

٢ - في معضلة المصطلح العلمي:

لقد بدا لنا المدخل السابق هاما، ذلك أن مشكلة المصطلح ترجمان لأزمة التخلف التي نحن عليها. لكن يا ترى ماذا عسانا أن نضيف إلى مئات المقالات والدراسات التي عنيت بهذه الاشكالية؟ اننا والحق يقال لا نزعم بأننا سنقدم الطول الشافية لها، لكن حسبنا أن نشدد على أمرين نخالهما أساسين:

(أ) - ضرورة التخلص من التناول الحرفي العفوي الذي يسمُ العمل الاصطلاحي العربي في جميع المجالات والاختصاصات.

(ب) - مسألة المصطلح العلمي ليست حكرا على اللساني، فلا بد من اشراك المستعملين في شحذ المصطلحات، وهذا يعني وضع البعد السوسiolساني في الحسبان.

العنصر الأول:

ماذا نعني بضرورة التخلص من العمل العفوي الحرفي؟ نقصد بذلك أن العمل الاصطلاحي غالبا ما يقتصر على العمل الفردي المعزول، ومباشرة المصطلحات العلمية ونقلها بالنظر إليها ككلمات، مع ما يترتب عن ذلك من الذهول عن المحتوى المعرفي الخاص الذي

**** حركة الترجمة اليوم هزيلة وضعيفه ***

**** محدودية انتشار الكتاب العربي أضف الأداة منه ***

بعض المعلومات. ونقترح أن يُنقل إلى العربية بـ: الرصيد اللغوي أو الذخيرة اللغوية كما اقترح ذلك استاذنا الجليل د. عبد الرحمن الحاج صالح [٧].

العنصر الثاني:

أي البعد السوسيولساني، وهو عنصر مهم لانه من خلاله ينظر إلى المصطلح من حيث بعده الاستعمالي التداولي، فاللغة - أيا كانت - استعمال قبل ان تكون بنية مجردة. وهذا ما دفع بعض الاختصاصيين إلى القول: «إن الاعمال التوحيدية (أي التي تسعى إلى توحيد المصطلحات) لا يمكن أن تؤتي ثمارها اذا غضت الطرف عن واقع الممارسات اللغوية وشروط انتاج الخطاب» [٨].

ومعنى هذا لابد من العمل الاصطلاحي أن يضم إلى جانب اللسانيين والمختصين في المصطلحات المستعملين الحقيقيين بقصد الاستشارة واثراء العمل الاصطلاحي.

الهوامش:

- (١) د. محمد عزيز لحياي: أن نكون أو لا نكون تلك هي المشكلة، مجلة الاصاله، الجزائر، العدد ١٧، ١٨، ١٩٧٤، ص ٢٢٢.
- (٢) عماد بلحسن، عودة النص، حول ترجمة الادب، جامعة وهران، ص ٣.
- (٣) د. محمد وقيدى، الترجمة بوصفها ضرورة ثقافية، جريدة السلام، الجزائر، بتاريخ ١٧/١٦/١٩٩٥، الصفحة الاخيرة.
- (٤) د. محمد وقيدى، المرجع السابق.
- (٥) مجلة Jeune Afrique، العدد ١٧٥٩، من ٢٢ إلى ٢٨/٩/١٩٩٤، ص ٥٠.
- (٦) د. عبد القادر الفاسي فكري، اللسانيات واللغة العربية، الكتاب الثاني ١٩٨٥، ص ٢٢٠.
- (٧) F. Laroussi et L. Guespin, Glottopol: Tique standard: sation terminologique, La Basque des Mots n° 1989, P.8

تتطوي عليه، وهذا ما جعل د. عبد القادر الفاسي فكري يتحدث عن «غياب تمثيل نظري للقضية المصطلحية» [٦].

ومعنى هذا أن كثيرا من الأعمال المصطلحية تنسى أو تتناسى بأن المصطلح العلمي انما يندرج في صلب نسق معرفي ومفاهيمي يشد بعضه بعضا، وأن المحتوى المفهومي للمصطلح انما يستمد من هذه المنظومة الكلية، وحتى لا يظل كلامنا على هذا النحو من التجريد، لابد من إيراد بعض الامثلة.

١ - نظرية الـ e'nonciation:

ترجمها البعض بنظرية التلطف، وهي عندنا ترجمة غير صائبة، لأن المترجم ههنا انما احتفل بالمعنى الأول الذي توحى به كلمة (e'nonciation) وفاته أن المفهوم الدقيق الذي يرمي إليه صاحبه انما هو الحديث من حيث هو تحويل اللغة إلى خطاب يؤثر من خلاله المتكلم على المخاطب بشكل من الاشكال. نعتقد أن لفظ الحديث أكثر دلالة من التلطف.

ب - re'pertoire verbal:

مصطلح من المصطلحات التي يكثر تداولها في مجال صناعة تعليم اللغات وعلم الاجتماع اللغوي، ويعني مجموع الموارد اللغوية التي يتوفرها عليها الفرد (مثلا كأن يكون مالكا للعامة والفصحى ولغة أو لغات أجنبية) وقد نقله البعض إلى العربية بـ: السجل اللغوي، وهو نقل أخرق لأن المترجم ههنا أيضا نظر إلى re'pertoire من حيث معناه المتداول الشائع أي ذلك الدفتر الصغير الذي تدوّن فيه

لماذا نكتب للأطفال:

الردىء .. يأكل الجيد

يدفع المرء الى أن يتوقع فى عالم الطفولة، شاء أم أبى . وعلى سبيل المثال فكل هذه الجرائم

البشعة التى يرتكبها

الكبار إنما سببها

أنهم يشعرون بعدم

الأمان، ويحاولون

شراء المستقبل بأى

ثمن . وهذه الجرائم

البشعة هي من ضمن

لغات الكبار، أما

الصغار فهم لا

يرتكبونها وإذا فعل

بعضهم ذلك فبوحى

من الكبار .

وعالم الكبار، الذى

نرغم على الدخول

فيه، من حقنا أن

ننعزل عنه، اذا

اتاحت لنا الظروف

أن نفعل، وقد وجدت

ذلك فى الكتابة

للأطفال، ولا تعني الكتابة هنا هي الجلوس

أمام المكتب، وملء الصفحات البيضاء بكتابات

ساذجة، ولكن هو تفرغ البراءة التى فى الذات

إلى الآخرين سواء فى صورة

قصص، أو حكايات، أو

معلومات، ثم معاودة قراءتها،

وليس المقصود بعالم الاطفال هو ذلك الجسد

الصغير الذى يتوج به الصغار، ولا علامات

الزغب الذى ينتشر فى

الاجساد، ولكن هو

ذلك الشعور الانساني

البالغ البراءة الذى

يقوم فى الاساس على

رفض عالم الكبار، أو

الدخول فيه، ولذا فأنا

اتعامل مع الطفولة

باعتبارى لم أبلغ بعد

سن النضج الحسي .

ولذا فإن العلاقة بين

ما نكتبه، وبين

مشاعرنا الخاصة

يجب أن تكون

متكافئة، ومتسقة معا .

ومن المهم أن أعبر هنا

عن انتبازى لعالم

الكبار، وهروبي منه

الى عالم الصغار .

فبالغة بين الكبار تقوم على المصلحة،

والرغبة الشديدة والاعجاب بالذات على حساب

الآخرين، وما رأيته من لغة يستخدمها الكبار

من أجل اثبات ذواتهم ماديا،

ومعنويا، ومن أجل تأمين

مستقبلهم، أو مستقبل أبنائهم

لماذا نكتب للأطفال ؟

بالنسبة لي فالاجابة بالغة البساطة،

فأنا لا أكتب للأطفال الآخرين الا بعد

أن أكتب لهذا الطفل الذى بداخلي،

والذى لا أسعى إلا أن أدفنه وسط

السنين التى تطاردنى وتجعلنى أكبر

سنا يوما وراء يوم، وفي الفترة

الاخيرة بدأت بعض الشعيرات

البيضاء تزحف على الرأس . أي بما

يعني أن هناك انفصالا ما لا بد أن

يتولد بيولوجيا بين تركيب الجسم ،

وبين الأيام والسنين التى تمر، وبين

عالم الاطفال .

محمود قاسم - مصر -

**** عالم الصغار .. براءة كم ودهنا ألا نتجاوزها ..**

**** توقف من الكتابة للأطفال متى ما غادره الطفل الذي بداخلك ..**

**** المصلحة والأعجاب بالذات، مصطلحات لم ترحل إليها الطفولة بعد ..**

يحاول أن يطردها، وهناك بعض الكتاب يتقمصون هذه المتاعب والمعاناة من أجل الكتابة عنها . وبالنسبة لي فالكتابة نوع من اللذة الجماعية، أمارسها وأنا بالغ السعادة، التقي في لحظاتها بذاتي، وبالأخريين وأكتب ما يدفعه القلب إلى القلم، وأحاول أن أرتفع عن المستوى الحسي الذي أشعر به، ويسعى إلى أن يغلبني .

والسؤال هو ماذا نكتب للأطفال، ولماذا نكتب؟

لا بد أن يتذكر المرء وهو صغير حكايات داخل ذاته، ابتدعها، أو خلقها له آخرون، فعاش فيها لبعض الوقت قبل أن ينسلخ منها، وفي طفولتنا ذلك الخيال الواسع بأنك محور الكون، وأن هذا العالم إنما خلق لسعادتك ولتسليتك، وهناك ذلك الشبح الذي يأتي إليك عبر الجدران، فيقوم بأخذك معه إلى آفاق بعيدة، يجعلك تفعل أشياء ليست في مقدورك، كأن تطير بدون جناحين، أو أن تسبق طائرة نفاثة، أو أن تتناول العشاء مع نجم شهير أنت تحبه . وأشياء كثيرة .

وهذه الحكايات والتخيلات كثيرا ما تتفق مع ما يرويه لك الكبار أحيانا، وأيضا مع ما تعيشه مع الصغار من أمثال، فالواقع حولك .. أما .. الخيال فرائع، وعلى الصغير أن يصدق كل شيء . ان يصدق أن بطل الحكايات الاسطورية هو أكثر حقيقة من الاشخاص الذين يحيطونك .

كأن آخر هو الذي كتبها، وفي الكثير من الاحيان تراجع بروفات هذه الكتب، فنشعر بنفس مشاعر الصغار . كما أن الكتابة للأطفال هي التي قربت منى اطفال يأتون أجيالا بعد أجيال ويتجددون دائما، نلتقى بهم في المحاضرات، والندوات، والحدائق، وفي أماكن عديدة، نتناقش معهم ونحاورهم، ونعائشهم، فيمتد عمرنا الطفولي، أكثر . ويقصر عمرنا الناضج . والغريب أنني لا أقرأ الكثير من كتاب الاطفال، والسبب بسيط، ان أغلبهم محترف كتابة، وهو ايضا كبير يكتب للأطفال . ولذا فلست في حاجة الى أن أقرأ ما كتبه الكبار، بقدر ما أنا في حاجة ماسة لأن أطلع ما يبده الصغار . هؤلاء الذين يعيشون في صيرورة، فسرعان ما يكبرون، ويحاولون قدر الامكان طرد الطفل البريء من دواخلهم، فترى بعضهم يحاول تدخين السجائر، أو اطلاق زغب شاربه، للتأكيد على رفض طفولته، والهروب منه، فهو يتعجل أن يكون كبيرا دون أن يدرى أنه يدخل على مراحل الخطر بكل حذافيره، وهو مساق الى ذلك سوفا .

الكتابة هي في المقام الأول معاشية، دخول الى عالم الصدق، وسط زيف مكثف يحوطننا في كل مكان، وعندما يجلس الكاتب الى أوراقه، ويمسك قلمه، فإنه ينسلخ من أشياء كثيرة



ولذلك تصير صداقة وإعجاب بين أبطال الطفولة، وبين الصغار أكثر مما ستصير بين الاطفال من نفس السن على سبيل المثال. فهل يتذكر أحد منا صديق المرحلة الاولى من طفولته بنفس القدر الذي يتذكر به حكايات ألف ليلة وليلة، وأم الغولة، وأسماء كثيرة أخرى.

وأروع ما في هذا العالم هو سرعة تصديقه، ولماذا لا نصدق ومفردات الكذاب، بكل أشكاله، لا تعرف طريقها إلينا حتي تلك المرحلة، والغريب أننا نبدأ في الابتعاد عن كل هذا العالم بنفس الدرجة التي نتعلم بها أساليب الكذب، تلك العادة المحببة جدا للكبار.

لماذا لا ندع للصغار عالمهم؟ ولكنه نداء مستحيل، فبيوتنا ضيقة، وحواريها أكثر ضيقا، وزحاما، وقرانا مزدهمة بالصغار والكبار، والاسمنت الذي حل مكان الارض الخضراء، وإذا شاهد الصغار التليفزيون، فانهم حتما سيكبرون، فالتمثيلات والافلام مليئة بالحديث عن مشاكل الكبار.

وعليه فان الصغار محاطون دائما بمشاكل الكبار في كل مكان، وهم مرغمون على هذا، ويستعذبونه، وفي الصيف، هذه الأعوام الاخيرة، انقلبت الامور في حياتنا تماما، فالصغار يجلسون أمام شاشة التليفزيون حتى ساعة متأخرة من الليل، أما الكبار، فعليهم أن يناموا مبكرا من أجل اللحاق بأعمالهم في الصباح. أليس هناك انقلابا أشد والكثير من البيوتات لم يعد لاصحابها قدرة على ارغام ابنائهم على النوم مبكرا، وضاع زمان حذوثة ما قبل النوم تماما.

اذن، فالكتابة للاطفال تستلزم أن يكون الكاتب نفسه طفلا في روحه وفي احساسه وان يحمل هما هو الاحتفاظ بدرجة عالية من البراءة

للاطفال. ولكن حتى ما نرى الاطفال يحبونه يكشف أننا في خطر داهم، فكُتِبَ العنف، والمطاردات والجواسيس تملأ المكتبات، ويزداد الاقبال عليها، ومؤلفوها هم كتاب، وهناك فرق هائل بين الاديب والكاتب، الاديب يحمل على عاتقه رسالة، ويعبر عن واقعه، وواقع الحياة التي يعيشها القراء، أما الكاتب فهو أشبه بكاتب يجلس أمام احدى المصالح الحكومية، يملأ صفحة بيضاء، طلب أو خلافه، كي يأخذ أجره. ليس له رسالة، ولا هدف، وكل ما يهمله هو ارتفاع نسبة التوزيع، وهل هناك هدف سام في أعمال كتاب من طراز موريس لبلان، واجاثا كريستي، والافعال الرئيسية في الكتابات التي يقدمونها للبشر هي: «ذبح، قتل، طارد، اختلس، سرقة، اشتبه، وأفعال أخرى بالغة السوء والقسوة».

زحفت هذه الافعال في السنوات الاخيرة الى عالم الاطفال، ملأت كتب من هذه النوعية ادراجهم، وقد لا يكون من حقنا أن نعترض،

*** وهو في الثلاثين من عمره ينبغي أن يكون طفلاً وهو يكتب للأطفال . * الكبار ينامون مبكراً والصفار يسهرون .**

١٩٩٤، الاتجار في الأسلحة النووية في الدول
المنشقة عن الاتحاد السوفيتي، ظهور قراصنة
البحر في نهاية القرن العشرين في شرق آسيا،
ومجابهة كل تخلف بالكومبيوتر .
البداية كانت مع سيدة ذكية، ماما جميلة
كامل . كانت في عام ١٩٨٦ رئيساً لتحرير
كتاب الهلال للولاد والبنات، طلبت أن اقوم
بتبسيط رواية «آلة الزمن» لهربرت جورج ويلز،
ولما قرأتها بالفرنسية اكتشفت أنها تمجيد
للتاريخ الانجليزي . فقررت كتابة رواية للأطفال
فيها تمجيد للتاريخ المصري، وكان أول كتاب لي
«مغامرات آلة الزمن العجيبة» الذي حمل اثنين
من الاطفال الى خمس أزمنة عربية هي زمن
طرد الهكسوس، وزمن كليوباترة، وزمن التأميم
عام ١٩٥٦، والقاهرة المعاصرة، وقاهرة
المستقبل . . . وقد بدا الكتاب محاولة أولية في
اخرجه وان كان يضمن قصصاً من التاريخ

ولكن في بعض البيوت، فإنك لن تجد سوى هذا
النوع فقط من العناوين والكتب . أى أن بضاعة
الافعال السابقة قد طردت الافعال النبيلة مثل
«طمح، حلم، افتدى، أخلص، أنقذ، أحب،
وغیرها» .

ونحن ككتاب أطفال، وجدنا أمورنا تسوء،
فالناسرون يسعون الى مبيعات أعلى، وإذا
فإنهم يطلبون منا دوماً أن نكتب لهم قصص
الالغاز، وهى روايات بوليسية تعتمد على
الغموض والمطاردات، والقتل، وأشياء أخرى
عديدة، وكيف لكاتب يكره كل ما كتبه أجاثا
كريستى وموريس بلان، وشروك هولز، وجورج
سيمنون، أن يجد نفسه يكتب روايات بوليسية
أو الغازاً .

الروايات البوليسية مصنوعة في المقام الاول
كي يتسلى بها ركاب القطارات الذين يسافرون
لساعات، وعليهم التعامل مع الثقافة، بنفس
المنطق الذى يقوم به شخص بشراء كيس
فيشار، أو كيس لب يتناول حباته وهو يشاهد
فيلمأ فى دار سينما، هو يرى أن السينما
تسليه، واللب وسيلة من وسائل التسليه، أي أن
الاثنين متفقتين معا .

وكتابة الالغاز هى جريمة كبرى في حق
الاطفال، ومع ذلك طلب منا الناشرون أن نقدم
لهم الالغاز، لانها تباع، وأنا أعترف أن لي
مجموعة روايات في دار الشروق تحت اسم
«الغاز الشروق» اقترحها المهندس ابراهيم
للمعلم . للحق هو اراد عمل «الغاز» وترك لي
حرية الموضوع، فابتدعت شخصية «حب حب»
ليكون تانتان العربي، مغامراً أكثر تطوراً، لديه
الكومبيوتر صاحب المعلومة، والذى يتتبع
الاحداث الكبرى في العالم، مؤتمر قمة الارض،
زلزال القاهرة، اوليمبياد ١٩٩٢، كأس العالم

**** أتحبنا الصغار في مشاكل الكبار نفادر تفهم البراءة ** كتابة الألفاظ جريمة في حق الأطفال**

القديم والمعاصر والمستقبلي، وأذكر أن بطلي
القصة علاء ودعاء (وهو الاسم المفضل لدي إنه
اسم وحيدتي)، قد رحلا الى بور سعيد عام
١٩٥٦، من اجل المشاركة في صد العدوان
الثلاثي، وقد تم رسم جمال عبد الناصر بنفس
الروح الذي قدم به محفوظ عبد الرحمن فيلمه
«ناصر ٥٦»، بما يعنى أننا جميعا عشاق لتلك
المرحلة الزمنية سواء من عاش فيها، أو سمع أو
قرأ عنها. وقد كنت في السابعة من عمري في
تلك المرحلة وهاجرت اسررتنا من الاسكندرية الى
أبي حمص.

وبعد عام، أى في ١٩٨٧ طلبت منى ماما
جميلة أن أعد كتابا عن المخترعات الحديثة
باسم «حكايات غيرت الدنيا» تتبعت فيه عشرة
من العلوم الهامة، وذلك من خلال رسوم
ستريس، بالإضافة الى قصة خيالية، تدور في
أطار أحد هذه العلوم، فلو تحدثنا مثلا عن
الانفاق العملاقة كإنجاز علمي، فهناك قصة

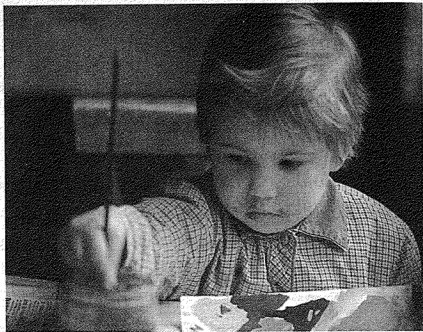
اطفال تدور في كويرى الانفاق، أى أن الكتاب
قد جمع بين تبسيط العلوم، والقصص المؤلفة.
وعندما تقدمت بكتابي الثانى هذا الى جائزة
الدولة لم أكن أتوقع أن يفوز بالجائزة، وفي
مرحلة الانتظار غير المتعمدة، كنت قد قدمت في
نفس السلسلة كتابا ثالثا تحت عنوان «أجمل
حكايات البحر» وقدمتى زميلتى آمال خطاب
الى دار نهضة مصر، فاقترحت عليهم أن نحكي
للأطفال قصص افلام السينما الشهيرة فى
مجموعة كتب تحمل اسم «أجمل حكايات
الدنيا»، وتمت الموافقة على المشروع، وانتهيت
من صياغة الكتاب الاول «أوليفروتست»، ويضم
خمس افلام فرنسية وبريطانية، وأمريكية، وقد
قام الناشر بتوزيع مسودات من الكتاب على
اطفال وكبار، وابلغنى المدير الفنى آنذاك أن
الجميع اتفق على جمال الاسلوب، والطريقة
المثيرة في الحكى وشد انتباه القارئ، وبينما
نحن نستعد للطباعة، تم اعلان اسمى كفائز
بجائزة الدولة التشجيعية، كنت آنذاك فى
التاسعة والثلاثين، ولم أكن أتوقع الجائزة بهذه
السرعة، كنت أتصور أن علي أن انتظر عشر
سنوات، أو عشرين، وربما أكثر، ولا أحصل
عليها. كنت اتمشى فى بهو دار الهلال، عندما
تابعنى محمد الشاذلى وسألنى: هل انت محمود
محمود قاسم فعلا، وألقى علي بالخبر، وكانت
فرحة العمر، ولا أنكر أننى استثمرت هذا
النجاح دوما، وهذا الوسام، ليس فقط بالعمل
على نشر المزيد من الكتب، ولكن لتحسين
اسمى، وعلمى، وحتى لا أحبط أبدا، وكان همى
هو النشر قبل أن احصل على النقود، وكم غلبنا
الناشرون في المال، ولكننا كسبنا بنشر كتب
هى أهرامنا بعد وفاتنا.

أكتب هذا المقال في نهاية سبتمبر ١٩٩٦، أى

معظم رواياتي مثل «لماذا»
 ١٩٨١، «الثروة» ١٩٨٣،
 و«وقائع سنوات الصبا» ١٩٩٤،
 «زمن عبد الحليم حافظ»
 ١٩٩٦، «أيام الشارلستون»
 ١٩٩٧، كما انني وضعت
 شعارا «لكتبي» اجمل حكايات
 الدنيا هو «أنا طفل كبير»
 اكتب لاصدقائي الصغار وأنا
 في الاربعين».

ليس مطلوبا من المرء وهو
 يكتب عن تجربته في الكتابة أن

يحدد مؤلفاته، فالغريب أن
 الكثير من مؤلفات الاطفال تضع في الزحام،
 يتم استهلاكها بسرعة، ولا يوجد نقاد يتابعون
 هذا الابداع، والرديء الكثير موجود في
 المكتبات في مواجهة القليل الجيد. ولذا مطلوب
 من الكاتب التركيز على فكره، واهتماماته، وأنا
 أحب الابداع، وتعددت فيه، من تأليف الى
 اعداد، وحاولت الاستفادة من اتساع الخيال،
 وتعاملت مع مخيلتي بمنطق الاسفنج الذي
 يتشرب المزيد من السوائل (الخيال) ولكن
 اهتمامي الاساسي هو المعرفة، وقد مزجت
 اعمالى بين المعرفة، والتخيل، وكرهت الروايات
 البوليسية سواء للكبار أو الصغار، ولكنها
 منتشرة، وتكاد تكون الثقافة الاوحد لدى
 الكثيرين، وقد ضيق علينا هذا النطاق، نطاق
 التواجد، ونطاق القراءة، وقد ساعدت مثل هذه
 الروايات في تسطيح الرؤى لدى الجيل الجديد،
 ولذا فأكثر كتاب الاطفال اليوم يواجهون ثقافة
 بديلة سيئة في مقابل ثقافتهم الجيدة، وذلك رغم
 الازدهار غير المسبوق في عالم ادب وكتب
 الطفل.



بعد عشر سنوات وأشهر من بدايتي ككاتب
 اطفال، لا شك أن تجربتي مع الاطفال أكثر
 اثمارا من أنشطتي الاخرى، فاذا كانت كتبي
 الهامة هي موسوعاتي، ورواياتي، فان مساحة
 الصداقات الواسعة التي كسبتها ككاتب اطفال
 في المكتبات التي اقوم بزيارتها، أو هؤلاء الذين
 يتصلون بي، أو يزوروني هي أهم وأكثر اتساعا
 من كل أنشطتي الاخرى، لقد نجحت في
 استرجاع طفولتي، من خلال هذه الانشطة
 واكتشفت كم هو سيء عالم الكبار، وكم هو
 رائع عالم الصغار، ورحت أحاول أن أكون مثل
 «أوسكار» بطل رواية «الطبله الصفيح» لجونتر
 جراس، قررت أن أظل طفلا، ولكن كل من حولي
 يعاملونني كأنني كبير.

والمشكلة الآن أنني مشدود الى عدة
 اتجاهات، الكبار يجذبونني لعالم البالغين،
 والصغار يفتحون لي ابواب البراءة، وجسدي
 يحاول أن يشيخ رغما عن أنفي، اقترب من
 الخمسين، فانا من مواليد عام ١٩٤٩، وأنا
 أسير لكل من يعاملني كما يرى. ولكن طفولتي
 هي المفضلة، وقد نجحت في تجسيد طفولتي في

«منطقة الجوف في آثار عصور ما قبل الاسلام للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري»

«الآثار الاسلامية للدكتور خليل ابراهيم المعقل»

هاتان المحاضرتان القيتا ضمن أعمال (ندوة تاريخ وآثار منطقة الجوف)، وكانت واحدة فعاليات الأسبوع الثقافي الذي تقيمه مؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري كل عام ٠٠ ونسعد بنشر المحاضرتين لتعميم الفائدة.

المعقل

منطقة الجوف في آثار عصور ما قبل الاسلام

قالها الدكتور زياد السديري وهي (أن الانسان لابد أن يرتبط بجذوره ولابد أن يرتبط بتاريخه) فوعدت مني موقعاً خاصاً.

إننا ندعو بكل حرص على أن نربط الانسان

في الجزيرة العربية بجذوره وتاريخه،

لأن عصر نهضتنا دخل علينا بكل

خلفياته الحضارية ففقدنا كثيراً جداً،

في ماكلنا وملبسنا وحياتنا وكل ما كنا

قد ورثناه من ماضينا، فكيف يمكن أن

نعيد للانسان توازنه بين هذا

وذاك؟ والتوازن عملية صعبة في

مجتمع معقد له بريق شديد

وقوي. والاقتصاديون قد لا

يعرفون كثيراً مما ندعوا اليه،

الجزيرة العربية بكاملها ما هي الامتحف التاريخ بآثارها وراثتها وحضارتها. ولكن عجلة التطور وعجلة التنمية تجعل عالم الآثار في حزن دائم ذلك أنه يحتار بين أن يشارك في هذه

التنمية وبين أن يقبض بعجلة التاريخ لكي ينقطع فيستمع هو ويترك الآخرين يعيشون بطريقتهم الخاصة. تلك معضلة كبيرة يعيشها كل عالم آثار.

ولكن دائماً أقول للناس هل حقيقة أن

البقاء للأفضل، وأن الانسان

الحاضر أولى بالحياة؟ وكيف

يكون لنا هذا التطور وهذه التنمية

دون بصيرة من أمر الماضي؟

في هذه الأمسية سمعت كلمة



بقلم أ.د. / عبد الرحمن

الطبيب الأنصاري

- الرياض -

الشجرة التي غرست في الجزيرة العربية، ويمكن من خلال هذا الساق أن نعرف - من خلال النواثر التي في الشجرة - الفترات التاريخية التي في الجزيرة العربية، والجيولوجيون يعرفون ذلك ويستطيعون من خلال هذه النواثر في ساق الشجرة تحديد عمرها.

عمر الحياة الانسانية في الجزيرة العربية أكثر من مليون سنة على الأرض ومنطقة الجوف أكبر شاهد على ذلك. ثم بعد ذلك نجد مراحل مختلفة... أبرز فترة تاريخية يمكن أن يشهدها الانسان ويستمتع بها هي منطقة تسمى الرجاجيل وهي عبارة عن مكان فسيح وفيه أنصاب، هذه الأنصاب تتكون من مجموعات كل مجموعة يتراوح عددها ما بين نصيبين إلى خمسة أو ستة أنصاب، وتمثل قاعدة كل مجموعة من الأنصاب حدة حصان في فلاة من الأرض، هذه النماذج من الآثار لا يمكن أن يوجد مثلها وبتاريخها في الجزيرة العربية الا في هذه المنطقة التي تسمى الرجاجيل ويعود تاريخها الى الألف الرابع قبل الميلاد، وهذا التاريخ المتواضع وضع لها قياساً على ما هو موجود ببريطانيا مما يسمى «ستون هنجز» الموجودة بالقرب من لندن ويعود تاريخها الى الألف الثالث قبل الميلاد فقياساً على أن الحضارة بدأت في الشرق وأنها تشبه تلك الموجودة في بريطانيا أعطيت هذا التاريخ، وهو تاريخ في رأيي أقل مما يجب أن تؤرخ به.

ولكن علماء ما قبل التاريخ لم يستطيعوا بعد أن يجروا التنقيبات اللازمة التي تحدد الفترة التاريخية الحقيقية للمنطقة بما تطمئن إليه النفس. ثم بعد ذلك تجد الكثير من مظاهر الحياة، سنشاهد كثيراً من الآثار الغنية التي تركها انسان الجزيرة العربية وتركها انسان

ولكننا مع ذلك نُصرّ ونضغط علناً نستطيع أن نترك للأجيال القادمة شيئاً يفخرون به ويعتصمون به.

وما من شك في أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الاسلامي الخالد عصمة لكل مسلم ولكل عربي، ولكن هذه العصمة يجب أن تكون مرتبطة بالتاريخ أيضاً ليكون هناك توازن بين الروح والعقيدة وبين الوطن وكل شيء له صلة بالأرض وما يفخر به الانسان في ماضيه وما يفخر به في مستقبله.

الجزيرة العربية كما قلت مليئة بالآثار ومليئة بالتاريخ، في كل مكان تذهب إليه تجد التاريخ يقول لك: أنت كنت هنا، وكان لك ابداع وكانت لك حضارة، وبالتالي يجب أن تحاول أن تصطبغ بالصبغة التي يمكن أن تجعل لك لونا وطعماً ونكهة خاصة تختلف عن بقية الأمم في داخل الجزيرة العربية وفي خارج الجزيرة العربية وفي العالم كله لانك ابن الجزيرة العربية.

الجزيرة العربية لها تاريخ طويل عريق منذ آلاف السنين منذ عصور ما قبل التاريخ، ولعل دومة الجندل ولعل الجوف أكبر شاهد على العمق الحضاري في الجزيرة العربية. إن منطقة الشويحية شمال سكاكا تعود إلى أكثر من مليون سنة، كان الانسان يعيش في هذه المنطقة قبل أكثر من مليون سنة، وتلك آثاره واضحة، ولعلها من أقدم الآثار في هذه المنطقة العربية. وللأسف فإن هذه المناطق جار عليها الزمن ولكن ادارة الآثار، وكذلك الآثاريون استطاعوا أن ينقذوا ما أمكن إنقاذه ومعرفته من فترات تاريخية كادت أن تذهب، ولا ريب أن كثيراً منها قد ذهب.

منطقة الجوف الأثرية هي (ثيرمومتر) الحضارة في الجزيرة العربية، أو هي ساق

وربما بعد ذلك، لكن المشكلة التي تواجهها هي أن الكتابة في جنوبي الجزيرة العربية بدأت متكاملة، والانسان عندما يبدأ يكتب لابد أن يمر بمراحل في محاولاته حتى يستطيع أن يصل إلى هذه النماذج الجميلة من الحروف والأشكال

الهندسية، المربعة - المستطيلة - المعينات وغيرها . ما هي المراحل التي مر بها الانسان العربي حتى وصل إلى هذا التكوين الكامل والأبجدية المتكاملة في الجزيرة العربية؟ .

من المعتقد أن شمال الجزيرة العربية كان هو الموطن، لماذا؟ لأننا وجدنا حضارة جنوب الجزيرة العربية حضارة متكاملة، اذن أين كانت البدايات التي بدأ انسان الجزيرة العربية يسجل فيها تاريخه ويقوم بأثواره الحضارية؟ .

في اعتقادي أن هذه المنطقة هي التي تقع شمال «رملة عالج» حتى تيماء والعلا والحجر حتى خليج العقبة، وفي وادي رم في الاردن تلك كانت هي المنطقة أو المناطق التي شهدت بدايات الحضارات الأولى . في مطلع النصف الأول من الألف الأول ق.م كانت هناك ملكات في شمال الجزيرة العربية وتعرفنا على خمس أو ست منهن كن يحكمن في شمال الجزيرة العربية لم نجد ملكة واحدة في جنوب الجزيرة العربية . هؤلاء الملكات كن يحكمن في فترة تسبق نشأة الممالك في جنوب الجزيرة العربية . نشأت الممالك المعروفة في جنوب الجزيرة العربية حسب آخر تحديد زمني في القرن الثامن قبل الميلاد على خلاف بين المؤرخين وربما بعد ذلك . في حين نجد أن الملكات في شمال الجزيرة يعود تاريخهن إلى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد . كنا نجد ملوك آشور وبابل يأتون إلى شمال الجزيرة العربية في حملات متلاحقة لغزو هذه المنطقة، ويهدمونها ويأسرون ملكاتها ويأخذونها بأقفاص

الجوف في هذه المنطقة . وهذه الآثار لا يزيد عمقها التاريخي عن الألف الثالث قبل الميلاد . أي أن الانسان في هذه الجزيرة كان يعيش بكل أفراده وأترابه أينما تكون الماء وتكون الخضرة وتكون الحياة .

وبالمناسبة فإن هذه المنطقة من أكثر المناطق خصباً في الجزيرة العربية خاصة أنها الطرف شبه النهائي لوادي السرحان وتقع في الجرف الذي يلتقط المياه والذي ترى فيه اخضراراً واضحاً أينما ذهب في هذه المنطقة .

دخلت هذه المنطقة بعد حوالي الألف الثالث قبل الميلاد في مرحلة تاريخية، ونقصد بالمرحلة التاريخية تلك الفترة التي بدأ فيها الانسان يكتب، عندما بدأ الانسان يكتب . . بدأ التاريخ، بدون كتابة لا تاريخ حتى في مجاهل افريقيا، حتى في مجاهل أمريكا الجنوبية، قبل أن يبدأ الانسان في الكتابة حتى لو قبل ٦٠٠ سنة هو لا زال في مرحلة ما قبل التاريخ ، التاريخ هو الكتابة .

عندما بدأ الانسان يكتب في وادي الرافدين وفي وادي النيل بدأت حركة التاريخ فيها . ولكن نحن لا نعرف حتى الآن متى بدأ الانسان يكتب في الجزيرة العربية، متى بدأ الانسان يؤرخ في الجزيرة العربية، تلك الفترة من الفترات العويصة أو نقطة من النقاط الصعبة التي لم يستطع العلماء أن يحدوها حتى وقت متأخر بالنسبة للجزيرة العربية، نعرف متى بدأ يؤرخ في بلاد الشام ووادي النيل ولكن بالنسبة للجزيرة العربية لا نعرف متى كان ذلك، ولكن من خلال الكتابات الموجودة في جنوب الجزيرة العربية استطعنا أن نضع تاريخاً مبدئياً ورغم شكنا فيه إلا أنه من المحتمل أن يكون الانسان في الجزيرة العربية بدأ يكتب منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد

وعرفت حتى الآن جاءت متأخرة في الفترة
البطلمية خلال القرن الثالث قبل الميلاد وما
بعده.

إذ كان هناك صراع بين الأوميين وبين
الأنباط من جهة وبين حكام وادي النيل في ذلك
الوقت من جهة أخرى.

لعلكم تتصورون معي أن مدينة هذا هو
حجمها السياسي والاقتصادي في شمال
الجزيرة العربية، لا بد أنها كانت من الثراء ومن
القوة ما يمكنها أن تصمد أمام هجمات
الآشوريين والبابليين. ولذلك ففي اعتقادي أن
منطقة الجوف بكاملها (بومتها والمدن الأخرى
فيها) كانت تعج بالحركة الاقتصادية والتجارية
والثقافية أيضاً. ولذلك فما وجدناه من كمية من
الكتابات المسجلة من الفترة التاريخية سواء
أكانت كتابات بالقلم المسند أم كتابات نبطية أم
كتابات القوافل، تعطينا معلومات عن الحياة
الاجتماعية والثقافية التي كانت موجودة في هذه
المنطقة. إن الشيء الذي حاولت بسطه أمامكم
الليلة ما هو إلا معلومات حاولت أن أخلصها عن
فترة ما قبل الميلاد. أما عن فترة قبيل الاسلام
أو فترة ما بعد الميلاد فقد كانت دومة الجندل
أيضاً منطقة استراتيجية في الصراع الدولي
بمسمى ذلك العصر. ولذلك نجد أن سوق دومة
الجندل هي من الأسواق المهمة، فعندما تكون
القوة في ميزان المنازرة كانت كنده هي التي
تسيطر على السوق ويمثلها .. السكونيون، وإذا
كان العكس كانت قبيلة أخرى مثل كلب هي التي
تسيطر على السوق. ولذلك كان السوق الذي
يستمر حوالي شهر في دومة الجندل محل قوة
وسطوة، من يبدأ أولاً؟ من يأخذ الرسوم؟ من
يبيع ويشتري قبل الآخر؟ كل هذه الأشياء تأتي
حسب القوة السياسية الموجودة في ذلك العصر.

من ذهب ويطوفون بهن في شوارع نينوى في
العراق ثم بعد فترة من زمن يعدن إلى أماكنهن
ثم يأتون في حملة أخرى.

وقد سجلت الألواح الآشورية حوالي ست أو
سبع غزوات متوالية من ملوك آشور وبابل الى
الجزيرة العربية.

لماذا الجزيرة العربية؟ لماذا شمال الجزيرة
العربية ومن وادي الرافدين؟ .. التجارة ..
الرزق.

شمال الجزيرة العربية وشمال غرب الجزيرة
العربية كان هو عنق الزجاجة للاقتصاد التبادلي
بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها فكان من
قبض على دومة الجندل قبض على كل القرى
الموجودة بعدها. لذا كانوا يقولون إذا سقطت
دومة الجندل سقطت كل القرى الموجودة حتى
يثرب وهذا ما حصل فعلاً. لذلك نجد أن الآثار
الموجودة في دومة الجندل هي من أقوى الآثار،
ولذلك سميت الجندل (دومة الجندل) والجندل هو
الصخر أي بنيت من الصخر لتكون هي الخط
الاول للدفاع عن التجارة في الجزيرة العربية.

عندما جاء (نبونيد) في القرن السادس قبل
الميلاد دخل دومة الجندل ثم اتجه الى تيماء وقتل
عشرين ألفاً من رجالها وبنى قصره وعاش عشر
سنوات ووصل الى يثرب كما يزعم - وكانت يثرب
ضمن المستعمرة البابلية في ذلك الوقت - واستمر
عشر سنوات ثم لظروف سياسية في العراق عاد
اليها. عندما قبض على دومة قبض على يثرب
لأن الاقتصاد اليرثبي هو شريان حياة الجزيرة
العربية. ولذا نجد أن هناك صراعاً بين وادي
الرافدين ووادي النيل للقبض على طريق التجارة
في الجزيرة العربية.

فإذا ما توقفت حملات وادي الرافدين جاءت
حملات مصر، ولكن حملات مصر التي سجلت

الشيء الآخر سفيان بن أمية سيد من سادات قريش يطلب من عربي يأتي من شمال الجزيرة العربية أن يعلمه الخط كيف يكون هذا وخاصة أن مكة قد وصلت إلى أوجها الاقتصادي وأوجها المالي وأوجها الفكري إذ لابد أن تكون في ذلك العصر قد استخدمت الكتابة. ولذلك كان النبي الأمي ومعجزته الانتساب للأمية في مجتمع يقرأ، هو مجتمع قريش.

فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ثم أراهما الخط فكتبا. وفي ذلك قال شاعر من دومة الجندل موجهها كلامه إلى أهل مكة معرباً عن فضل أهل دومة الجندل عليهم من جهة تعليمهم الكتابة:

فلا تجحسوا نعماء بشر عليكمو
فقد كان ميمون النقية أزهرأ
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو
من المال ما قد كان شيئاً ميعثرا
وانقنتموا ما كان من المال مهما
وأطمنتم ما كان منه منفراً
فاجمعتم الأقلام عوداً وبدأة
وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتم عن مسند الحي حميراً
وما زيرت في الصحف أقبال حميرا

البيت الأخير: هذا مهم جداً رغم ما فيه من افتئات، معنى ذلك أن مكة إلى فترة قصي كانت تكتب الخط الحميري أما ما بعد قصي فقد بدأت تكتب بخط الشمال. من أين جاءها خط الشمال؟ هذه قصة أخرى:

مما يبدو لي أن الأنباط الذين سقطوا تحت سيطرة الرومان سنة ١٠٦ ميلادية نزحوا للجنوب فوجدوا في مكة والكعبة موئلاً لهم من سطوة الرومان الذين ضموا كل منطقة القرى

ففي تصوري أن القبائل العربية كما كانت تتنافس في سوق عكاظ لابد أنها كانت أيضاً تتنافس في سوق دومة الجندل.

ودومة الجندل بحكم أنها على الحدود كانت تجري فيها بعض الأشياء التي لم تكن مستحبة كثيراً عند العرب ولكنها سجلت. وهي مظهر من مظاهر الانفتاح في ذلك العصر. ومن الأشياء التي ذكرت في دومة الجندل أيضاً أنها نقلت الكتابة وتطورت فيها دون بقية بلاد العرب ثم علمت أهل مكة كيف يكتبون. وهذه مما تذكر ضمن مفاخر دومة الجندل أي أنه عن طريقها تعلم المكيون الكتابة. وعلى الرغم من علامات الاستفهام التي توضع وبشدة على هذه المقولة إلا أننا يمكن أن نقول لابد أن يكون سكان دومة الجندل أو سكان الجوف كانوا يكتبون ويقرأون، وهذا ما تدل عليه الكتابات المسجلة على سفوح الجبال وعلى الصخور وكان ليس مهمهم إلا أن يكتبوا وليس هم الآخرين إلا أن يقرأوا.

إن مقولة أن أهل دومة الجندل كانوا يقرأون ويكتبون شيء نسلم به، وأما أنهم علموا أهل مكة ذلك فهذا ما نتوقف عنده من هو ذلك الشخص الذي علم أهل مكة؟ هو بشر بن عبد الملك شقيق الأكيدر الذي ذهب إلى الحيرة في العراق وتعلم الخط العربي من أهلها، ثم أتى إلى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي. رآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. فسألاه أن يعلمهما الخط.

هنا نقف. سفيان بن أمية وأبو قيس بن عبد مناف يسألان بشر بن عبد الملك أن يعلمهما الخط، يجب أن نتساءل أولاً هل هناك معاصرة بين الاثنين؟ هذا ما يجب أن نتحقق منه.

اتبعه، أما كيف عاد فهذا ما لم يذكره المؤرخون .
 عودة عمر بن الخطاب من بلاد الشام الى
 المدينة لم تذكر في كتب المؤرخين . النمط
 المعماري الموجود لا يختلف عن النمط المعماري
 الموجود في المدينة المنورة ولا في مكة المكرمة في
 زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا بعده
 هذا النمط من المآذن لم يعرف الا في دمشق .
 الا في بلاد الشام عندما بدأ الأمويون يضاھون
 معابد النصارى في بلاد الشام فبنوا المآذن .
 اذن هذه المئذنة هل هي مئذنة؟ وهذا المسجد هل
 هو لعمر بن الخطاب أم عمر آخر؟

كنا نقول إن مدائن صالح هي مدائن نبي الله
 صالح، حتى جاء الشيخ حمد الجاسر وأثبت أن
 المسمى (صالح) ليس هو نبي الله صالح وإنما
 هو وال من ولاة العباسيين كان في وادي القرى
 فسميت هذه المدائن باسمه ومن المعروف أن
 الاسم التاريخي لها هو الحجر .

وأنا أميل أن يكون هذا (العمر) هو عمر غير
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أو وال من
 الولاة الذين جاؤا الى هذه المنطقة خلال العصر
 العباسي أو اسم قبيلة كانت تسكن دومة وبنی
 هذا المسجد ونُسبَ إليها فسمي مسجد عمر .
 الناس يقولون مسجد عمر وليس عمر بن
 الخطاب ولا ندرى . ولعله نسبة الى بني عمرو
 الذين كانوا يسكنون الدومة حتى عصر قريب،
 وهذا هو الأقرب للقبول .

ولذلك لا بد أن تعمل معاول الآثاريين في معرفة
 الطبقات التاريخية لهذه المئذنة أو لهذه الصومعة
 والمسجد بالحفر في داخله والخفر حوله حتى
 نعرف متى بنيت تماماً . وهذه المئذنة غير
 المتصلة بالمسجد أيضا يجب أن يحدد تاريخها
 بشكل جيد .

العربية حتى يثرب إلى ما أسموه: المقاطعة
 العربية وتمت سيطرة الدولة الرومانية .
 أي أن الأنباط هربوا إلى داخل الجزيرة
 العربية، ولانوا بمكة والبيت ومكة لا تستطيع أن
 تصل إليها أيدي الرومان لبعدها ولما حباها الله
 به من أمن واطمئنان لمن يولد بالبيت . فوجد
 الأنباط في مكة حمى لهم . ومن هنا انتقلت
 الكتابة (وكان الأنباط شعباً مثقفاً ومتعلماً) إلى
 مكة وانتقلت الكتابة إلى الطائف وإلى غيرها من
 المناطق وقبل ذلك كما يقول هذا الشاعر كانت
 مكة تكتب بالخط الحميري (الخط المسند) لا أريد
 أن أطيل كثيراً لكن هناك بعض الأشياء التي
 يمكن أن أقولها، وإن كنت أود ترك فرصة
 للنقاش .

في دومة الجندل (قصر مارد) من القلاع
 الحصينة في الجزيرة العربية، وأقدم ما وجد فيه
 من آثار يعود الى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد
 وأحدث ما فيه يعود إلى بداية المملكة العربية
 السعودية، أي أنها شريحة من شرائح التاريخ
 المتسلسل منذ ذلك العصر حتى الآن .

لو أتيتم قبل خمسة عشر عاما لوجدتم دومة
 الجندل غير ما هي عليه اليوم . كانت مدينة
 متكاملة بها سوق من أجمل الأسواق زال كثير
 منها، وقد حفرت فيها ادارة الآثار وأظهرت فيها
 نمطا من الأنماط المعمارية النبطية التي نفتقر
 لها في الجزيرة العربية .

في دومة الجندل مسجد، يقول الناس عنه هنا
 أنه لعمر بن الخطاب، ولكنني أضع أكثر من
 علامة استفهام حول هذه التسمية وحول هذه
 النسبة . هل جاء الى هنا عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه؟ عمر بن الخطاب لم تذكر له رحلة الا
 عندما ذهب الى بيت المقدس وعاد، عندما ذهب
 الى بيت المقدس ذكر المؤرخون الطريق الذي

الأثر الإسلامية في منطقة الجوف

مع بداية التاريخ الاسلامي كانت منطقة الجوف من أهم الواحات الواقعة في شمال الجزيرة العربية وكانت مركزاً رئيساً للقبائل العربية. أهمية هذه الواحة تنبع أولاً من موقعها الاستراتيجي في نقطة وسط بين المراكز الحضارية المختلفة، جنوب وادي الرافدين وبلاد الشام من جانب ومنطقة وسط الحجاز من جانب آخر. ثانياً كونها أحد أهم المراكز التجارية في شمال الجزيرة العربية.

يضاف إلى العاملين السابقين عامل آخر يتمثل بتلك الخصائص والمقومات التي تمتاز بها المنطقة من وفرة المياه الجارية والأراضي الصالحة للزراعة وقيام حرف وصناعات محلية تلبي حاجات هذا المجتمع المتنامي، لذلك استطاع الانسان في هذه المنطقة استغلال حركة

قوافل التجارة التي تتوقف في المنطقة وقام بتزويد هذه القوافل بما تحتاجه من مياه ومؤن وتبادل مع أفراد هذه القوافل منتجاته بأخرى يحتاج إليها،

ومع مرور الوقت تطور دور دومة الجندل لتصبح واحدة من أهم أسواق العرب في الجاهلية.

خلال بداية الدعوة الإسلامية كانت منطقة الجوف خاضعة فعلياً لسلطة دولة الغساسنة التي كانت بدورها تحت هيمنة الامبراطورية

تعد منطقة الجوف من المناطق الأثرية المهمة في شمال الجزيرة العربية، ويعود تاريخ المنطقة لعصور سحيقة في القدم، بل ان هذه المنطقة تحتضن أقدم موقع استوطنه الانسان في الجزيرة العربية وذلك موقع الشويحية الذي يعود تاريخه لأكثر من مليون سنة. يضاف إلى ذلك عشرات المواقع الأثرية التي تعود لعصور ما قبل التاريخ المختلفة. اما خلال العصور التاريخية التي أكدت مراحل الاستيطان المختلفة التي شهدتها المنطقة خاصة خلال الألف الأول قبل الميلاد وحتى بداية البعثة النبوية، هذه المواقع الأثرية وما تحويه من شواهد بارزة فوق سطح الأرض أو أخرى مندثرة ومطمورة تعكس مرحلة تعد من أهم مراحل ازدهار الحضارة والرقى والتي تزامنت مع تطور واتساع النشاط الاقتصادي وحركة القوافل البرية

التي كانت منطقة الجوف إحدى أهم المحطات الرئيسية على مسار تلك القوافل. معظم الشواهد الأثرية تعود لهذه المرحلة حيث ازدهرت المدن الرئيسية في

المنطقة واتسع عمرانها وازدادت أهميتها السياسية والاقتصادية مما انعكس ذلك على عملية حماية وتأمين هذه المدن عن طريق بناء القلاع والأسوار والتي لازالت بقاياها قائمة في كل من دومة الجندل وسكاكا.

بقلم:

د/ خليل بن ابراهيم المصيلح
الرياض

أحداث هذه الغزوة التي أوردتها الواقدي بالتفصيل تؤكد أن الهدف الرئيسي لهذه الغزوة هو العمل على فتح الدولة البيزنطية، وقد تحقق هذا الهدف بوصول الرسول [صلى الله عليه وسلم] إلى دومة الجندل، لذا يعتقد أن هذه الغزوة تمثل مقدمة لاحتكاك المسلمين المباشر مع الروم (البيزنطيين) في السنوات التالية في غزوة تبوك.

بعد سنة تماماً من غزوته [صلى الله عليه وسلم] إلى دومة الجندل أرسل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على رأس سرية إلى دومة الجندل كان هدفها دعوة أهل دومة الجندل للإسلام، بعد وصول ابن عوف إلى دومة الجندل مكث ثلاثة أيام يدعوهم للإسلام وفي اليوم الثالث استجاب أحد شيوخهم الأصبع بن عمرو الكلبي للإسلام وقد كان نصرانياً وأسلم معه نفر من قومه، كتب عبد الرحمن بن عوف إلى الرسول [صلى الله عليه وسلم] كتاباً يخبره بذلك ويستأذنه الزواج منهم، رد عليه الرسول [صلى الله عليه وسلم] كتاباً يأمره بالزواج من تماضر بنت الأصبع، ففعل عبد الرحمن وأتى بها المدينة وولدت له أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، يتضح من سياق وأحداث هذه السرية أنها كانت موجهة إلى دعوة أهل دومة الجندل للإسلام ولم يكن لها أهداف سياسية أو عسكرية.

في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة وخلال غزوة تبوك بعث رسول الله [صلى الله عليه وسلم] خالد بن الوليد من تبوك على رأس أربع مائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك ملك دومة الجندل، كان هدف هذه السرية أكيدر صاحب دومة الجندل، وهذا اتضح من تعليمات الرسول [صلى الله عليه وسلم] التي وجه بها خالد بن الوليد للظفر بأكيدر حياً واحضاره إلى

البيزنطية. وهذا ربما يكون الدافع الذي جعل بعض الجغرافيين المسلمين يعدون دومة الجندل شامية حيث نجد الواقدي يشير إلى غزوة الرسول [صلى الله عليه وسلم] لدومة الجندل على أنها أول محاولة للرسول [صلى الله عليه وسلم] والمسلمين لفتح الروم.

اهتمام الرسول [صلى الله عليه وسلم] بمنطقة الجوف جاء مبكراً حيث قاد بنفسه [صلى الله عليه وسلم] غزوة كانت موجهة ضد دومة الجندل وخرج الرسول [صلى الله عليه وسلم] وصحبه في الخامس والعشرين من ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة وعاد من دومة الجندل إلى المدينة في العشرين من شهر ربيع الآخر من نفس السنة.

غزوة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] تعد أطول غزواته [صلى الله عليه وسلم] من حيث بُعد المسافة وكان من أهداف هذه الغزوة كما أشار إليها الواقدي رغبة الرسول [صلى الله عليه وسلم] أن يقترب من حدود الشام لأن دومة الجندل تعد تابعة لبلاد الشام، هذا ربما يفزع الامبراطور البيزنطي. كذلك ذكر سبباً آخر لهذه الغزوة يتمثل في وجود جمع كبير من الناس في دومة الجندل وكان هؤلاء يعتدون على التجار المتجهين نحو المدينة. سار رسول الله [صلى الله عليه وسلم] نحو دومة الجندل وكان معه دليل من بني عذرة يسمى مذكور، ولما دنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] من دومة الجندل وأصبح على مسافة مسيرة يوم أو ليلة ذهب دليله مذكور يستطلع المنطقة المحيطة بدومة الجندل وعندما عاد أخبر الرسول [صلى الله عليه وسلم] بخبر القوم. وعندما وصل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] إلى دومة الجندل ونزل بساحتهم لم يجد بها أحداً ومكث بها أياماً وعاد إلى المدينة،

رسول الله [صلى الله عليه وسلم] استطاع خالد أسر أكيدر بن عبد الملك وقدم به المدينة على رسول الله [صلى الله عليه وسلم] الذي صالحه على الجزية وكتب له ولأهل دومة كتاب صلح وأورد نصه الواقدي، هذه السريّة حققت الهدف الذي بعثها الرسول [صلى الله عليه وسلم] من أجله وهو خضوع دومة الجندل تحت سلطة الدولة الإسلامية.

خلال خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه نقض أكيدر ملك دومة الجندل العهد ورفض دفع الجزية التي كان يؤديها لرسول الله [صلى الله عليه وسلم]، لذلك بعث أبو بكر الصديق عياض بن غنم على رأس سرية لفتح دومة الجندل، لكن هذه السرية لم تستطع تحقيق هدفها بسبب الأعداد الكبيرة من القبائل التي وفدت لنصرة دومة الجندل. ونظراً لهذا الوضع كتب أبو بكر الصديق كتاباً لخالد بن الوليد الذي كان بعين التمر يأمره بالتوجه صوب دومة الجندل لمساعدة عياض بن غنم، وباتجاه خالد نحو دومة أحدث خلافاً في تحالف القبائل العربية التي وفدت لنصره أهل دومة، لأن أكيدر عندما علم بمسيرة خالد حاول اقناع القبائل العربية بالتصالح بدلا من الحرب لخوفه من الهزيمة المحققة على يد خالد بن الوليد، وهذا ما حدث فعلا حيث استطاع خالد وعياض هزيمة الجمع، وفتح حصن دومة الجندل وقتل من فيه من الرجال، وبذلك طويت صفحة من تاريخ المنطقة ودخلت منذ تلك اللحظة تحت سلطة المدينة المنورة والدولة الإسلامية، وقد أحدث هذا الفتح تغيراً ملحوظاً في أوضاع المنطقة التي دانت بالإسلام وأصبحت جزءاً مهماً من أراضي الدولة الإسلامية، بعد هذا التاريخ سكنت المصادر الإسلامية عن ذكر دومة الجندل حتى سنة ثمان

وثلاثين، وهي السنة التي اجتمع فيها الحكمان بدومة الجندل للنظر في قضية خلاف علي ومعاوية رضوان الله عليهم.

وقد اختلفت المصادر في مكان التحكيم ففي حين تذكر معظم المصادر أن دومة الجندل هي المكان الذي اجتمع فيه الحكمان ترى أخرى أن موقع أنرح في جنوب بلاد الشام هو موضع التحكيم، من خلال استعراض الآراء المطروحة خاصة تلك التي تتعلق بموقع دومة الجندل المتوسط الذي يقع على مسافات متساوية من دمشق والكوفة وبالنظر لموقع أنرح القريب جداً من دمشق فانه من غير المتوقع أن يرضى عليّ بارسال أصحابه إلى منطقة نفوذ معاوية، وبالتالي فان هذا يجعل دومة الجندل المكان المناسب من حيث موقعها الجغرافي المتوسط وكذلك حيادها السياسي.

بعد أحداث قضية التحكيم صممت المصادر عن ذكر أية معلومات عن دومة الجندل وهذا الوضع ينطبق على عدد كبير من المستوطنات والمدن الواقعة في الجزيرة العربية وكان هذا محصلة لانتقال مركز السلطة السياسية من داخل الجزيرة العربية إلى خارجها وأصبح الاهتمام منصباً فقط على الحرمين الشريفين وما عدا ذلك لم يهتم الكتاب بتتبع التاريخ المحلي للمدن والمستوطنات الداخلية.

الأثار الإسلامية في المنطقة:

تمثل الآثار التي تعود للعصور الإسلامية المختلفة أبرز آثار المنطقة، حيث إن معظم الآثار البارزة فوق السطح تعود للعصور الإسلامية باستثناء قلعة مارد التي انشئت قبل الاسلام وظلت مستخدمه معظم العصور الإسلامية حتى وقت قريب جداً. كثافة الآثار الإسلامية وتنوعها جعلت المنطقة من أهم المناطق الأثرية الإسلامية

المدن العربية القديمة وتطورت عبر قرون عديدة استطاع الانسان خلالها التكيف مع الظروف المختلفة المحيطة به، هذه الظروف انعكست على وضع المدن من الناحية التخطيطية والمعمارية، حيث استطاع الانسان أن يطور نماذج تخطيطية تتلاءم مع ظروف المكان وبالتالي فإن تطور المدن مع تلك الظروف ساعد على الوصول إلى نمط لتخطيط المدينة العربية القديمة تغلب فيه الانسان على ظروف المناخ الصعبة، هذا التخطيط لم يتغير كثيراً خلال العصر الاسلامي بل إن كثيراً من مقومات ذلك التخطيط ظهرت في تخطيط المدينة الاسلامية مع اضافة بعض التعديلات فيما يتعلق بعلاقة المسجد بالتكوينات المعمارية الأخرى ونمط تخطيط المنازل الذي تأثر بتعاليم الدين الاسلامي الذي حدد علاقة الجوار واستقلالية المسكن وحماية أسرارهم. هذا الوضع ينطبق على تخطيط مدينة دومة الجندل في عصورها المختلفة.

يعتمد تخطيط مدينة دومة الجندل على منطقة مركزية يتوسطها مسجد عمر بن الخطاب وتحف بها قلعة مارد من الجهة الجنوبية، أما المنطقة السكنية الرئيسة فتقع إلى الشمال والغرب من المسجد ويمثلها حي الدرع، الذي لازالت أجزاء كبيرة منه قائمة، أما الجزء الآخر من المنطقة السكنية فيقع إلى الشرق من قلعة مارد في تلك المنطقة التي تتخللها طول أثرية وآبار مياه هذا الجزء من المدينة مندرج ويظهر على السطح بقايا لمساكن تمتد لمسافة بعيدة باتجاه الشرق ويتوسط هذه المنطقة بقايا مسجد أثري صغير.

الأجزاء الأخرى من مدينة دومة الجندل تقع ضمن حدود سور دومة الجندل الذي يماثل وضع المدينة (يثرب) قبيل الهجرة النبوية، حيث كان نمط الاستيطان عبارة عن أحياء متفرقة صغيرة

في المملكة العربية السعودية وأصبح لهذه المواقع الأثرية مكانة مميزة وبارزة في أوساط الدارسين والمهتمين في الآثار الاسلامية.

تتميز الآثار الاسلامية بعدة ميزات أهمها تنوع هذه الآثار حيث تحتوي المنطقة على عدد من المساجد الأثرية أبرزها مسجد عمر بن الخطاب الذي يعد من أقدم المساجد الأثرية وأهمها في المملكة العربية السعودية. كذلك هناك مدينة دومة الجندل القديمة التي تعتبر من أهم المدن العربية الاسلامية في المملكة نظراً لأنها حافظت على أبرز خصائص المدينة العربية القديمة وكذلك نظراً لطبيعة الجزء المتبقي من المدينة والذي لازال قائماً في وضع جيد يعكس لنا نمط تخطيط المدينة القديمة وعلاقة هذا التخطيط بالظروف البيئية والمناخية، أما في مدينة سكاكا فلا زالت أجزاء بسيطة من بقايا المدينة الاسلامية باقية وهذه تتمثل في قلعة زعل المطة على المدينة من الجهة الشمالية، يضاف إلى ذلك قصر صغير يقع إلى الغرب مباشرة من قارا وهو قصر القدير الذي يعود بناؤه إلى سنة ٥١٨هـ.

أما الآثار الخفية التي تعود للعصر الاسلامي فتتمثل بعدد كبير من النقوش العربية التي يفوق عددها المئة، هذه النقوش تنتشر في مواقع مختلفة من المنطقة ويؤرخ أقدمها لسنة ١٢١هـ.

مدينة دومة الجندل الاسلامية:

قبل أن نتطرق للآثار الاسلامية في دومة الجندل لابد أن نشير إلى نقطة مهمة جداً يغفلها كثير من الدارسين للمدن الاسلامية في الجزيرة العربية، هذه النقطة تتمثل بمدى تأثر المدن الاسلامية في الجزيرة العربية بالمدن القديمة خاصة في حالة استمرار المدينة في كلا العصرين كما هو وضع دومة الجندل، نشأت

الحجم، كان يتبعها مزارع النخيل التي تنتشر في الوقت الحاضر في الجهات الغربية والشمالية والشرقية.

قلعة مار د في العصر الإسلامي:

أثبتت المصادر التاريخية والأدلة الأثرية أن قلعة مار د التي يعود بناؤها إلى عصر ما قبل الاسلام استمر استخدامها خلال العصور الاسلامية المختلفة، وقد أشارت المصادر الاسلامية أن خالد بن الوليد خلال مرحلة فتح دومة الجندل قام بكسر باب القلعة بسيفه، وكان هذا الحدث نهاية للشرك والضلال وبداية لدخول منطقة الجوف في الدولة الاسلامية.

أثار القلعة المعمارية تشير إلى مراحل بنائية مختلفة مرت على القلعة كان آخرها الترميم الذي قام به ابن شعلان في حدود سنة ١٩٢٢م، وإن استخدام القلعة في العصور الاسلامية لم يغير كثيراً من وضع القلعة وتخطيطها وربما خضعت القلعة خلال تلك المراحل إلى الصيانة الدورية وإعادة الترميم وهذا يتضح من الأجزاء السفلية وبعض الجدران العلوية خاصة في الجهة الغربية التي تأكد أنها من بقايا عمارة عصر ما قبل الاسلام.

المسجد الأثرية في دومة الجندل:

تحوي دومة الجندل مسجدين قديمين الأول مسجد عمر بن الخطاب والثاني مسجد أثري مهدم يقع إلى الشرق من قلعة مار د في وسط المنطقة السكنية المندثرة، يضاف إلى هذين المسجدين مسجد ثالث متأخر يقع داخل المبنى الملحق بقلعة مار د ويحمل كثيراً من السمات التخطيطية والمعمارية لمسجد عمر بن الخطاب، إلا أن هذا المسجد متأخر جداً.

مسجد عمر بن الخطاب:

يقع مسجد عمر بن الخطاب في وسط مدينة

دومة الجندل القديمة ملاصقاً لحي الدرع من الجهة الجنوبية، ويعد من المساجد الأثرية المهمة إن لم يكن من أهمها على مستوى المملكة، وتتبع أهمية المسجد من عدة نقاط، الأولى تخطيط المسجد الذي يمثل استمرارية لنمط تخطيط المساجد الأولى، حيث إن هذا التخطيط يذكرنا بتخطيط مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة في مرآله الأولى وكذلك يشبه تخطيط المساجد الأولى التي بنيت في مدن الأمصار في كل من البصرة والكوفة والفسطاط، كذلك تبرز أهمية هذا المسجد من محافظته على نمط تخطيطه بالإضافة إلى أن المسجد لم يتعرض لإعادة بناء أو توسعة كبيرة كما حدث لكثير من المساجد في العالم الإسلامي، تخطيط مسجد عمر يعتمد على مسقط مستطيل الشكل تقريباً أطواله ٣٢ × ١٨م، يتكون المسجد من رواق القبلة الذي يحتل حوالي ثلثي مساحة المسجد، حيث تبلغ المساحة المغطاة من المسجد ٣٢ × ١٠٢م ويتخلل هذا الرواق ثلاثة صفوف من الدعامات الحجرية موازية لجدار القبلة، يتكون الصف الأول القريب من جدار القبلة من عشر دعامات بينما يتكون الصف الثاني والثالث من تسع دعامات.

يتوسط جدار القبلة حنيتان متشابهتان تمثلان المحراب والمنبر والمحراب الواقع على يسار المنبر أكبر حجماً من المنبر، اتساع فتحته ٨٠ سم وعمقه ١٥م، بينما المنبر اتساعه ٦٥ سم وعمقه ١م، يعلو المحراب والمنبر عقد مثلث مكوّن من كمرتين حجريّتين مستندتين على بعضهما البعض بزواوية ٦٠ درجة، يتكون المنبر من درجتين وجلسة ويتصل بالمحراب عن طريق فتحة مستطيلة في الجدار الفاصل بينهما. تنتشر على طول واجهة جدار القبلة تجاويف

وبالتالي فإن نسبة المسجد إلى الخليفة عمر بن الخطاب ربما لم تأت من فراغ، إلا أن المصادر الإسلامية لم تذكر شيئاً عن ذلك، وبالتالي سوف تظل هذه القضية تثير المزيد من الأسئلة حتى يتسنى قيام أعمال حفر داخل المسجد قد تمدنا بأدلة مادية تحدد تاريخ بناء المسجد ومراحل استخدامه خلال العصور الإسلامية.

مسجد آخرى يقع إلى الشرق من قلعة مار:

يقع هذا المسجد إلى الشرق مباشرة من قلعة مار في منتصف ساحة مكشوفة تتخللها تلول أثرية وبقايا مبان مهدمة، لاحظ كاتب هذا المقال في إحدى زيارته لدومة الجندل وجود بقايا كتله معمارية تمثل جزءاً من مبنى تهدمت أجزاؤه الأخرى وعند مشاهدة هذه الكتلة المعمارية من جهتها الشمالية اتضح أنها تمثل جزءاً من جدار قبلة لمسجد، يتوسط هذا الجدار محراب ومنبر مشابه تماماً لمحراب ومنبر مسجد عمر.

بقية جدار القبلة وتفصيل المسجد الأخرى مهدمة بالكامل ولم يبق منها إلا بئر قديمة يظهر أنها كانت تقع ضمن جدران المسجد وربما في إحدى زوايا صحنه، إن طبيعة الجزء المتبقي من المسجد تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك قدم هذا المسجد الذي كان يخدم المنطقة السكنية المهدمة المحيطة به من جميع الجهات.

تحديد تاريخ بناء هذا المسجد لن يكون ممكناً حتى يتم حفر المسجد والمنطقة المحيطة به.

بقايا المدينة القديمة (هي الدرع):

الجزء المتبقي من المنطقة السكنية لمدينة دومة الجندل الإسلامية يتمثل الآن في حي الدرع الواقع إلى الشمال من قلعة مار والملاصق لمسجد عمر بن الخطاب. يقع حي الدرع في وسط دومة الجندل القديمة وتحيط بالحي من الجهتين الشمالية والشرقية مزارع النخيل، بينما

مربعة استخدمت لحفظ المصاحف والكتب الدينية. الواجهات الداخلية لجدران رواق القبلة غطيت بطبقة من اللياسة الطينية والأجزاء السفلية من هذه اللياسة طليت بطبقة من الجص.

استخدم في تغطيات المسجد سقف مستو يتكون من خشب الأثل الذي يعلوه سعف النخيل المغطى بطبقة طينية خضراء اللون.

تقع مئذنة المسجد في الركن الجنوبي الغربي للمسجد وتبرز عن مستوى جدار القبلة، قاعدة المئذنة مربعة الشكل طول ضلعها ٣م وجدرانها الحجرية تضيق إلى الداخل كلما ارتفعت إلى الأعلى حتى تنتهي بقمة شبه مخروطية، يبلغ ارتفاع المئذنة الحالي ١٢,٧م. وقد شيدت المئذنة بكاملها من الحجارة. وتتكون المئذنة من خمسة مستويات، المستوى الأرضي والذي يمثل قاعدة المئذنة ويتكون من بناء حجري مصمت يخترقه من المنتصف ممر ضيق يؤدي إلى مدخل المنطقة السكنية، يعلو هذا المستوى أربعة مستويات أخرى يتخللها سلم حجري داخلي يتكون من ألواح حجرية محمولة على طنف حجرية تبرز عن مستوى المئذنة الداخلي. يتوقف السلم الحجري عند المستوى الثاني. أما المستويان العلويان فالوصول إليهما عن طريق سلسلة من الأحجار التي تبرز عن مستوى الجدار الداخلي. يمكن تحديد المستويات عن طريق فتحات النوافذ التي تتخلل جسم المئذنة في الاتجاهات الأربع.

تاريخ بناء المسجد ونسبته إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من القضايا التي لم تحسم لأننا لا نملك الدليل القطعي على ذلك.

دخول الجندل تحت لواء الدولة الإسلامية الناشئة في وقت مبكر وإسلام عدد كبير من سكانها يجعل وجود مسجد ضرورة ملحة

تقع سوق المدينة القديمة إلى الجنوب الغربي من الباني القائمة، هدم سوق المدينة من أجزاء من حي الدرع الغربية والجنوبية قبل أكثر من عشرين عاماً ومساحة الأجزاء التي هدمت من المدينة القديمة تمثلها الساحة المكتشفة الواقعة إلى الجنوب الغربي من مسجد عمر، لذلك فمساحة الحي الحالي صغيرة قياساً الى وضع الحي قبل عملية الهدم.

منشآت الحي المعمارية القائمة تعود للعصر الاسلامي الوسيط لكنها في الوقت نفسه تقوم فوق طبقات أثرية وأساسات مبان مبكرة يعود بعضها لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد، والحفريات الأثرية التي تمت داخل هذا الحي أكدت وجود أدلة أثرية تحت مستوى أساسات المباني الحالية تعود لعصور ما قبل الاسلام، وهذا يؤكد استمرار سكّنى المدينة خلال العصور التاريخية المختلفة وما هذه المباني القائمة الا استمرار لمدينة دومة الجندل المبكرة.

في هذه الدراسة المختصرة سوف نركز فقط على الخصائص التخطيطية والمعمارية لما تبقى من مدينة دومة الجندل الاسلامية حيث تشير الأدلة الأثرية إلى أن نمط التخطيط وعناصر العمارة المتمثلة في هذا الحي هي الصفة الغالبة على وضع مدينة دومة الجندل بكاملها كما تظهر بواذر ذلك في بقايا منشآت معمارية تقع إلى الشرق من قلعة مارد وتحمل سمات تشابه تلك التي نراها في حي الدرع.

مداخل الهي:

مساحة حي الدرع وتوسطه تفرض وجود عدد من المداخل التي تسهل حركة السكان باتجاهات مختلفة، لذلك ربطت المنطقة الوسطى من الحي بعدد من المداخل التي تؤدي إلى أجزاء المدينة المختلفة.

من خلال وضع الحي القائم هناك ثلاثة مداخل:

الأول: يقع في الجهة الجنوبية بالقرب من مئذنة مسجد عمر، وهو المدخل الرئيسي للحي الذي يربط مساكن الحي بمنطقة السوق والمسجد والقلعة، كان هذا المدخل يمر عبر جسم مئذنة المسجد باتجاه مدخل ذي عقد دائري لازال قائماً في الوقت الحاضر.

المدخل الثاني: يقع في منتصف الواجهة الشرقية للحي في نهاية ممر ضيق يتجه من الميدان الأوسط باتجاه الشرق ويؤدي إلى مزارع النخيل الواقعة شرق الحي.

المدخل الثالث: يقع في نهاية ممر ضيق يتجه من الميدان الأوسط شمالاً ويؤدي إلى مزارع النخيل الواقعة شمال الحي.

الشوارع الضيقة والأزقة:

تمثل الشوارع والأزقة المتلوية والضيقة أهم ملامح مدينة دومة الجندل القديمة، هذه الخاصية تشترك فيها معظم المدن القديمة في الجزيرة العربية وكانت إحدى المؤثرات التي فرضتها الظروف المناخية على تخطيط المدينة.

جميع شوارع وأزقة حي الدرع ملتوية وضيقة ويتراوح عرضها بين ١٥ - ٢٥م تقريباً تزيد وتنقص في بعض الأماكن، الممر الرئيسي في الحي هو الممر الذي يربط المدخل الجنوبي (الأول) بالميدان الأوسط ذي العقود، الميدان الأوسط مثل النقطة المركزية في الحي الذي ربط بأربعة أزقة ضيقة تربط أجزاء الحي المختلفة بالمنطقة المركزية. تصميم هذه الممرات والأزقة بهذا الوضع له ميزات بيئية واجتماعية وأمنية.

الميدان الأوسط :

يقع الميدان الأوسط في قلب حي الدرع ويمثل القلب بالنسبة للحي مساحة هذا الميدان ليست كبيرة، الجزء المغطى من الميدان بمجموعة من

الاسلام. عثر على بعض الأدلة الأثرية مثل وجود كسر من فخار فترة العصر الحديدي المتأخر (القرن الخامس قبل الميلاد) حول قلعة زعبل، إضافة إلى بئر سيسرا التي يعتقد أنها تعود للعصر النبطي (القرن الثالث قبل الميلاد - القرن الثاني الميلادي) يضاف إلى ذلك عدد كبير من النقوش الثمودية والنبطية التي تنتشر في مدينة سكاكا والمناطق القريبة منها. كل هذه الأدلة تؤكد أن مدينة سكاكا كانت مركزاً سكنياً مهماً في تلك المرحلة وتؤكد كذلك أن الاستيطان في المدينة لم ينقطع حتى العصر الحالي. ٠٠ بقايا المدينة القديمة اختفت ولم يصل إلينا منها سوى قلعة زعبل وهذا كان محصلة لعدة أسباب منها الاستمرار السكني في المدينة الذي أدى إلى هدم المباني في عصور مختلفة وكان لضعف مادة البناء المستخدمة وهي اللبن والطين دور كبير في زوال المباني بعكس مدينة دومة الجندل التي حافظت على أجزاء من مبانيها التي شيدت من الحجارة.

أشار ياقوت الحموي الذي توفي سنة ٦٢٦هـ إلى مدينة سكاكا وذكر أنها إحدى القرى التي منها دومة الجندل وذكر أنه كان يحيط بسكاكا سور كما لدومة الجندل لكن سور دومة الجندل أكثر تحصيناً. هذه الإشارة تعد أقدم ما وصلنا عن سكاكا في العصر الإسلامي، ولا شك أن لهذه المعلومات أبعاداً كثيرة يمكن أن نبني عليها بعض الآراء حول وضع المدينة خلال العصور الإسلامية المبكرة. فالإشارة لوجود أسوار لمدينة سكاكا في نهاية القرن السادس الهجري تؤكد أن المدينة كانت مزدهرة معمارياً لأن الأسوار غالباً ما تنشأ في مرحلة ازدهار المدن وتوسعها عمرانياً مما يجعل حماية هذه المنشآت أمراً ملحاً. والآثار المعمارية فيها اختفت تماماً ربما

العقود نصف دائرية مدببة تبلغ مساحته ١٢ × ٦م. تطلو هذا الميدان ثلاثة عقود متوازية باتجاه شمال جنوب، تحمل هذه العقود سقفاً مستوياً من خشب الأثل وسعف النخيل كما تصطف على جانبي هذا الميدان مصاطب حجرية استخدمت للجلوس كما يظهر من أسطحها المساء، يرتبط بهذا الميدان أربعة ممرات تربط أجزاء الحي المختلفة.

منازل حي الدرع :

حي الدرع أهم الأحياء السكنية القديمة بدومة الجندل، ويتكون هذا الحي من مجموعة كبيرة من المنازل ذات أحجام مختلفة. يعتمد نمط تخطيط هذه المنازل على وجود فناء أوسط أو فناءين أمامي وخلفي تفتح عليهما وحدات المنزل المختلفة. تتكون منازل حي الدرع في غالبيتها من دورين وفي حالات محدودة من ثلاثة أنوار، الدور الأرضي يقسم إلى قسمين، غرفة الاستقبال الرئيسية (المجلس) خاصة بالرجال ويتقدمها عادة فناء صغير الحجم ويفتح هذا الفناء على أحد الممرات أو الأزقة التي تتخلل الحي القسم الثاني من الدور الأرضي خصص لأهل الدار، وغالباً ما يتكون هذا الجزء من غرفة أو غرفتين ومطبخ معزول ومستقل في معظم الحالات، تفتح غرف هذا الجزء على ساحة خلفية كبيرة، الدور العلوي يحتوي على عدد محدود من الغرف بعضها خصص للاستخدام الصيفي وهذا يظهر من عدد النوافذ واتساعها وكبر حجم المداخل. يتقدم هذه الغرف فناء علوي مكشوف محاط بجدران بارترفاع قاماة الانسان.

مدينة سكاكا في العصر الإسلامي :

أكدت الأدلة الأثرية التي وجدت في مدينة سكاكا وفي محيطها مراحل الاستيطان التي مرت بالمدينة والتي تبدأ من قرون عديدة تسبق

نتيجة لتلك الظروف التي أوردناها أعلاه.

قلعة زعبل :

تقع قلعة زعبل في الطرف الشمالي لمدينة سكاكا، وتقف فوق قمة مرتفع صخري معزول تطل على مدينة سكاكا الواقعة إلى الجنوب منها، يرتفع مستوى القلعة عن الأرض المحيطة بمقدار ٢٥ متراً، وهذا الارتفاع جعلها موقعاً مهماً حيث استخدمت القلعة للمراقبة والدفاع عن المدينة.

شيدت قلعة زعبل من الحجر الرملي والطوب اللبن بطريقة غير متقنة مقارنة مع عمارة قلعة مارذ. ومخطط القلعة يأخذ شكلاً غير منتظم حيث اتخذ مسقط القلعة شكل قمة المرتفع الصخري. طول القلعة ٥٠ متراً وعرضها يتراوح بين ١٧، ٢٠ متراً. تحف بأركان المبنى أربعة أبراج دائرية أكبرها البرج الملاصق لمدخل القلعة الواقع في الواجهة الجنوبية. أما التكوين الداخلي للقلعة فيتكون من ساحة مكشوفة تحيط بها الأسوار والأبراج الأربعة. في منتصف الساحة من الجهة الشمالية توجد غرفة وحيدة منفصلة ذات مسقط شبه دائري، هذه الغرفة بنيت فوق مرتفع صخري صغير أعلى من أبراج القلعة إلى يسار المدخل وملاصقة للسور الداخلي توجد غرفة مستطيلة ذات مدخل يفتح باتجاه الشمال ويقع على جانبي هذا المدخل نافذتان.

القلعة محاطة بسور خارجي، يتصل بالأبراج. أساسات هذا السور والتي شيدت من الحجر الرملي حتى ارتفاع ١ م، أما الأجزاء العلوية من الأسوار فاستخدم في بنائها الطوب اللبن. ارتفاع أسوار القلعة ٢ - ٢ر٨٥ م وسماكة جدرانها ٦٠ - ٧٠ سم.

يصعب تحديد تاريخ بناء القلعة بشكل دقيق في غياب دليل مادي أو نص كتابي يحدد بشكل قاطع تاريخ البناء. الأدلة الأثرية التي وجدت حول القلعة والتي يعود أقدمها للقرن الخامس

قبل الميلاد، إضافة إلى العثور كاتب المقال على أنماط من الفخار العباسي في سفح المرتفع الصخري الذي تقوم عليه القلعة، هذه الأدلة تشير إلى احتمالية إرجاع تاريخ القلعة ليس فقط للعصر الاسلامي المبكر بل ربما لعصر ما قبل الاسلام.

قصر القدير إلى الغرب من قارا :

يقع هذا القصر إلى الجنوب من سكاكا وإلى الغرب مباشرة من قارا بني القصر على الحافة الشرقية لسلسلة الجبال الواقعة غرب قارا. المبنى صغير جداً وغير منتظم مساحته حوالي ٧ × ٥ر٥ م يتكون مخطط المبنى من برج كبير يقع في الجزء الشمالي الغربي وآخر صغير يقع في الركن الجنوبي الشرقي تنحصر بين البرجين مساحة مكشوفة يقسمها جدار أوسط إلى قسمين. بنيت جدران المبنى على سفح صخري، تبلغ سماكة هذه الجدران ٣٠ - ٤٠ سم وارتفاعها يتراوح بين ٨٠ رم - ٢م. المدخل الوحيد للمبنى يوجد في الواجهة الجنوبية الشرقية ويمكن الوصول إلى مدخل المبنى عن طريق درج شيد محاذياً لسطح الجبل. استخدم في بناء هذا القصر أحجار رملية مجلوبة من الجبال المحيطة وبني بطريقة بدائية غير متقنة.

أهمية هذا المبنى تنبع من وجود نقش كتابي يؤرخ لهذا البناء وجد على أرضية صخرية تقع مباشرة إلى شمال المبنى بمسافة حوالي أربعة أمتار. قراءة هذا النقش كالتالي:

١ = قام حماد بن كعب في عمارة هذا البيت.

٢ = سنة ثمانية عشر وخمسمائة.

٣ = وكتب بريك بن جبر فخر الله له ذنوبه.

٤ = أول يوم من المحرم.

يؤرخ هذا النقش بناء القصر لليوم الأول من شهر محرم سنة ١٨ هـ وحدد الشخص الذي قام بإنشاء هذا المبنى وهو حماد بن كعب.

قراءة النقش :

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم .
- ٢ - اللهم اغفر للاخارث .
- ٣ - بن صاغر ما تقدم من ذ .
- ٤ - نبه وما تأخر امين ثم ا .
- ٥ - مين رب محمد وا .
- ٦ - برهيم رب العلمين و .
- ٧ - كتب في وحدة و .
- ٨ - عشرين ومائة سنة .
- ٩ - ان الحكم لله .

المصادر والمراجع:

- البلازي، الامام ابي الحسن،
فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، بيروت، دار
الكتب العلمية ١٣٩٨هـ، الحموي، ياقوت،
معجم البلدان، بيروت، دار صادر، دار بيروت ١٣٧٤م .
الجاسر، حمد
في شمال غرب الجزيرة، الرياض، دار اليمامة ١٣٩٠هـ .
السديري، عبد الرحمن بن أحمد .
الجوف - وادي الفخاخ، الجوف، مؤسسة عبد الرحمن السديري
الخيرية .
ابن سعد .
الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، دار بيروت ١٣٧٦هـ .
الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير .
تاريخ الرسل والملو، حققه م. ج. دي جوج، لندن، ابريل، ١٩٦٤م .
المعيل، خليل بن ابراهيم .
«مسجد عمر بن الخطاب بدومة الجندل» مجلة جامعة الملك سعود
(الاداب ١٠) المجلد السادس، ١٤١٤هـ، ص ١٩٥ - ٢١٦ .
المعيل، خليل بن ابراهيم .
«نقشان عريبيان ميكران من سكاكا» مجلة الدارة، العدد الثالث،
السنة التاسعة عشرة ١٤١٤هـ .
«الاستيطان الحضاري في منطقة الجوف منذ اقدم العصور» الجوبة،
العدد الأول نوفمبر ١٩٩٠م .
ابن هشام، ابي عبد الملك بن هشام المعافري .
السيرة النبوية لابن هشام، قدم لها وعلق عليها وشرحتها طه عبد
الروف سعد، القاهرة، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن
شقران، ن. د .
الواقدي، محمد بن عمر بن واقد .
كتاب الفارزي حققه مارسدن جونز، لندن، مطبعة جامعة اكسفورد
١٩٦٦م .

المبنى مهم جداً لكونه يحمل نصاً تأسيسياً، وهو
المبنى الوحيد في المنطقة الذي يؤرخ بشكل
قاطع . وإلى الشمال من المبنى وعلى مسافة
٢٠٠م تقريباً لوحظت بئر قديمة وإلى الشمال
منها توجد بعض الأساسات الحجرية التي
تنتشر على مساحة محدودة، أما الفخار الملتقط
من هذا الموقع يشير الى فترة القرن السادس -
السابع الميلادي مع وجود بعض كسر الفخار
الأموي . هذه الأدلة أقدم بكثير من البناء القائم .
الآثار الخطية (الكتابات الاسلامية) :

تنتشر في منطقة الجوف أعداد كبيرة من
النقوش الاسلامية المبكرة في مواقع مختلفة من
المنطقة، وقد تم تسجيل أكثر من ١٢٠ نقشاً
معظمها يتركز في قارة النيصة غرب مويسن
وجبل الحماميات، والقرعاء غرب سكاكا، وموقع
القدير غرب قارا . معظم هذه الكتابات دونت
بالخط الكوفي البسيط . تقسم هذه النقوش
حسب مضامينها إلى أربع مجموعات . المجموعة
الأولى تحوي مضامين ذات صبغة دينية مثل
طلب المغفرة والرحمة وعلان الشهادة . المجموعة
الثانية عبارة عن نصوص ذات صبغة تجديدية
المجموعة الثالثة عبارة عن نقوش تذكارية . أما
المجموعة الرابعة فهي عبارة عن نقوش تأسيسية
تؤرخ لمبنى . وأقدم هذه النقوش وأهمها نقش
مؤرخ لسنة ١٢١هـ وهذه النقوش مهمة في
دراسة تطور الكتابة العربية خلال العصر
الأموي .

نقش من قارة النيصة :

عثر على هذا النقش على الواجهة الصخرية
الغربية لقارة النيصة إلى الغرب من قصر
مويسن . يتكون هذا النقش من تسعة أسطر
وكتب بخط كوفي بسيط ومؤرخ بسنة ١٢١هـ .
يعد هذا النقش أقدم النقوش العربية المؤرخة
التي وجدت في منطقة الجوف .

- King, G.R.A Mosque Attributed to Umar b. al-
Khatab in Dumat Al - Jandal inal - gawf, Saudi Ara-
bia, Gras' 2, (1978) 109 - 23.
The Historical Mosques of Saudi Arabia, London and
Now York, Longman, 1986.
Al - Muaikal, K.i.
Study of The Arachacology of The Jawf Region, Ri-
yadh, King Fahd National Library Publications, 1994
Wallin, G.A.,
Travel in Arabia (1845 and 1848) Cambridge Falcon
Oleander, 1979.

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

الفیصل

قضايا الفكر العربي والإسلامي والإنساني
بأقلام مفكرين عرب وأجانب وعبر حوارات معهم

الفیصل

مقالات ودراسات أدبية ونقدية واجتماعية وعلمية يكتبها متخصصون

الفیصل

متابعة لأبرز الأحداث الثقافية في الوطن العربي والعالم
على مدى شهر

الفیصل

جديد الكتب وأحدثها في عروض يكتبها صحافيون ونقاد
التعريف بالتراث العربي والإسلامي وتقديمه بأسلوب صحافي لا يخل بالجدية العلمية

الفیصل

دائرة معارف تتناول في كل عدد موضوعاً
يهم القارئ والباحث

الفیصل

استطلاعات ومقالات مصورة

عن الحياة المعاصرة والطب والعلوم والمتاحف والبلدان

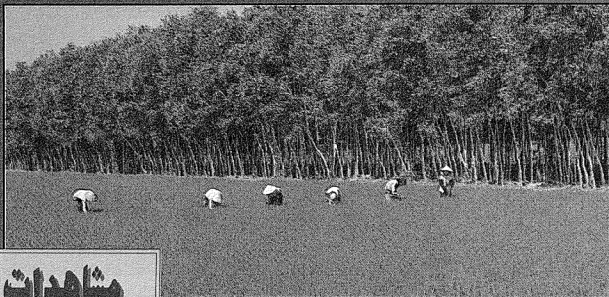
الفیصل

ملفات متخصصة وندوات ثقافية وعلمية يتناول فيها
أعلام الفكر قضايا الحياة الثقافية المعاصرة

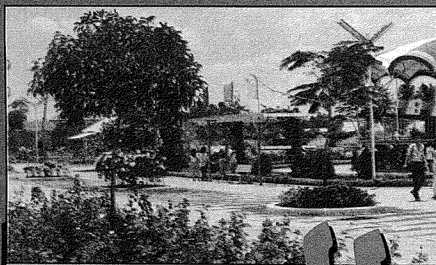
الفیصل : شاملة شمولية الثقافة نفسها

ص.ب ٣ الرياض ١١٤١١ هاتف ٤٦٥٣٠٢٧ فاكس ٤٦٤٧٨٥١

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقرىء الملامح ويرسم النوحة

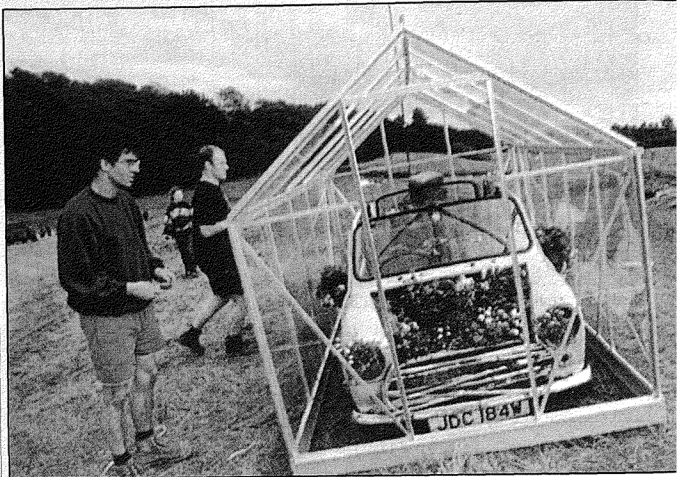


مشاهدات
من فيتنام



في هذا العدد من

الحلم السراب



الحلم الجميل.

هذا الذي نراه، معرض فني لـ (أصدقاء البيئة) استخدموا فيه كل ابداعاتهم الفنية للتعبير عن مدى سخطهم على تعديات الانسان على البيئة.

والمناسبة هي أن إحدى الوكالات البريطانية كانت قد بدأت في انشاء المرحلة الثانية لاحدى الطرق السريعة، فكان هذا المعرض لتذكير الناس بأخطار السيارات.

ولعل أطرف ما في هذا المعرض هذا (البيت الزجاجي) الذي يقم في داخله أناس وزهور وسيارة، في تعبير صريح لهروب الانسان من هذا الجو القاتل ليحتمي في هذا البيت الزجاجي.

الهواء .. الراحة .. الصحة .. هل ستبقى كل هذه مجرد حلم في بيئة نظيفة .. انه الحلم السراب.

في المدن الكبرى في كل أنحاء العالم أصبح الناس يحلمون باستنشاق هواء نقي غير ملوث بعوادم السيارات، وأدخنة المصانع.

الهواء النقي، والجو الهاديء الخالي من الضجيج، والانوار الساطعة.. إنه الحلم الاكبر الآن .. وما فتئ الانسان يأسف على شيء صنعه بيده أسفه على صناعة الضجيج والتلوث.

وفي محاولة لتقريب (حلمه) الجميل هذا إلى نفسه صنع الانسان صنعا (موازيا) أسماه (أصدقاء البيئة).

إنها محاولة لإصلاح ما أفسده الانسان نفسه .. ولعله ينجح .. وإلا .. على أقل تقدير - لينام في ظل هذا

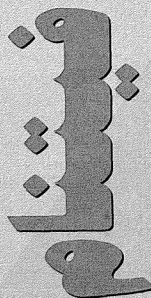
**** السياحة، قراءة نكية للشعوب ، عاداتهم ، أعرافهم ، تقاليدهم ، في المسكن والملبس والمأكل .. في السلوك والمعاملات .. في الجماعات والافراد . في أديانهم وعقائدهم وطقوسهم .. كل ذلك يعطي صورة حقيقية عن طبائع البشر ومعطيات حياتهم .**
هذه حلقات متتالية للأستاذ العبودي، مشاهدات وقراءات وتأملات في شعب فيتنام.

إلى المسجد المبارك :

بالنهر الذي أسست عليه المدينة ذاك نهر أكبر منه اسمه (نهر سايقون) سوف يأتي الكلام عليه عندما نصل إليه بإذن الله .
ومع وجود هذا النهر الخضم الذي يشعر بالغنى ووفرة المياه، فإن البيوت التي على ضفافه على عكس ذلك فهي بيوت من الخشب الذي اسود من القدم ومن الصفيح الذي احمر على الدهر حتى صار اللون غير البهيج هو الغالب على الجميع .

انتقلنا في وسط المدينة مع شوارع واسعة ذات أشجار باسقة وسوق - جمع ساق - غليظة، ومع الزحام المعتاد من الدراجات ومن الأناسي .
ووسط المدينة مُعتنى به، فالزفت جيد في أرض شوارعه وإن كانت الأرصفة فيها ليست بذلك، ومررنا فوق جسر كبير على نهر (بن دونغ) والنهر نفسه ضخم، ومع ذلك فهو ليس

مشاهدات في



بقلم:

محمد بن ناصر

العبودي

الامين العام

المساعد لرابطة

العالم الاسلامي

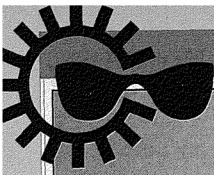
بمكة المكرمة

٣

وأما البيوت التي خلف هذه البيوت الواقعة على ضفافه فإنها مبنية من الإسمنت أكثرها من طابق أو طابقين، ولكنها غير بهيجة أيضاً فأكثرها قد بهت طلاؤه وذهب رونقه .

نزلنا بعد تجاوز النهر فدخلنا في حي بيوته اسمنتية صغيرة وشوارعه أزقة ضيقة فأوقفنا السيارة ودخلنا نسير على أقدامنا في زقاق من تلك الأزقة حتى وصلنا في رأسه إلى المسجد المبارك وقد كتبوا عليه اسمه بلغة تشامبا ذات الحروف العربية (سوروا مبارك) وبالملايوية بني عام ١٩٦٧م .

وسوروا: عندهم تعني المسجد الصغير مثلما أن الجامع يعني المسجد الكبير الذي تقام فيه الجمعة أو يصلح لأن تقام فيه الجمعة .
ومع ذلك لم ندخل إلى (المسجد المبارك)



الزراعة والخضرة.

في أوروبا وأمريكا، وكلهم من تشامبا .
ثم انتقلنا لرؤية المسجد فوجدناه في غاية
الضييق لا يكاد يتسع لعشرين من المصلين، ومع
ذلك ذكروا لنا أنه يصلي فيه الجمعة ما بين ٣٠

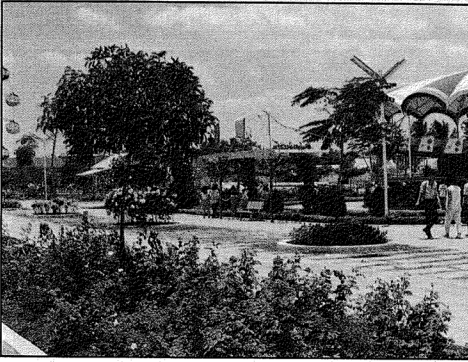
إلى ٤٠ ولا أراه يتسع لذلك .

وهو في الطابق الثاني من بناء ضيق له درج
من الخشب الواقف يشفق من يصعد منه من
الإنزلاق أو عدم استطاعته الصعود لا سيما
بالنسبة لكبار السن الذين هم المواظبون على
الصلاة في العادة، وهذا من العجب . ومن
العجب فيه أيضاً أن الإمام كانت في يده لفافة
من التبغ وهو يدخل داخل المسجد وفي
حضورنا، ونحن ضيوف من مكة المكرمة لم
يمنعه ذلك من التدخين، فطلبت منهم بوساطة
المرجع الإمام الشيخ محمد يوسف أن لا يدخل
أحد في المسجد، لأن الدخان له رائحة كريهة

مباشرة، وإنما ذهبنا إلى بيت غير بعيد منه وهو
لأحد الإخوة المسلمين واسمه (سليمان محيي
الدين) وهو نائب رئيس جمعية المسجد .

جلسنا لعدة دقائق ننتظر صاحب المنزل
فرأيت في منزله لوحات تشهد على أنه منزل
مسلم متدين من ذلك الشهادتان بالعربية بخط
جميل، وصورة لمسجدين، وقد ذكروا أن الأخ
(سليمان محيي الدين) يشتغل بالتجارة، ثم
حضر رئيس جمعية المسجد وهو الأخ (عمر بن
محمود) والإمام الحاج يعقوب بن عبد الله وهو
متفرغ للإمامة في هذا المسجد وليس له عمل
آخر .

بحثنا معهم بعض شؤون المسجد فذكروا
أنهم لم يتسلموا أية مساعدة من الخارج إلا ما
كانوا يتلقونه من أبناء وطنهم المسلمين المهاجرين



- من الحدائق العامة في سابقون .

عندما لا يتعاطاه مثلاً،
كما ينبغي أن ينزه
المسجد عنه .

وعلى ذكر الدخان
لاحظت أن كثيراً من
المسلمين مثل غيرهم من
سائر الناس هنا
يدخنون كثيراً، وقد أثر
الدخان في أفواههم
لوناً رمادياً غير محبب،
وفي صدورهم التي
غدت لها فحيح، وفيها
سعال شديد، وربما
رجع ذلك إلى سوء

التغذية مع الدخان الى جانب ما قد يكون في
الدخان الذي تنتجه بلادهم من رداءة أو عدم
تنقية مما يزيد من ضرره .

قالوا وهم يأسفون لضيق المسجد: إن
بجانبه بيتاً لأحد المسلمين يريد أن يبيعه ونحن
في حاجة إليه لتوسعة المسجد ولكن ثمنه غال إنه
يطلب ١٥ مليون دولار. وقد استعظموا ذلك مع
أنه لا يزيد على ألف ومائة دولار، فوعدتهم خيراً،
ونزلت لأرى هذا البيت فوجدته ضيقاً، ولكن ثمنه
بخس فهو لا يتجاوز أربعة آلاف ومائتي ريال
سعودية ومساحة البيت ٢٦ متراً مربعاً .

ثم عدنا إلى حيث أوقفنا سيارتنا في
الشارع الرئيسي خارج الحي ويسمى هذا
الشارع (قام تاهي) ، أما الحي فاسمه (رات
أن).

وقد ودعنا الإخوة المسلمون الذين تجمهروا
علينا لأنهم عرفوا بقدمنا بسرعة بسبب ضيق

الحي وقلة من يأتي إليهم من الأجانب .
ولم أرد الإنصراف عن هذه المنطقة إلا بعد
الوقوف على ضفة هذا النهر التي يقع الحي فيها
على سوء حالته وحالة أهله من الناحية
الاقتصادية .

فذهبنا نسير على أقدامنا حتى ضفة النهر
لأن السيارة لا تصل إليها لضيق الطريق بين
البيوت وعدم وجود الزفت فيه . فوجدته كما رأيته
من فوق الجسر عريضاً ضخماً جَمّ المياه ووجدت
مجاري المياه الخبيثة الخارجة من البيوت تصب
فيه .

وقال لي الشيخ محمد يوسف: إننا لا نشرب
منه، إن مياه الشرب تأتي من نهر (داون تاي)
خارج المدينة، وأهم ما هو ظاهر فيه هو أن
البيوت التي تقع على ضفافه مرفوعة عن الماء
بخشب وبعضها نصفها فوق الماء، ونصفها فوق
اليابسة، ولكنها كلها مرفوعة بأخشاب عن

الأرض أو عن الماء.

ولمناسبة اعجابي بهذا النهر وغزارة مياهه مع أنه ليس النهر الرئيسي في المدينة قال لي الشيخ محمد يوسف: إنه توجد في منطقة (هوشي منه) عشرة أنهار.

ووقفنا بعد ذلك في شارع اسمه (يان باناك) واقع في حي (تي بانغ) من أجل التصوير وملاحظة الناس، ولأنهم أخبرونا أن أكثر سكان هذا الحي هم من المسلمين.

ولم يصف هذا إلى معلوماتنا إلا تأكيد كون مدينة (هوشي منه) مدينة واسعة، وأنها لو قدر لها أن تخلع عنها قيود الشيوعية فإنها سيكون لها مستقبل اقتصادي باهر.

جامع الأنور :

كان الذهاب بعد ذلك إلى (جامع الأنور)، حيث وقفت سيارتنا في شارع رئيسي غير واسع، دخلنا منه إلى زقاق ضيق لا يتسع لمروء السيارة، ومع ذلك هو في غاية السوء من حيث عدم النظافة والعناية، وتقع عليه بيوت صغيرة من الخشب الرديء سقوفها من القش، وقد تكون لبعضها أساسات من لبن الإسمنت، ومع ذلك كله فهي مهمة إهمالاً ظاهراً يظهر ذلك من عدم ترميمها أو إصلاحها مما يدل على الفقر وضيق ذات اليد.

ونفذنا من ذلك الزقاق الضيق إلى زقاق آخر أقل منه ضيقاً. ولكن رأينا فيه ما يدل على أن سكانه من الفقراء وإن لم تكن في حاجة إلى دليل وهي مقادير من قشور جوز الهند التي هي ثمار النارجيل قد نشروها على الأرض لتجف ثم يستعملونها للوقود، وكذلك رأينا فيه حزماً من سعف النارجيل معدة للوقود.

ثم وصلنا الجامع (جامع الأنور) فوجدنا

طالبة المدرسة الملحقة به، بل الواقعة في جانب منه وهم يخرجون من المسجد بعد أن أدوا صلاة الظهر وهم بمظاهرهم الإسلامية التي من أهمها عندهم أن يكون على الرأس غطاء من قلفنسوة (طاقية) أو نحوها وعلى أساتذتهم قمص عربية طويلة كالقمص التي نلبسها نحن في بلادنا.

واحتجت إلى وضوء فأخذوني إلى مضخة أرضية يدفع الماء منها باليد يرفعها رجل منهم ويخفضها فيصب منها الماء، فصلينا الظهر والعصر جمعاً في المسجد وحدنا.

ثم تأملت بعد الصلاة وهو مستطيل إلا أنه بجميع مساحته لا يعد كبيراً، والمراد بذلك المصلى خاصة، وإلا فإن المسجد كله ليس صغيراً، إذ له أروقة محيطة به، منها رواق تشغله مقاعد للمدرسة الإسلامية، وقد كتبوا على محرابه بخط عربي جيد، (بسم الله الرحمن الرحيم، وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً).

أما سبورة المدرسة فإن عليها كتابة بالحروف العربية قال بعضهم: إنها باللغة الملايوية ولا أدري معنى هذا إلا أن تكون بلغة تشامبا التي يقول بعضهم بوحدة أصلها مع شعب الملايو على اختلاف بين الناس فيما إذا كان أهل تشامبا قد جاؤوا إلى هذه المنطقة الواقعة بين ما يعرف الآن بأنه الحدود بين فيتنام وكمبوديا في أزمان قديمة، أم أن أهل الملايو كانوا طائفة منهم من أهل تلك المنطقة في الأصل، وانتقلوا إلى الملايو بعد ذلك، وقد سبق ذكر ذلك.

علمنا أن عدد المصلين في هذا الجامع يوم الجمعة يتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠ مصلياً وفي

الأوقات المعتادة ٣٠ مصلياً. والواقع إننا رأينا تصديق ذلك في عدد المصلين الذين حضروا الصلاة بعد الظهر هذا اليوم.

التف علينا طائفة من الإخوة المسلمين وحدثونا أن (الجامع الأنور) هذا بُني بناؤه الحالي في عام ١٩٨٥م وأنه كان في مكانه قبل زمن مسجد صغير، وأنه كان قد جدد في عام ١٩٦٤م. وأخبرونا بشيء مهم هو أنه قبل ٤٥ سنة لم يكن في هذا الحي ولا منطقته أحد من المسلمين من مواطني فيتنام ويقصدون بذلك بالدرجة الأولى المسلمين من أصل (تشامبي) وإنما كان هناك مسلمون من أهل الهند ولكنهم رحلوا عن البلاد.

ثم انتقل المسلمون هؤلاء وسكنوا هذا الحي وعدداً من الأحياء وأمثاله في مدينة (هوشي منه) جاؤوا إليها من منطقة الحدود بين كمبوديا وفيتنام التي هي منطقة تشامبا.

وقد عزموا علينا أن نبقى قليلاً عندهم وفرشوا حصيراً على الأرض جلسنا عليه معهم وانتهزت هذه الفرصة للحديث معهم في أمور دينهم وفضل من تمسك به مثلهم رغم الصعاب من قلة الأنصار، ونقص الأموال وضعف الوسائل. وقلت لهم: إنني أرجو أن يكتب لكم أجر القايض على دينه في آخر الزمان الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم): سيأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقايض على الجمر، له أجر خمسين، قال الصحابة: منا أم منهم؟ قال: بل منكم. أي له أجر خمسين من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكفى بذلك أجراً، بل فحراً وقدرأً.

وقد شددت على وجوب تربية أولادهم تربية

إسلامية لأنهم عماد المستقبل ولأن ذلك أمانة في أعناقهم.

ثم حدثونا عن المدرسة الإسلامية هذه الملحقة بالمسجد فذكروا أن عدد طلابها ٦٠ طالباً وأنهم يدرسون فيها خمسة أيام في الأسبوع.

وبينما كانوا يتحدثون كان بعضهم يحضرون الشراب المثلج الغالي بالنسبة إليهم وهو الميرندا لأنهم يستوردونه استيراداً كما كانوا يحضرون نوعاً من أنواع الكعك المستدير وهو خاص ببلادهم وسألته عن حاجاتهم العاجلة الملحة مما يتعلق بأمر دينهم، فقالوا: إن سكان الحي من الفقراء ولدينا أرض للمسجد نريد أن نبني عليها بناء مستقلاً للمدرسة. ولكن المبلغ الذي يحتاجه البناء ضخم جداً، إنه عشرة آلاف دولار!

فأخبرتهم بأننا في رابطة العالم الإسلامي مستعدون لمساعدتهم بالمبلغ كله شرط أن يكتبوا طلباً بذلك مصدقاً من الجمعية الإسلامية في هوشي منه أو يسلموه إلينا إلى جانب ذكر الأشخاص المخولين بقبض النقود وانفاقها على البناء، ويجب أن تزكيهم الجمعية الإسلامية لهذا الغرض.

وكنتم أنظر إلى موقع المسجد فأجده يقع في ظل ظليل من أشجار باسقة أعلاها أشجار النارجيل وأقصراها أشجار الموز والباباي والعمبة (المانغو).

جامع الإسلامية:

هكذا اسمه، وربما صح تخريج ذلك بكونه جامع الأمة الإسلامية أو الطائفة الإسلامية، ويقع على شارع (تراون هون داو) من حي (نان تن) الذي هو في القلب التجاري من مدينة هوشي منه، تحيط به الحوانيت التجارية الكبيرة



- الدراجات ، المعلم الرئيسي في المدينة.

التي تحولت بعد الشيوعية إلى محلات تباع البضائع التي توزعها الحكومة أو تباع أشياء صغيرة لا يؤبه لها، لأن التجارة الخاصة التي تعتمد على التصدير والاستيراد غير موجودة وإنما تقوم بذلك الحكومة. أول ما استرعى انتباهنا عندما دخلناه أن محرابه

منحرف عن القبلة قليلا

بمحرابين: الأول يتجه إلى الغرب وقد تركوه وهو القديم والثاني يتجه إلى الشرق وهو الحديث، وقد ذكرت ذلك في كتاب (رحلات في أمريكا الجنوبية).

وفيما يتعلق ببناء هذا المسجد كان قد بني في عام ١٩٤٨م ولكنه دمر إبان الحرب التي وقعت في فيتنام الجنوبية آنذاك بين حكومتها وبين عصابات الفيت كونج الشيوعية، ولم يكن تدميره مقصوداً من الطرفين، وإنما وقعت عليه قنبلة فدمرت.

وبناءه الحالي تم من تبرعات أهل هذه المدينة ومن الإخوة في ماليزيا، وذكرنا أنهم يرغبون في بناء طابق ثانٍ فوقه لأنه الآن يضيق بالمصلين لكونه في سوق البيع والشراء وحوله كثير من المسلمين. وتقع شرقاً منه مدرسة إسلامية أغلقت بسبب قصور النفقة.

مسجد الرحيم :

لخطأ في تحديد القبلة عند بنائه، وقد فرشوا سجادة صغيرة تبين الاتجاه الصحيح للقبلة الذي ينحرف قليلا عن اتجاه المحراب إلى جهة اليسار، ومثل هذا الأمر وقع في عدة بلدان وأماكن من العالم لا أراني بحاجة إلى تحديدها وإنما أذكر بهذه المناسبة أن الإخوة المسلمين من أهل سورينام، وهم من أهل إندونيسيا في الأصل قد ظلوا لسنوات طويلة يصلون إلى جهة الغرب لأن قبلتهم في بلادهم إندونيسيا هي إلى جهة الغرب، فظلوا وهم من العوام الذين جلبهم المستعمرون الهولنديون إلى سورينام من أجل زراعة السكر وغيره. أن قبلة سورينام كقبلة إندونيسيا وبنوا مساجدهم على هذا الأساس، ويعد أن وصل إليهم عدد من علماء إندونيسيا في الأزمان الأخيرة نبههم إلى أن القبلة في سورينام هي إلى جهة الشرق وليست إلى جهة الغرب، فحولوا مساجدهم إلى الاتجاه الصحيح للقبلة، ورأيت حين زرت سورينام أحد المساجد



- بعض المسلمين في واجهة مسجد نور الايمان -

حان موعد الغداء بعد زيارة (جامع الإسلامية) فذهبنا إلى الغداء في المطعم الإسلامي المعتاد وكان معنا ثلاثة من الإخوة المسلمين أحدهم الشيخ محمد يوسف الذي كان ملازماً لنا للترجمة جزاه الله خيراً.

وكانت قيمة الوجبة خمسة أشخاص ٥٠ ألف دونج، وذلك أقل من ٤ دولارات أمريكية، وسبب كونه أرخص من الوجبات السابقة أننا لم نطلب فيه شرباً غازياً كالكوكا كولا والميرندا الذي هو غال لكونه مستورداً.

والماليزيين وهذا أول مسجد بل أول موضع إسلامي يذكر فيه العرب.

وذلك أن العرب كانوا جالية ذات عدد لا بأس به جاء أغلبهم من جيبوتي حيث الاستعمار الفرنسي إلى فيتنام هذه عندما كانت مستعمرة فرنسية فاشتغلوا بالتجارة وأسس كثير منهم أعمالاً تجارية وهم في أغلبهم من أهل اليمن، ولكن عندما استولى الشيوعيون على الحكم في فيتنام وأموا التجارة هجرها العرب كما هجرها غيرهم من التجار الأجانب.

وقد ذكرنا لنا أن عدد العرب في هذه المنطقة من المدينة كان حوالي ٢٠٠ شخص وهم

وبعد الغداء توجهنا إلى (مسجد الرحيم) ويقع في ناحية مهمة من قلب المدينة تحيط به الأبنية المتعددة الطوابق، له بوابة خارجية على الشارع تقضي إلى فناء مكشوف ويصعد منه إلى المصلى الرئيسي بدرج قصير فيصل الداخل إلى رواق بعده المصلى. وقد كتبوا عليه اسمه بالعربية (مسجد الرحيم) وتحتة بالإنكليزية (مسجد رحيم أسو سيشن مسك ١٨٨٥).

العرب في هوشي منه :

نوهوا بأنه مسجد للعرب والإندونيسيين

كانوا غالبية العرب في المدينة.

وقد جاء إلى المسجد مصادفة ودون ترتيب سابق شاب عربي اسمه (منصور بن أحمد صالح) وهو لا يعرف العربية، ولكن كان الحديث معه بوساطة المترجم، قال الشاب العربي: والذي موجود الآن في صنعاء وأمي إندونيسية الأصل، فيتنامية الجنسية تقيم الآن في الولايات المتحدة الأمريكية وتعمل هناك، تعرف عليها والذي ورزق بي منها وكلاهما غادر (هوشي منه) وبقيت فيها وحدي، وأنا الآن أعمل بائعاً متجولاً لا يزيد ما أكتسبه على لقمة العيش الضرورية.

قال الحاضرون وهو معهم: لم يبق من العرب الآن في (هوشي منه) إلا خمسة أو ستة أشخاص، بسبب صعوبات المعيشة في هذه البلاد.

تجولنا في المسجد مع رئيس الجمعية التي تشرف عليه وهو الأخ (حيدر بن سنون) أصله من المالينو والإمام علي بن أحمد ماليزي الأصل أيضاً. فوجدناهم قد تأنقوا في زخرفة المسجد وتزيينه، بخلاف المساجد الأخرى ومن ذلك أن أبوابه الداخلية من الزجاج الذي كتبوا عليه بالعربية لفظ الجلالة (الله) واسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) { (محمد) والشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، كما علقوا بداخله لوحات عربية عديدة.

ويقع على شارع (تام كي كوي) من المنطقة الأولى في هوشي منه (سابقون سابقاً) سألتهم عما إذا كانوا قد تسلموا مساعدة على استمرار تسيير أمور المسجد من الخارج فنقوا ذلك، إلا مساعدة قدمت إليهم من رجل مولود في هذه البلاد أبوه عربي وأمّه من تشامبيا، وذكروا أنه

يعمل الآن في جدة في المملكة العربية السعودية. ورأيت العمال يعملون في ترميم جانب من المسجد، وكل العمال ليس على أجسادهم إلا (تيان) وهو السروال القصير المعروف الآن باسم (شورت) وليسوا من المسلمين.

وقد أخبرونا أن عدد الذين يصلون الجمعة في المسجد (٥٠) مصلياً وفي الصلوات اليومية ٢٢. وذلك لكون المسلمين الذين كانوا يسكنون قريباً من المسجد في هذا الحي المهم من المدينة وهو حي (رقم ١) قد تركوها إلى الخارج، وفي جانب منه مدرسة إسلامية لتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة بالعربية فيها ٢٥ طفلاً وطفلة. وتفتح بعض البيوت على فناء المسجد الخارجي ذكروا أنها كلها من بيوت المسلمين.

على نهر سايقون :

ذهبنا ظهراً لرؤية النهر الذي سميت المدينة قديماً على اسمه وهو نهر سايقون وهو كبير في عرض النيل، ومع ذلك ليس هو بالنهر الوحيد في هذه المدينة، بل إن منطقتها تحفل بعشرة أنهار كما سبق نقل ذلك.

وتقع أبنية فاخرة متعددة الطبقات على ضفته بينها وبينه شارع الشاطئ الذي لم يكن فاخراً ولا معتنى به، ومن تلك الأبنية فندق ماجستك - أي العدالة - والعدالة في البلدان الشيوعية كالحرية هي اسم بلا مسمى، أو هي موجودة بالنسبة للشيوعيين الحكام محرمة على غيرهم.

أما الضفة الجنوبية فإنها مناطق شعبية ذات منازل من الخشب الرديء.

وقد تناولنا الغداء اليوم في المطعم الإسلامي الوحيد في المدينة وعجبنا لرؤية سياح أجانب مع

باصطلاحهم كما سبق أن أوضحنا ذلك، أول ما رأيناه منه اسمه مكتوباً بالعربية (سوراو نور الإسلام).

وجدنا في الاستقبال الإمام حاجي هارون بن علي والمعلم (زكريا بن أبي بكر)، والمراد بذلك معلم الدين الإسلامي بالمدرسة الملحقة بالمسجد ومعلماً آخر اسمه (حاجي محمد أشعري).

وهو مسجد صغير مؤلف من طابقين يقع المصلى الرئيسي في الطابق الثاني، بني المسجد أول ما بني في عام ١٩٦٠م ثم جدد في عام ١٩٧٠م، ويصلي الجمعة فيه - على ضيقه - ٤٠ مصلياً والمغرب والعشاء ١٠ مصلين.

وقد أخبرونا أن المسلمين وصلوا إلى هذا المكان قبيل عام ١٩٦٠م، جاؤوا من منطقة تشامبا الواقعة على حدود كمبوديا بسبب حرب الاستقلال بين الوطنيين الفيتناميين والفرنسيين. ويشغل أكثرهم بالتجارة. وذكرنا أن عدد الأسر التي يمكنها أن تصل إليه يعني أنها تسكن غير بعيدة منه ٢٦٥ أسرة مسلمة، وفيه مدرسة في الطابق الثاني أو السطح، حيث سقفوا جزءاً منه فصار غرفة طولها ٤ أمتار في ٣ أمتار يدرس فيها ٢٥ صبياً و١٤ بنتاً.

ومن طريف ما كتبه على السبورة بالعربية ما هذا نصه:

«سبت باولي جمادا الأولى ١٤١٢هـ.

الحديث من سفر على البر والبحر فيقرأ هذه الآيات: لا يمسه إلا مطهرون، آمنه الله من موت الفجعة» وتحت ذلك تفسيرها باللغة التشامبية ذات الحروف العربية.

وواضح أن فيه لحناً أظفعه ما وقع في الآية الكريمة: «لا يمسه إلا مطهرون» حيث الصحيح

أدلائهم من المواطنين قد حضروا إلى هذا المطعم وهم يأكلون ومعهم مصوراتهم، وذلك رغم كون أثاث المطعم ومظهره لا يغري بذلك، فذكر الإخوة المسلمون أن بعض السياح من غير المسلمين يأتون للأكل في هذا المطعم الإسلامي لنكهة في طعامه متميزة لذيفة ولنظافة الطعام نفسه الذي لا يدخله لحوم لا يأكلها الغربيون مثل لحوم الكلاب التي اشتهر الفيتناميون بأكلها.

ميدان الحرية :

عدنا إلى القلب الفاخر السكني القديم المدينة، الواقع إلى الشمال من نهر سايقون والجو صحو والشمس حارة رغم كوننا في فصل الشتاء الآن فسرنا مع الشوارع الواسعة المعتادة التي ضاقت على سعتها بالآف الدراجات.

ويحفل هذا القلب الفاخر أو الذي كان فاخراً من مدينة (سايقون) كما كانت تسمى بالأبنية العالية ذات الطوابق المرتفعة، وبالمحلات التي كان يؤمها المترفون الذين كان الرواج الاقتصادي الموجود في المدينة يغذي ترفهم حتى وصلنا ميداناً واسعاً قد غرس جزء كبير منه بأشجار باسقة ويقع عليه قصر رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية في القديم قبل اتحادها مع فيتنام الشمالية ويسمى (جندي كلوب) أي ميدان الحرية.

وكان آخر رئيس للجمهورية سكن في هذا القصر هو أنقوين ون تيو، ولا يزال حياً يعيش الآن في كندا.

سوراو نور الإسلام :

وسوراو: تعني المسجد الصغير



- مدرسة سلوك المتقين -

شوارع تيرانا عاصمة البانيا حين كنت في زيارتها من قلة الدراجات ومن انعدام السيارات عند المواطنين حتى إن الذي يركب دراجة هوائية يعد من ذوي الحظ العظيم، وذلك انتشرت عندهم سرقة الدراجات. مثلما انتشرت في لبنان وقت الحرب الأهلية سرقة السيارات.

والمسجد طابقان: الأرضي غرفتان ضيقتان إحداهما اتخذت مستودعاً، والثانية اتخذت مكاناً لفصل دراسي، وجدنا فيه أختاً مسلمة اسمها عائشة بنت حاجي عثمان وهي تدرس ١٧ تلميذاً صغيراً من الجنسين وبجانب ذلك مطبخ ذكروا أنه مكان لإطعام التلاميذ.

وقد وصلنا إلى المسجد مع زقاق ضيق فوجدنا المصلين في الطابق الثاني يصعد إليه مع درج واقف من الخشب ينهض من الشارع وليس من داخل المسجد لأن المسجد أضيق من أن

(إلا المطهرون) بالتعريف.

وقد التف علينا طائفة من الإخوة المسلمين أهل الحي واحضروا الشاي المزوج بالحليب وهم أول من رأيتهم يفعلون ذلك إذ الشاي الفيتنامي لا يشرب بالحليب في العادة، وإنما يفعل ذلك الهنود حيث اعتادوا ألا يشربوا الشاي إلا بالحليب لأن شايعهم يكون أسود ثقيلًا.

ويقع المسجد على شارع تان ون يو من حي في المنطقة الثالثة من هوشي منه التي تقسم الي اثنتي عشرة منطقة.

مسجد حياة الاسلام :

ذكروا لنا أننا سنذهب إلى مسجد (حياة الإسلام) ولكننا وجدنا اسمه مكتوباً عليه بالعربية (مسجد الحياة الإسلامية).

وكان الذهاب إليه وسط خضم من الدراجات التي أخذت سيارتنا تشق عابها، ورأينا بعضها عليها الفتيات بالقبعات الفيتنامية العريضة التي تختلف عن القبعات الصينية الشهيرة، إلا أن الملاحظ أن القبعة التي تكون على رأس الفتاة في مدن الصين وبخاصة في الجنوب يصحبها غالباً وجود مظلة واقية في اليد أما هنا فإن المظلات قليلة، ولا شك في أن القبعات العريضة تقوم مقام المظلة في الوقاية من الشمس ومن المطر الخفيف أيضاً.

وعندما رأيت كثرة الدراجات في شوارع هوشي منه هذه تذكرت ما رأيته منذ أيام في



- من أسواق عطلة نهاية الاسبوع.

يتسع له، كما أنه ليس له فناء
مكتشوف بل هو جميعه ضيق جداً،
ولقد عجبت وأنا أحاول أن أحفظ
توازني عند صعود الدرج الواقف
الذي يبدأ من الزقاق كيف يستطيع
كبار السن من الشيوخ والعجائز
الصعود للمسجد مع هذا الدرج.
ومع ذلك وجدنا ما كاد يعرقل
سيرنا في أعلاه وهو أحذية
المصلين التي وضعوها في أعلى
هذا الدرج لأنه لا يوجد في المسجد
مكان يتسع لها.

إخواننا المسلمين في بلاد الأقليات، وإلا فإنهم قد
بذلوا كل ما يستطيعونه وذلك جهد المقل أثابهم
الله.

وقد قيدت ذلك وقيدت ما تحتاج إليه
المساجد في هذه البلاد من تعمير وتوسعة
وتأثيث وسوف ندفع ذلك كاملاً بإذن الله من
رابطة العالم الإسلامي.

تري الرجل النحيف فتزدريه :

عندما أرى هذا الشعب النحيف القوام،
الضعيف الوسائل، المهلهل الثياب، الذي ليس
على وجوه أفراده شيء من الواجهة من جمال أو
حتى بياض مع حسن تقاسيم، أكاد أهون من
شأنه في نفسي، بل أكاد أزدريه وأحكم بأنّه من
هذه الشعوب المهملة - بكسر الميم - المهملة -
بفتحها - التي تسمى نامية - وهي لا تنمو - وقد
تسمى من شعوب العالم الثالث وهي من شعوب
العالم التالف، لكنني ما أن أذكر تاريخه القريب
وكيف ناضل وصابر حتى هزم دولة كانت عظمى

وجدنا القوم يصلون العصر، وتصلّي بعض
النساء خلفهم في مكان مفصول بين الرجال
والنساء بستارة خفيفة من القماش.

نكر لنا الإمام حاجي طيب أن عدد المصلين
يوم الجمعة يبلغ أربعين وفي الأوقات المعتادة ١٠
وقليل من النساء، وقد رأينا ذلك واعتقد أن الذين
صلوا خلفه هم أكثر من عشرة. وشكّوا من أن
سقف المسجد يحتاج إلى إصلاح بقيمة ١٥٠٠
دولار وذلك ما لا يستطيعونه. وهو يقع في الحي
١٢ من هوشي منه وهو حي نو بيوت من
الإسمنت أكثرها مسطحة السقوف رغم كون
البلاد مطيرة، يقتضي القياس أن تكون البيوت
فيها ذات سقوف مسنمة، إلا أنني لاحظت أنه لا
يوجد فيها أي بيت قد جدد بناؤه أو طلاؤه.

ولا شك في أن حالة هذا المسجد وأمثاله في
هذه البلاد تدل على مدى تقصيرنا نحن المسلمين
القادرين في الحواضر الإسلامية على مساعدة

نسبة إلى سكان خط الإستواء وما قرب منه - عرفنا منها أكثر ما عرفنا ابتسامات الملايويين في ماليزيا وإندونيسيا وهي ابتسامات عفوية غير متكلفة.

والشيء الوحيد الذي ينغص من المتعة في السير في هذه المدينة هو كثرة السائلين الملحقين (الشحاذين)، وبخاصة إذا كانوا من الأطفال الذين مرنوا على هذه الأعمال، وما أجدر بهذا الشعب الشجاع، أن ينهى هؤلاء الرعاع عن مثل هذه الطباع.

التحف الرخيصة :

رخص الأسعار في هذه البلاد عام وليس مقتصرأ على الطعام والشراب، بل أن ذلك يشمل كل المصنوعات والمنتجات الفيتنامية.

وذلك لرخص الأجور، وضعف الدخول حتى إن المرء ليعجب من ضالة الأجور، ولا يصدق أنها يمكن أن تكفي لما يسد الرمق فمثلا العامل الماهر يتقاضى راتباً شهرياً متوسطه مائتا ألف دونغ ويساوي هذا ١٤ دولاراً في الشهر - فكيف يعيش هو وأسرته من هذا المبلغ؟

ذكروا لنا أن الغذاء الأساسي للشعب وهو الأرز رخيص جداً، لأنه متوفر لديهم ويصدرون منه مقادير كبيرة وهو محدد السعر لأن الحكومة تتبعه لمن يطلبه بذلك السعر فيباع على المستهلك بسعر ٢٥٠٠ دونغ للكيلو أي أن الدولار الذي صرفناه اليوم بأربعة عشر ألف دونغ فيه خمسة كيلوات ونصف من الأرز، قالوا: وعامة الشعب الذين هم من البوذيين الفقراء يأثمون الأرز بشحم الخنزير، وهو رخيص عندهم لسهولة تربية الخنازير وكونها تأكل القمام وأوراق الشجر الموجودة بكثرة في هذه البلاد المطيرة، وكذلك السمك رخيص جداً عندهم، لذلك يستطيع

وهي فرنسا المستعمرة، ثم قارع وقاتل أعظم قوة حربية مالية متفنتة في اختراع أدوات القتل والخراب وهي الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تذق ذل الهزيمة وعار الانكسار إلا على يد هذا الشعب الفيتنامي الشجاع الذي كان الأمريكيون يعدونه قزماً يعتقدون أنه يكفي لهزيمته أن يهز العملاق الأمريكي سلاحه في وجهه فينهزم دون قتال.

ما أن أذكر ذلك حتى يكبر في عيني ويكبر حتى تطول قامته القصيرة فتطول عنان السماء، وتقوى أجسامه النحيلة حتى تصير في قوة أبطال المصارعة، وتنقلب ثيابه المهلهلة حتى تصير دروعاً من حديد قشيب، وحتى دراجاته هذه التي يركبها بديلة من السيارات التي يركبها الأمريكيون تكبر في عيني حتى تصبح أعظم وأجل، بل وأكثر راحة وأناقة من سيارات (الكاديلاك) والروز رويس التي يركبها قوم مهزومون لم يشعروا حتى بعار الهزيمة فتراهم يفخرون بما يركبون وما يلبسون فهم من العز والمجد عارون - لقد ذكرت مراراً وأنا أرى هذا الشعب النحيل، الذي لا يملك إلا القليل قول الشاعر العربي الحكيم:

تري الرجل النحيف فتزدره

وفي أثوابه أسد هصور

ويعجبك الطير فتزديه

فيخلف ظنك الرجل الطير

والطير: الجميل من الرجال، ويزدهيك:

يعجبك منظره.

ورغم ما لاقاه الشعب الفيتنامي الشجاع من حروب وكروب منها كرب لا يزال يأخذ بتلابيبه وهو الحكم الشيوعي. فإنه لا تزال في شفاه هذا الشعب بقايا من ابتسامات استوائية -

الخشبية الصغيرة المطعمة بالصدف بأربعة دولارات إلى خمسة وهكذا .

ومن الطريف في أمر هذا المتجر الكبير الذي هو حانوت معتاد في بلادنا ذو باب واحد أنه ليس خاصاً بشخص واحد وإنما هو مؤلف من زوايا أو أركان لا يفصل بينها أي حاجز، كل ركن أو زاوية فيه لأحد البائعين وهم مختلطون إلا أن لكل واحد منهم بضاعته وخزائنه وقد كان في الأصل حانوتاً واحداً كبيراً غير أن الحوانيت الكبيرة التي يملكها أرباب الأموال الكبيرة والشركات قد ذهبت مع مجيء الشيوعية . ولا أشك في أن هذه الأسعار الرخيصة سوف تتغير بعد الانفتاح الاقتصادي على العالم الذي بدأ الآن .

اللغة الفيتنامية :

عاودنا الجولة على الأقدام في شوارع (هوشي منه) وأزقتها القريبة من الفندق فكان أن تكرر عجبني من لغتهم الفيتنامية التي هي لغة فريدة لا ترتبط بلغات المنطقة التي حولها مثلما أن الشعب الفيتنامي شعب فريد في أصله لا يرتبط - عنصرياً - بالمجموعات البشرية المجاورة له كالصينيين والماليزيين .

صرف العملات المالية :

كان موعد الاجتماع ثانية بجمعية مسلمي هوشي منه في الساعة الثالثة ظهراً وذلك لإعطائهم بعض النقود التي خصصناها للمساجد والمدارس في هذه المدينة، وكان الاجتماع بهم الذي مر ذكره اجتماع تعارف وتباحث، وقد رأينا أن نصرف المساعدات المالية للجميع بوساطتها مع تعيين مصارفها، وذلك لكونها جمعية إسلامية معترفاً بها من الحكومة ومن المسلمين وأعضائها من العاملين الموثوق بهم .

العامل أن يعيش بمثل هذا المرتب الضئيل هو وأسرته عيشة الكفاف . وهذا القول في العمال الذين يؤلفون نسبة كبيرة من الشعب، وأما اخوتنا أئمة المساجد فإن رواتبهم أقل من ذلك بكثير، بل أكثر ضالة، من ذلك مثلاً راتب الشيخ محمد يوسف وهو إمام الجامع الكبير والمرافق المترجم لنا في هذه البلاد هو أقل من دولارين في الشهر إذ يتقاضى من جمعية المسجد ٢٥ ألف دونغ وذلك يساوي أقل من دولارين اثنين، وأكثر أئمة المساجد لا يتسلمون أية راتب .

ونعود إلى رخص التحف والمصنوعات الوطنية مع التنويه بأن هذا الرخص إنما هو بالنسبة إلى الأسعار العالمية، وبالنسبة إلينا نحن الذين نملك أموالا كافية بالعملة العالمية الصعبة ولله الحمد، أما بالنسبة إلى أهل البلاد فإنها غالية لا تصل طاقاتهم إلى التفكير في شرائها .

وجدنا محلاً كبيراً للتحف تعمل فيه عدة بائعات وبينهن امرأة مسلمة اسمها فاطمة، عرفنا إسلامها من كونها تعرض في متجرها من بين ما تعرضه لوحات إسلامية، منها آيات قرآنية كريمة مكتوبة بالصدف الأبيض، ومناظر لمساجد منقوشة بالصدف أيضاً .

إلى جانب علب وقلائد وسبح بديعة الصنع، رخيصة الثمن مما تنتجه بلادهم، ولديها أيضاً أشياء رخيصة كسبح الكهرمان النقي الأصيل كانوا قد استوردوه من الاتحاد السوفييتي وهو الذي يسميه بعض الناس بالعنبر ويستخرج من بحر البلطيق فالسبحه الواحدة منه بعشرة دولارات أمريكية وكنت اشتريت نظيرتها من متجر حكومي في موسكو بخمسين دولاراً وهي في أوروبا الغربية تباع أغلى من ذلك بكثير، أما اللوحات المطعمة بالصدف فإن الواحدة منها بثلاثة دولارات إلى أربعة حسب حجمها، والعلب



- صناعة القبعات عندهم فن رائع -

المملكة العربية السعودية ودعوة جمعيتهم لحضور المؤتمرات والاجتماعات الإسلامية.

وانفقنا ما قبل النوم من الوقت في الجلوس في ميدان ركس الذي يقع عليه فندقنا وهو حديقة فيها المقاعد الحجرية إلا أنها لم تكن كافية للجميع، لذلك رأيت أناساً كثيراً منهم يجلسون على ظهور دراجاتهم النارية ومنهم بعض الأسر الذين جاؤوا مع أطفالهم لتمضية جزء من الأمسية في هذا المكان الجميل.

ومن المنغصات فيه كثرة الأطفال وبخاصة من البنات اللاتي يعرضن عليك بضائعهن من الطوابع والتذكارات والعملات القديمة من ورقية ومعدنية، ولكنهم يلحون في العرض، ولا ينصرفون عنك إلا بعد أن تبذل مجهوداً كافياً في إقناعهم بعدم رغبتك في الشراء وبأنك لن تستجيب لتوسلاتهم في ذلك، ولا بد من أن يشترك في أفهامهم عدد من أعضاء جسمك منها رأسك بهزه يمنة ويسرة ويداك بايماءات تدل على النفي لأن النفي بلسانك لا يغني شيئاً.

«للرحلة صلة»

وقد عقد الاجتماع في مقرهم في الشارع الرئيسي المؤدي إلى المطار فقدمت لهم في البداية هدايا شخصية فيها سجاد للصلاة وسبح - جمع سبحة - ومناظر وصور مكبرة لل الحرمين الشريفين.

ثم أعطيتهم بحضور الجميع وبعض أئمة المساجد المبالغ المالية بالدولار مقسمة إلى مصارف ثلاثة: أولها: اعانة للجمعية على

تسيير أمورها.

وثانيها: اعانة للأئمة والمدرسين

الذين هم المدرسون في المدارس الإسلامية وهي الكتابات القرآنية ونحوها.

وثالثها: مبلغ مخصص للإعانة على إجراء الترميمات والإصلاحات العاجلة للمساجد في هذه المدينة.

وقد أخبرتهم أن هذه إعانات رمزية أولية أقدمها من رابطة العالم الإسلامي على أن تتبعتها بمبالغ كافية وذلك بعد أن نشاهد الأمور على الطبيعة، ونقرر ما تحتاجه المساجد والمدارس والأئمة من مبالغ محددة بإذن الله. كما أعطيتهم سجداً صغيراً للمساجد، لأنني لاحظت أن بعضها ليس في محاريبها سجاد.

وكانت جلسة مباركة سرُّ بها إخواننا المسلمون، وطلبوا المزيد من الزيارات ما بينهم وبين أخوتهم المسلمين في الحواضر الإسلامية لأن إمكاناتهم محدودة في الوقت الحاضر.

وقد اتفقنا معهم أثناء الجلسة على الاستجابة لبعض مطالبهم، ومن ذلك استضافة بعض كبارهم في الحج ودعوة عدد من زعمائهم لزيارة الرابطة، والتعرف على المسؤولين في

من الكلمة إلى الفكرة (٩)

العقل المتزن والحس
السليم، لأن الحكمة

ربيية الحرية، بل هي معيارها ودليلها.

العدل قوام الحرية، فإذا اختلف ميزانه وغاب
حكمه، وحل الجور محله، انسدت منافذ
الحرية، وانتكست ألوية الحق، وتداعت أعمدة
المساواة، وانفتحت أبواب الاستبداد والقهر
والتسلط.

ومبدأ العدل أن تبدأ بنفسك فتعرف ما لها
وما عليها، وأية ذلك أن تأخذ بالحسنى ما هو
لك، وتعطي بالمعروف ما هو لغيرك، فإذا
فعلت ذلك استبان قديرك على أن تعدل مع
الآخرين؛ فإن أظلم الناس الظالم لنفسه
الغافل عن حقها؛

ومن فرط في
حقه كان أولى
بالتفريط في
حقوق غيره.

الحرية المثلى إنما تتجلى في قدرتك على
التخلص من عبودية المادة، وطغيان الأهواء،
وغلبة الشهوات التي تضعف النفس العاقلة،
وتميت في الضمير أنسجته الحية.

العبودية ليست في كل الأحوال نقيضاً
للحرية، فأنت إذا كنت عبداً للخالق وحده، لا
تضل عن سبيله، ولا تغفل عن تدبر آياته، ولا
تخشى غيره، ولا تلتصم العون والهداية إلا
منه، فإنك تدرك بذلك أقصى
غايات الحرية، فتتخلص من
أسر المخلوقات، لا تعبد
صنماً، ولا تتقاد لهوى، ولا

حينما تهمس في
سرك أو تجهر قائلاً

لبسانك: «أنا حرّاً» فأنت إنما تعرب عن رغبة
خفية تتلجج في وجدانك ولا تكاد تخرج إلى
عالم النور إلا بجهد جهيد. فالحرية تولد معك
وتمتدح بفطرتك، ثم تتوارى في ثنائيا نفسك؛
وما تزال صورتها ترافق أحلامك، وتحثك
على الانطلاق، وتدعوك إلى الصمود أمام
التجارب كلما أثقلت قيود الحياة، فإذا ما
أسعفتك الأقدار المتربصة بك، وتنبهت
حواسك الباطنة، وعقدت العزم على فك
الحبال المشدودة حول بدنك لتبدأ مسيرتك
البطيئة في دروب المجهول، فإنك ستواجه
بمفردك أشباحاً مخيفة لا بد لك من مقاومتها،

وحينئذ ستدرك
أن الإرادة هي
مفتاح الحرية،
بل هي عجلتها
الدافعة.

الحرية وقيودها

أما إذا أفزعك الأشباح التي تترصد لك
في منعرجات الطريق، وراعتك هولها فقد
تتعطل إرادتك وتستسلم؛ فالحرية إنما تتحقق
باختيارك، بخلاف العبودية التي تركبك بإرادة
غيرك.

ليس معنى الحرية أن تفعل ما تشاء كما
تشاء وفي الوقت الذي تشاء، بل أن تفعل ما
ينبغي لك فعله بالطريقة
المناسبة وفي اللحظة المواتية؛
وأية ذلك أن تتصرف بأسلوب
يوافق النهج الذي يرسمه لك

بقلم:

محمد العربي الخطابي

- الرباط -

يقوى على استعبادك إنسان.

الإبداع والتجديد والتسبيح ما لا يقدر أحد
على وصفه، ولا يقوى عقل على استيعاب
كلياته، وبالأحرى جزئياته. (وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السَّحابِ)
(النمل/٨٨).

أما إذا غلبتك أهواء نفسك، وملت معها في
كل اتجاه فإنك تشرف على الهاوية دون أمل
في أن ينقذك من الوقوع فيها شيء؛ يقول
الحق سبحانه: [أرأيت من اتخذ إلهه هواه
أفأنت تكون عليه وكيلاً] (الفرقان/٤٣).

إذا ضاق من حولك فضاء الدنيا فالتمس
السعة في رحاب قلبك، وانفذ ببصيرتك في
عمق الأشياء لا في مظاهرها الخارجية
وحينئذ ستبدوا لك الحقائق الكبرى ناصعة
جليّة لا يعلّق بها غبار الشك، ولا يحجبها
ظلام الغموض؛ فإذا استقرّ اليقين في قلبك
لازمتك السكينة، وواصلت الصعود إلى قمة
الحرية لتحلق في أجوائها العالية طليقاً خفيفاً
لا يثقلك قيد ولا يصيبك وهن.

الحرية شفاة كالماء الطهور لا حُمرة فيها
ولا بياض ولا سواد، وهي إنما تستشف لون
الوعاء الذي يحويها وتملاً فراغه.

كل شيء خالص وخال من الشوائب فهو
حرٌّ، فكيف يكون حرّاً مَنْ ركبهُ الغلُّ والغرور
والضغينة والعُجب والعَمّة وبلادة الحس
وانغلاق الفؤاد؟ فهذه كلها قيود تثقل النفس
وتमित الضمير فلا يتأتى معها انطلاق ولا
انبساط ولا صعود.

الحرية أنشودة الحياة، ونائها المحبة،
وانغماسها البشر والطمأنينة وانسجام
الأضداد؛ فاصنع لنفسك منها لحناً يصقل
نورك، ويريح سمعك، ويَهْدِب شعورك، ويرتفع
بك في سَلَم الأحرار الأبرار

الطبيعة تعلمك كيف تكون حرّاً، إذ فيها
ألف آية تنير الأفق أمامك، وتذكك على
الطريق؛ فإذا كانت بصيرتك مفتحة، ووجدانك
حيّاً تشربت نفسك معاني الآيات الماثلة بين
يديك، وغمرك نور كاشف تمشي به بين
الناس.

فأنت ترى النهر كيف تتدفق مياهه وتنساب
مندفعة في مجراها لا يثنيها عن تدفقها عائق
حتى تدرك غايتها وتبلغ مستقرها.
ثم إنك تنظر إلى البذرة المتناهية في
الصغر، تراها تطرح في أحشاء التربة
الهامدة، فتنبعث في صلبها حياة بارزة،
وتتحول البذرة إلى نبت يشق الأرض ليظهر
فوقها ويرتمي في أحضان الهواء والشمس لا
يصده عن النمو والانتشار شيء.

فإذا أنت وجهت بصرك نحو السماء وما
فيها من نجوم وكواكب، وما يتعاقب عليها من
سنن وظواهر، ثم تأملت عوالم النحل والنمل
والطيور والحيتان وجواهر الأرض وسائر ما
خلقه الله من شيء مما يقع تحت بصرك أو
تدرك وجوده بعقلك أو حواسك فإنك ستجد
في ذلك كله حركة منتظمة ودائبة فيها من

مع الدكتور عبد المحسن القحطاني في كتيبه بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر (٤-٥)

أبى بكر السكاكي صاحب كتاب «مفتاح العلوم، وبدر الدين محمد الدماميني صاحب كتاب «العيون الغامضة على خبايا الرامزة» وقصيدة سلمي بن ربيعة التي فتح لها الجوهري باب الجواز المطلق تتألف من ثمانية أبيات ومطلعها:

إن شـواء ونشـوة

وخـبب البـازل الأـمون

قال عنها الدكتور في نهاية الصفحة الثامنة والأربعين: «إذن فقصيدة سلمي من مـخلع البسيط، عروضه محذوفة السبب «لن» وعلى هذا تكون إحدى صور المـخلع والصحيح أن أعاريض أبيات قصيدة سلمي الثمانية مقطوعة مخبونة محذوفة

فالحذف جاء بعد القطع والخبن لأن أصل تفعيلة «العروض» مستفعلن فقطعت أي حذف ساكن الودت المجموع «ن» وتسكين المتحرك قبله وهو اللام فأصبحت مفعولن ثم خُبِنَتْ أي حذف الحرف الثاني الساكن وهو هنا الفاء فأصبحت فـعولن مكونة من وبتد مجموع وسبب خفيف ولكي

بعد أن انتهى الدكتور من مناقشة قصيدة امرئ القيس اللامية ومطلعها:

عيناك دمعهما سجال

كنن شائيهما أو شال

كما ذكرت ذلك في الحلقة السابقة تناول مقطوعتين للشاعر علقمة بن ذي جدن الحميري إحداها حائية تتكون من ثلاثة أبيات والأخرى نونية وعدد أبياتها خمسة أبيات ولقد أشاد الدكتور عبد المحسن إنصافا للحق وأهله بعلقمة بن ذي جدن الحميري واعتبره من أوائل من نظم مـخلع البسيط، وذلك بعد قيامه بتقطيع أبيات المقطوعتين الشعريتين الحائية والنونية وتاكّد من مطابقتها لتفعيلات مـخلع البسيط.



بقلم:

أحمد سالم يعطوب

- جدة -

كما اعترف الدكتور القحطاني لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري بالفضل حيث فسح مجالا لقصيدة «سلمي بن ربيعة» [١] وحكم على وزنها بالجواز في حين رفضها ابن السراج الشنتمري [٢] صاحب المعيار، ويوسف بن

الأعاريض، فكل الأبيات جاءت أعاريضها على وزن «فَعْلُنْ» باستثناء البيت الرابع عشر فقد جاءت عروضه على وزن «فَعْلُنْ».

ومن يقرأ القصيدة وتقطيعها عروضيا يجد أن جميع أعاريضها مخبولة مكشوفة إلا عروض البيت الرابع عشر فهي صلماء والصلم هو: حذف الود المتد المفقوق من «مفعولات» ويمثله هنا «لات».

وإذا كان هناك عيب في قافية القصيدة فهو عيب سناد التأسيس في البيت التاسع إذ جاء مؤسسا بينما بقية أبيات القصيدة غير مؤسسة، كما يلاحظ سناد التوجيه في كثير من أبياتها، وسناد التوجيه هو اختلاف حركة ما قبل الروي المقيد بين الضم والفتح والكسر، على أن قليلا من النقاد يجيزون ذلك.

قصيدة المرقش الأكبر:

تناول الدكتور عبد المحسن بعد ما فرغ من معالجة قصيدة طرفه معالجة قصيدة أخرى لشاعر جاهلي آخر هو المرقش الأكبر وقال: «لو اطلع العروضيون على قصيدة المرقش كاملة لحملوها على بحر الكامل لوجود «متفاعلن» في أكثر من بيت من القصيدة» جاء هذا القول في الصفحة الخامسة والسبعين من الكتاب بالسطر الحادي عشر، ثم أكد ذلك في الصفحة السادسة والسبعين حيث قال: «وأنا على يقين لو أنهم - أي العروضيين - اطلعوا على القصيدة كاملة لحملوها على الكامل».

ورأي الدكتور بل حكمه هنا صحيح، ففي عجز البيت السابع تفعيلة سالمة من تفعيلات

تتحول فعولن إلي «فعل» يجب علينا أن نجري عليها عملية الحذف وهي اسقاط السبب وهو «لن»، وهكذا فإن العروض «فعل» في مخرج البسيط لم تأت إلا بعد اجراء ثلاث عمليات هي القطع والخبن والحذف.

وتعرض الباحث لمقطوعة الأسود بن يعفر وهي خمسة أبيات من مجزوء البسيط، البيت الأول عروضه سالمة والضرب مطوي مزال، والبيت الثاني عروضه مطوية والضرب مطوي مزال، والبيت الثالث عروضه سالمة والضرب سالم مزال، والبيت الرابع عروضه مخبونة والضرب مطوي مزال، والبيت الخامس عروضه حذاعطوية والضرب سالم مزال، وعروض هذا البيت نادرة وغريبة.

قصيدة طرفه بن العبد:

ثم تحدث الدكتور من بداية الصفحة الحادية والستين عن قصيدة الشاعر الجاهلي طرفه بن العبد وأبياتها خمسة عشر بيتا فقال: «وتطالعنا قصيدة لطرفة بن العبد لم يلتفت إليها أغلب العروضيين وهي تمثل مرحلة من مراحل المزاجية أو الجمع في الضرب بين «فَعْلُنْ» و«فَعْلُنْ» وقد أجاز الزجاج تلك المزاجية أو الجمع».

ولقد تولى الدكتور تقطيع أبيات القصيدة تقطيعا عروضيا ثم أعلن نتيجة ذلك فقال: «جاءت الأبيات كما في الديوان من بحر السريع الذي جمع في ضربه بين «فَعْلُنْ» و«فَعْلُنْ»، فقد جاء الضرب في الأبيات: ١، ٢، ٤، ٦، ٩، ١٥ على وزن «فَعْلُنْ» وجاء الضرب في الأبيات: ٣، ٥، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤ على وزن «فَعْلُنْ»، أما من حيث

الثالثة: ورد البيت بالصفحة السادسة والسبعين بالسطر الثاني بهذه الصيغة:

**هل بالديار أن تجيب صمم
لو كان رسماً ناطقاً كلّم**

- وهنا طابق صدر البيت صدر المطلع لكن العجز في هذا البيت اختلف مع عجز المطلع حيث أبدلت كلمة «أن» في العجز إلى «كان» وكلمة «حياً» إلى كلمة «رسماً».

الرابعة: ورد البيت بالصفحة ٧٧ بالسطر الأول كما يلي:

**هل بالديار أن تجيب صمم
لو كان رسماً ناطقاً كلّم**

- وهنا مازال صدر هذا البيت يساوي صدر المطلع لكن «أن» في عجز المطلع أبدلت «كان» و«حياً» أبدلت إلى كلمة «رسماً».

وهذه الملاحظة قد لاحظتها عند قراعتي للكتيب في طبعته الأولى وكنت أتوقع عندما علمت بطبعته الجديدة أن يكون الدكتور قد وجه نظر المسؤولين بالمطبعة إلى مراجعة ذلك وتصحيح الأخطاء، وأعتقد أن الدكتور ربما وجه نظرهم إلى ذلك ولكن كما يقول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً

ولكن لا حياة لمن تنادي

عودة إلى الخلف :

ثم عاد الدكتور برحلتنا معه إلى القهقري فبعد أن تركنا مرحلة الأبيات الأحادية والثنائية والثلاثية وتجاوزنا مرحلة المقطوعات وبدأنا نجابه القصائد وجها لوجه ونسبر أغوارها مع الدكتور ونتعرف على مكان الدر، ومخابيء السر الذي يفتح لنا الأبواب المغلقة، ويسهل السير على الدروب

بحر الكامل «متفاعلاً» وكذلك في عجز البيت الثامن تفعيلة أخرى من نفس الوزن مما يحقق الشرط الذي وضعه العروضيون للتمييز بين السريع والكامل المضممر والشرط كما ذكره الدكتور في كتابه وهو «عند تنازع بحرين تفعيلات أبيات قصيدة ما كبحر السريع والكامل المضممر، فإن الفیصل في ذلك هو وجود تفعيلة واحدة من بحر الكامل التام «متفاعلاً» فتعد من الكامل وإلا فالقصيدة من السريع».

ومطلع قصيدة المرقش هو:

**هل بالديار أن تجيب صمم
لو أن حياً ناطقاً كلّم**

- والمرقش هنا هو المرقش الأكبر واسمه ربيعة بن سعد وقيل عمرو بن سعد وسمي المرقش لقوله:

الدار قفر والرسوم كما

رُقش في ظهر الأليم قلم

- ومطلع القصيدة أورده الدكتور القحطاني في كتابه بأربع صيغ مختلفة.
الأولى: بالصفحة ٢٢ بالسطر الرابع على النحو التالي:

**هل بالديار إن تجيب صمم
لو كان رسماً ناطقاً كلّم**

الثانية: بالصفحة ٧٥ بالسطر الثالث بالصيغة التالية:

**هل للديار أن تجيب صمم
لو أن حياً ناطقاً كلّم**

- وهذه تكاد تطابق المطلع لولا أن طابع الآلة أبدل حرف الجر (ب) في كلمة «بالديار» بحرف الجر (ل) فصارت «للديار».

كرر القول في الصفحة ٢٦١: «إن اعرابيا خرج هاربا من الطاعون فلدغته أفعى في طريقه فمات فقال أخوه يرثيه:

طاف يـبـفـي نجـوة

من هـلاـك فـهـلـك

- وهذا هو مطلع القصيدة كما أورده الدكتور عبد المحسن في كتابه موضع المناقشة، وهو نفس المطلع الذي أورده صاحب القسطاس بالصفحة ٧٨ لكن مطلع القصيدة عند الجوهري صاحب عروض الورقة بالصفحة ٦٠ جاء هكذا:

ليت شعري ضلة

أي شيء قتلك

- وكذلك ذكره صاحب البارع بالصفحة ١٠٧ على أساس أن كل بيت يساوي شطر العديد المثنى

ليت شعري ضلة أي شيء قتلك

أمريض لم تعد أم عدوؤ ختك

- وبذلك قال صاحب الجامع أيضا:

ليت شعري ضلة

أي شيء قتلك

أمريض لم تعد

أم عدوؤ ختك

- ولعموم الفائدة نذكر القصيدة كاملة كما أثبتتها الدكتور في كتابه الذي سعدت بقراءته:

طاف يـبـفـي نجـوة

من هـلاـك فـهـلـك

ليت شعري ضلة

أي شيء قتلك

أمريض لم تعد

أم عدوؤ ختك

المستعصية حتى أصبحنا على مقربة من شاطئ النجاح فإذا به يلوي مقود سيارته ويعود إلى الوراء مسرعا كأنما تذكر شيئا قد نسيه، وخشي أن يأخذ طريقه إلى النسيان التام فعاد بنا إليه فإذا بنا أمام مقطوعات شعرية منها قطعتان لعدي العبادي إحداهما ٦ أبيات والآخرى ٣ أبيات، ولعلقة خمسة أبيات، ولأمية بن الصلت مقطوعة ذات سبعة أبيات وقد شخّص الدكتور المقطوعات وتمكن من إدراجها في البحور التي تحمل سماتها، وعالج ما بها من زيادات حتى استقامت واستوت ودخلت مدينة الشعر من أوسع أبوابها.

قصيدة أم السليك :

وردت قصيدة أم السليك في كثير من كتب العروض والقوافي وتناولها النقاد والعروضيون بالتحليل والمناقشة واختلفوا في المسمى العروضي الذي يجب أن تنسب إليه هذه القصيدة فمنهم من يرى أنها من مجزوء الرمل ومنهم من يعدها من مشطور العديد وبعضهم عدّها من مربع العديد، وقبل أن أستعرض لكم الآراء المختلفة في هذه القصيدة التي نسبها الدكتور لأم السليك بينما نسبها ابن القطاع لأخت تائب شرا أما صاحب الجامع أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي فقد نسبها لأم تائب شرا، أما صاحب كتاب القسطاس جاز الله الزمخشري فقال: «إن البيت (أي مطلع القصيدة) لأم السليك أو لأم تائب شرا» - أما صاحب العقد الفريد أحمد بن عبد ربه فقد قال في الجزء السادس في الصفحة ١٩٣ ثم

بأكملها كما أن هناك سببا آخر أوضحه الدكتور في نهاية الخاتمة حيث يقول: «على الدرس العروضي أن لا ينظر لببت أو شطر مستقلا عن كامل النص، لأن هذا سيؤول بالدرس إلى وجود بحور كثيرة، أو أعارض وأضرب متعددة في نص واحد، والذي يهم، أن يبحث عن القاسم المشترك في كل نص، لأن المناقشة ستدور حوله».

«للبحث صلة»

الهوامش:

(١) ورد اسم سلمى بن ربيعة في أمالي القالي الجزء الأول صفحة ١١١ وفي كتاب «التبعية على أوام أبي علي في أماليه» لأبي عبيد البركي بالصفحة الثالثة والأربعين قوله «هكذا روي عن أبي علي رحمه الله - سلمى يفتح السين والميم، ولم تختلف الرواة أن اسم هذا الشاعر: سلمى بضم السين وكسر الياء وتشديد الياء وهو سلمى بن ربيعة بن زيان بن عامر الضبي، غير أنه في هامش الصفحة أورد الجملة التالية: قال سلمان بن ربيعة الضبي».

وفي الاعلام للزركلي المجلد الثالث صفحة ١١٥ ذكر اسمه سلمى بن ربيعة الضبي ثم عقب على ذلك بقوله: وفي ضبط اسمه خلاف.

والدكتور القحطاني أورد اسمه في كتيبه بعدة اسماء فثارة كتبه سلمى بن ربيعة - بدون تشكيل - بالياء المعجمة وثارة سلمى (بالالف المقصورة) بن أبي ربيعة كما ورد في السطر السابع من الصفحة السادسة والأربعين وفي نفس الصفحة في السطر الأخير منها أورد اسمه سلمى بالالف المقصورة كما كرر ذكر سلمى بن أبي ربيعة في صفحة ١٧٥ من كتيبه. أما ابن القبايع في كتابه «البارع» فقد ذكر اسمه في الصفحة ١١٧ بالهامش «سلمى بن ربيعة بالالف المقصورة».

(٢) ورد ذكر الشنتريني في كتيب الدكتور عبد المحسن القحطاني عدة مرات نذكر منها صفحة ٧٤، ٧٥، ٨٧ ويقتض بذلك مؤلف كتاب «المعيار في وزن الأشعار والكافي في علم القوافي» غير أن اسمه الصحيح كما أورده مؤلف كتاب نفع الطيب في الجزء الثاني من ٢٢٨ وهو أبو بكر ابن السراج، النحوي - بتشديد الراء - وهو محمد بن عبد الملك بن محمد بن السراج الشنتريني، أحد أئمة العربية البرزين فيها، ويكتب فخرًا أنه أستاذ أبي محمد عبد الله بن بري المصري اللغوي النحوي، له تواليف منها «تبيين الألياب في فضل الإعراب» وكتاب في العروض، وكتاب «مختصر العدة لابن رشيق وتبنيه أغلاطه».

تفعيلات مثنى المديد، وكل ما عرف عنهم هو أن المديد سداسي، وما دام الأمر كذلك فلكل سداسي مجزوء رباعي وهذا ما ذهب إليه أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري وحكم على هذا النص بأنه من مربع المديد.

خاتمة الفصل الأول :

ينتهي الفصل الأول من كتيب الدكتور عبد المحسن فراج القحطاني الموسوم بـ «بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر» بعرض سريع، أو بملخص لما بذله الدكتور من جهد مشكور في اعداد هذا البحث، وإخراجه، وما توصل إليه من نتائج حيث يقول: «وبعد فإن النصوص الشعرية التي وردت في هذا البحث، وتطرق إليها القدامى والمحدثون من العروضيين والنقاد إنما كانت تبحث عن سمة خاصة بها».

فهل استطاع الدكتور أن يحل كل الرموز التي وقف الكثير أمامها في حيرة كبيرة حتى وصموها بالاضطراب والخلل الوزني؟ يجيبنا على هذا السؤال قول الدكتور «فمنها ما استطاع أن يستقر في مكان موسيقي وُضع له اسم كمخلع البسيط، ومنها ما كان في منطقة ضيقة - كما سبق - ادعاها أكثر من بحر، ومنها ما كان بيتا أو شطرا من بيت لم تستطع الدراسة أن تصنفه في ميزان معروف أو مستقل باسم ثابت له».

وفي رأبي أن عدم استطاعة الدكتور تصنيف البيت أو الشطر في بحر معين ليس عجزا أو جهلا ولكنه يرى أن ذلك لا يعطي النتائج الصادقة كما تعطيها أبيات القصيدة

يمثل عبد العزيز
الدسوقي قلة من ذوي
الرأى الحر، فهو لا يكتب
إلا عن اعتقاد جازم، ويقين
سديد، لذلك تجد مقالاته
النقدية والسياسية جياشة
مؤارة، تحس فيها وهج الدم،
ونبض العروق، وقد تخالفه أو
توافقـه، ولكنك

تعرف أنه
صادق مخلص،
لا يستملي غير
ضميره، ولا
يستمع إلى غير
هتاف وجدانه،
ومثل هذا الكاتب
يعاني أزمة من
أصدقائه قبل أن يعاني
أزمات خصومه، لأنه
حين يندفع إلى معارضة

أستاذ عزيز عليه، أو صديق يثق
بإنسانيته، يكابد حرجا بينه وبين نفسه، ولكنه
يحسم الصراع سريعا بكتابة ما يعتقد، وفي يقيني
أن أصدقاءه يعرفون معدنه الحر فيقابلون
اعتراضاته بالترحيب، أما معارضوه فيجأون في
أمره، لأنهم يحبون المعارض السياسي الذي يلجأ
إلى الدروب والمنحنيات، ويتشعل ويتذأب، أما
الشجاع الذي يقف في الميدان ليقول ما يعتقد
فهذا مالا يطيقون دفعه، لأن فيهم خفافيش لا تحب
غير الظلام.

نشأ عبد العزيز صاحب رأي وهو في عهد
الطلب، وقد فهم في عمره الباكر أن الأدب رسالة
لا حرفة، لذلك كان أول كتاب ألفه وهو تلميذ في
المعهد الأزهرى عن حياة البطل المفترى عليه أحمد

عرابي، إذ آمن بزعامته وعشق بطولته، وقد ساءه
ما لقي حينئذ من اضطهاد ظالم، حيث لم ينصفه
إلا أفراد معدوبون في طليعتهم الأستاذ الأديب
محمود الخفيف، فرأى أن يكتب عن هذا البطل
الخالد كتابا كان تنفيسا عن أوار حبيس في
صدره، وقد جال ببصره في مجتمع ما قبل الثورة
حين أصدر كتابه الأول فرأى أن الزعيم أحمد
حسين أقرب الزعماء إلى قلبه فأثره بحبه، وظل
وفيا لمبادئه، وكتب مؤلفه الثانى في
عهد الطلب عنه أيضا، وقد جدت
أحوال وتغيرت ظروف، واضطر

الدكتور

عبد العزيز الدسوقي

الزعيم الفدائي إلى الانزواء قانعا ببحوثه
الإسلامية، وقصصه الأدبية وتباعد عنه من رأوا
الخطوة في هذا التباعد زلفى لمن بأيديهم الالتحاق
والذيوخ، ولكن عبد العزيز أثر الالتصاق الحميم
بأستاذه، فكان يستحثه أن يكتب، ثم إذا ظهر
مؤلفه إلى النور سارع بالحديث عنه محلا مدققا،
وقد قرأت في مجلة الأديب اللبنانية مقالات تحليلية
لأثار أحمد حسين كادت تكون منفردة في ميدانها،
لأن المرتزقين لم يجدوا عنه نفعا في اعتزاله،
فابتعدوا عن التنويه بأثاره، وقد نهض عنهم عبد
العزيز بعبه يروونه ثقيلًا ويراه أخف من النسيم.

(صلة وثيقة)

قام الدكتور عبد العزيز على تحرير مجلة
الثقافة، فكانت أقرؤها بشغف، ثم رأيت بعد عدة

ظهرت مجلة الثقافة تحمل اسمها الدال على هدفها، فهي استمرار لمجلة سאלفة قام على إصدارها فريق من أعلام الفكر الأصلاء، وهم بعد نخبة من كتاب الرسالة أثروا الانفراد في مجلة خاصة بهم، والرسالة والثقافة معا مجلتان رائدتان تؤصلان تراث العرب وتستقبلان النافع السديد من فكر الغرب، لذلك حرص الدسوقي على أن يكون من محرري الثقافة من بقي من أعلام المجلتين مثل الأساتذة محمود شاكر وطه الحاجر وعبد الغنى حسن ومحمود البدوي وعباس خضر، وكانت رئاسة التحرير إلهاما صائبا من القدر، لأن الدعوة إلى الحرية في ظل الأصالة والمعاصرة تحتاج إلى مكافح قوي الشكيمة يعيد ما طمسه الانتهازيون على مدى عشرين عاما أو تزيد حين اندست الألغام الناسفة لتدمر الحياة الروحية والسمو الأدبي على أيدي من يسمون أنفسهم بالماركسيين أو الناصريين أو المكافحين ادعاء فقط عن حقوق العمال والفلاحين، وقد احتلوا منابر الإذاعة والصحافة ودور النشر والطباعة ليحاربوا كل اتجاه إسلامي، وليشنوا الحرب على الدين باسم الفن الحر، داعين إلى الانحدار الخلقي مباهين بالإلحاد والزندقة، وقد حصروا حرية الفن في تصوير العلاقات الجنسية، وتهوين الرذائل الخلقية، فإذا عرفوا قلما مؤمنا لفقوا له التهم ووصموه بالرجعية والعمالة، ومن ورائهم ما يسمى بمراكز القوى تشد الأزر، وتمهد السبيل، لأن أصحاب هذه المراكز في حاجة إلى ماجوريين يزيفون، وانتهازيين يباركون! كان العبء ثقيلا لا يطيقه غير كاهل قوي، ولا ينهض به إنسان مجامل يحذر المواجهة الصريحة، فهيأت الأقدار عبد العزيز

سنوات من صلورها قصيدة تحت عنوان (رحيل مفاجيء) منشورة باسم شاعرة أخذ اسمها يتردد في نوات القاهرة، فعجبت أكثر العجب، لأن القصيدة من قصائد التي نشرتها بمجلتي العربي والأديب في رثاء زوجتي الراحلة، ولم ترد الشاعرة عن أن جعلت ضمير المؤنث مذكرا، وكان مصدر العجب أن القصيدة المسروقة نشرت في العدد السنوي الممتاز من مجلة العربي وهو عدد يطبع منه أكثر من مليون نسخة فهو ذائع مشتهر، فكيف يقع هذا السطو دون مبالاة، ثم جاعني اعتذار من الشاعرة تعلن فيه أسفها، وتدعوني إلى السكوت دون تعليق حرصا على اسمها، وكتبت للدكتور عبد العزيز أعلمه بما كان، فرد علي بخطاب أعتز به غاية الاعتزاز، لأنه حدثني عن نفسي كثيرا بما أهمله عنها، ويعرفه هو بذكائه، وفراسته، ثم دعاني إلى المشاركة في تحرير الثقافة إذ لا يجوز أن تنشر أكثر مقالاتي خارج مصر، ثم لا تظهر في مجلة يقوم على تحريرها! وقد استجبت لدعوته سعيدا مرتاحا، ولكن الدسوقي أصر على أن يعلن عن جريمة السرقة إذ أن من حق القراء أن يعرفوا النسبة الصحيحة لأثر أدبي طالعوه، كما أن واجب الردع للسارقين والساوقات جزاء طبيعي، وليس في المسألة هنا قطع يد جزاء بما كسبت، نكالا منه، ولكنه إعلان يحذر من تسوّل له نفسه أن يعيد الكرة غير عابئ بجريته! وجاء في خطاب تال من الشاعرة يستعطف ويرجو أن أحول دون الإعلان فكتبت ثانية أرجو الدكتور عبد العزيز أن يهمل هذه المسألة فاستجاب على ضيق، وجأته قصائد أخرى من الشاعرة فواجهها مواجهة قاسية، وأصر على أن تكون بمنأى من مجلة الثقافة وهذا حقه الطبيعي فلا نكران.



بقلم :
أ. د. محمد
رجب
البيومي
- المنصورة -

الدسوقي ليجابه كل هؤلاء بصراحته الزنانية، وأقول الرنانة عن قصد، لأنه لا يعرف الهمس العاتب، أو التورية ذات الوجهين. وقد تتبع هؤلاء في كتاباتهم المنتشرة على مدى العالم العربي، فكان يقب على كل مقال يخالف منهج الثقافة، واصطدم بمن يحملون الأسماء المدوية ذات الطبل الناهق، ولهم مكاناتهم العلمية، ومراكزهم الجامعية، وأشباعهم المغرورين، اصطدم بكل هؤلاء وفيهم من بلغ أرزل العمر سنا دون أن يفكر في غده القريب، وقد ارتاع هؤلاء إذ تعبدوا على مدى ربع قرن أن يقولوا دون معارضة، وأن يتهموا البرءاء في أمن من أن يجابهوا بالنقد الهادم! كما أن من براعته الفائقة أن عمل على جذب الكبار من أصدقائه السياسيين ليسهموا معه في ميدان الكفاح، فكانت المجلة تحفل بمقالات أحمد حسين وفتحي رضوان وحافظ محمود، وهم أصحاب رسالة قبل أن يكونوا كُتّابا في الصحف والمجلات! لقد جاء نصرالله وافتتح فيما ناضل به الدسوقي على صفحات الثقافة! وهو جهد لن يضيع.

(إضافة الأدب):

ذكر لي الأستاذ الدسوقي في بعض خطابات، أنه يلح توافقا كبيرا بين ما أكتبه ويكتبه، حتى إنه ليقرأ لي ما كان يود أن يقوله كثيرا، وقد أرجعت ذلك إلى اتحاد المنبع الثقافي الذي ارتشفنا منه معا، وقد ذكر فيما كتب عن نفسه أنه تأثر في مطلع حياته الأدبية بالدكتور طه حسين والدكتور زكي مبارك والأستاذ مصطفى عبد الرزاق، فكانت آثارهم موضع اهتمامه إلى حد الكلف، ولعلّي أكون قريبا منه حين أعلن أني تأثرت أيضا بالدكتور زكي مبارك والدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين، وأحمد أمين قريب من مصطفى، لأن الذي يقرأ كتاب (تمهيد في تاريخ الفلسفة الإسلامية) للأستاذ مصطفى عبد الرزاق يشعر بجو مشابه لجو فجر الإسلام وضحي الإسلام مع فارق لا بد منه هو أن مصطفى عبد الرزاق يكثر من النصوص، ويعيش في ظلها، أما أحمد أمين

فيقرأها ثم يأخذ منها ما يشاء فيصوغه بأسلوبه تارة، وينقل النص تارة أخرى! والأستاذان عالمان أزهريان نسير على نورهما المضيء، وقد فسح الدسوقي جانبا كبيرا من صفحات الثقافة لدراسة الأعلام الثلاثة، وكان صادقا كل الصدق مع نفسه حين دافع عنهم بإخلاص، دافع عن الدكتور طه معارضا ما كتبه أستاذه الكبيران أحمد حسين ومحمود محمد شاكر حيث ألح الأول على الحديث عن اتجاه طه حسين المستغرب في شبابه الأول، وانطلق إلى أمور ذات حساسية رأى الدكتور الدسوقي أن أحمد حسين قد تجاوز بعض الحد في سردها، فأقر الحق في نصابه، وعقب عليه أستاذه بما يعد تقاربا والتثاماً، لا بعدا وانفصاما! أما الأستاذ شاكر فقد شك في قدرة طه حسين على التذوق الأدبي للنص، وأبدى من الأدلة ما أقام به وجهة نظره، ولكن الدسوقي عارضه حين قرر أن كُتّب طه المختلفة إذا صرفنا النظر عن كتاب (المتنبى) تنطق بقدرة فائقة على تحليل النص الأدبي ترتفع بطله إلى الذروة، كما أنكر في هذا المجال أنه عارض في رسالته الجامعية (تطور النقد الحديث في مصر) رأيا للأستاذ فتحي رضوان في اتجاه طه الاستشراقي، فأكد في لباقة أن الأستاذ فتحي رضوان لا يريد أن يطلق حكما عاما على أفكار طه حسين كلها، ولكنه يصف المرحلة الأولى من مراحل فكره، وهذا حق.

أما الدكتور زكي مبارك فقد حياه الدسوقي بمقالات جيدة تصور ما لقيه من العقوق والجحود، وتحلل مأساته تحليل لا يردّها إلى أسبابها الصحيحة، كما اختص كتاب وبقية الشريف الرضي، بدراسة كاشفة، وواصل الحديث عنه في مناسبات مختلفة، ولم يشأ أن يترك مصطفى عبد الرزاق إذ خصه بفصل من رسالة الدكتوراه، وما كان مصطفى عبد الرزاق نفسه يظن أنه سيحتل فصلا نابها في مجال الدراسات النقدية، لولا أن فطن الدسوقي إلى كتاب (البهاء زهير) فحلله تحليلًا منيرا يدل على يقظة واعية، وقال فيما قال

حين كان شركى والمازنى والعقاد في سن الطفولة، ثم شب الثلاثة ليقرعوا إبداع مطران متواليا في الصحف الذائعة، والمجلات الأدبية قبل الجزء الأول في ديوان خاص، فكيف لا يتأثر به نفر من أيفاع المتطلعين إلى السبق الشعري وهم بطالعونه دون انقطاع، قرأت رأى الدسوقي في سبق مطران، فلم أشأ أن أناقشه في مقال جديد، ولكني أخبرته في محادثة عابرة بإدارة مجلة الثقافة أن لي بحثا خاصا بتجديد مطران نشرته منذ عشر سنوات في مجلة (الأدب) ولعله فطن إلى ما أريد.

(مقابلات)

كان الدسوقي يكتب المقال الافتتاحي بالثقافة، ومعه بحث أدبي مبسوط ينشره في وسط المجلة، ثم يختتمها بباب المقابلات، حيث يترصد ما يشذ من الآراء في مجلات العالم العربي، ليعقب بتصحيح قوي، قد ترتفع حرارته فيصبح نقضاً هادماً، إذا كان المجال يتطلب الهدم المكتسح، وله في هذه الجولات فروسية ممتازة، لأنه ثبت كالطود في مهبط الأعاصير الجارفة، مع احترام مؤكّد لأساتذة كبار كالدكتور زكي نجيب محمود، والدكتور/ لويس عوض، والدكتور فؤاد زكريا قد اضطر إلى مخالفتهم بالمنطق الملزم، والحجة الدامغة، وأذكر أنني حاولت أن أكون ذا تعقيبات متواضعة أكتبها بتوقيع (أبو حسام - المنصورة) ففسح لي الدكتور الدسوقي مجالا طيبا، وكان من المصادفات أن تابعت أستاذنا محمد عبد الغني حسن في تحقيق مسالة عروضية تتعلق بشعره، فرد الأستاذ ردّاً كريما، ولكن الأستاذ الدكتور الدسوقي رجح ما ذهب إليه، فكان طريفا من الأستاذ محمد عبد الغني حسن أن يعقب على ذلك بقوله: «ماذا أصنع وقد وقعت بين شيخي طريقتين صوفيتين، يريد الطريقة الدسوقية، والطريقة البيومية؟ وأنا وأخي عبد العزيز لا نعرف شيوخ هاتين الطريقتين، ولكن الاسم نأام.

إن لعبد العزيز محلّه الكريم لدى من يتبعون أحسن القول، ومن يقدرون معارك الرأي اللزيم.

إن انشغال مصطفى عبد الرزاق بتدريس الفلسفة والفقه وعلم الكلام وتوليّه الوزارة ومشيشة الأزهر قد أضعف دوره المنتظر في النقد، وهذا حق، لأن كتاب (من آثار مصطفى عبد الرزاق) يحمل من بوارق النقد المبكر ما يهيب لمستقبل منتظر، وقد حللت هذا الكتاب في بعض أعداد مجلة الثقافة فراسلني الدسوقي مباركا، أما أسلوبه الأدبي فيسّمو إلى مستوى بلغاء العصر كالزيت والبشري.

(مقالات الثقافة)

أخذت أتابع بحوثي الأدبية في مجلة الثقافة دون انقطاع، وقد اعتدت أن أرفق كل مقال أرسله للدكتور الدسوقي بخطاب شخصي أتحدث فيه عن مقالات العدد الأخير، وأكثر ما أتجه إليه وجهة النقد، إذ أنا في هذه الرسالة الشخصية أمثل كاتب السيئات عتيدا، لا كاتب الحسنات رقيبا، وكان ارتياح الدسوقي لهذه النقادات، وتعقيبه عليها في حديثه ومراسلاته دافعا لمواصلتها، ولكنها أصبحت لديه سلاحا ذا حدين؛ إذ أخذ يهددني بنشرها لو توافنت عن مقالات الثقافة، ولو نشرت لأغضبت فريقا أكثرهم في مرتبة أساتذتي، لأن الكاتب كائنا من كان لا يبدع في كل ما يكتب، بل ينحدر حيناً وفقا لحالته الخاصة حين كتابة المقال، وربما تعجل فساق الكلام دون أناة فوقع فيما يوجب النقد.

على أن عبد العزيز كان يدعوني لنقده شخصيا، وما كنت أسكت عما أراه موضع نقد، إلا أنني كثيرا ما أحترم وجهة النظر المخالفة فلا أشتط في المعارضة، أذكر أنني قرأت له في رسالته الجامعية عن حركة أبولو الشعرية رأيا في تجديد مطران الشعري لم يرجح لديّ إذ ذهب إلى أنه ليس بقائد حركة التجديد في الشعر المعاصر تلك الحركة التي تبلورت في ما يسمى بجماعة الديوان ثم ما عليها من الشعر المهجري، وشعر جماعة أبولو، مع أن التاريخ المؤكد يحقق سبق مطران، إذ واصل النشر في العقد الأخير من القرن التاسع عشر،



سر الزجاجة

٢٦ - الجد والهزل :

تلقيت رسالة من قاريء يقول فيها: أنت تخط في هذه الزاوية الجد بالهزل، نراك محتشماً جداً رصيناً في فقرة من فقراتها، ثم لا تلبث أن تتحول إلى الهزل في فقرة أخرى. فهل تتعمد ذلك؟ ولماذا؟

فأقول للقاريء الكريم: أشكرك أولاً على ما جاء في الرسالة من إطراء لا استحققه، وأشكرك على ملحوظاتك القيمة.

وأجيب عن سؤالك بالإيجاب، نعم، أتعمد ذلك؛ لأن المداومة على الجد ثقيلة على النفوس والأبدان، والنفس تحتاج إلى الاسترواح والتفريج عن الهموم وضغوط الحياة المتزايدة. ومن القراء من يقرأ ليزيح عن نفسه الأكدار، ويتسلى بلذيق القول وطريفه وغريبه، مما هو في باب الكلام المباح الذي يدخل في فن الأدب. ومنهم من هو جاد يبحث عن الفوائد العلمية الرصينة.

فأحببت أن أرضي هؤلاء وهؤلاء.

ومن القراء من يقرأ ليزيح عن نفسه الأكدار، ويتسلى بلذيق القول وطريفه وغريبه، مما هو في باب الكلام المباح الذي يدخل في فن الأدب، ومنهم من هو جاد يبحث عن الفوائد العلمية الرصينة. فأحببت أن أرضي هؤلاء وهؤلاء.

على أنني لا أكتب هذه الزاوية لأحد، فأنا أكتبها لنفسي، ويقرأها معي أولادي في بيتي، والرجل في بيته كالطفل، يمزح ويمرح، ويلقي عن كاهله إزار الجد، وقد كان سلفنا الصالح

بقلم: د. عبد الرزاق فراج الصاعدي
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة -

يفعل ذلك، فيخلطون الجد بالهزل المباح، ولا سيما في بيوتهم، و(سر الزجاجة) جزء من بيتي، بل جزء من أملاكي الخاصة فأنا أعرف حدودها من جهاتها الأربع، وأعرف شوارعها وأعرف جيرانها، فقد أحبتها إحياء شرعياً، ولهذا قطعت عليها «صكاً» دون أن تعلم مجلة المنهل، فهذه الزاوية تخرج بيضاء ناصعة إن تأخرت عن الكتابة في شهر ما.

نعم، هي ملكي أنا وحدي، يقرأها معي أهل بيتي ولا أريد أن يقرأها أحد غيرنا، ومن قرعها فليستغفر الله، وليعلم أن ذلك من باب التعدي على أملاك الناس وحقوقهم الخاصة!! إلا من أطل إطلالة عابر السبيل، أو أجبره طول السفر أن يستريح فيها.

٢٧ - الرد على النحلة:

ظهر ابن مضاء القرطبي (٥١٣ - ٥٩٢هـ) في عهد دولة الموحدين في الأندلس، التي كانت تتزعزع الثورة على المشرق العربي في الفقه وفروعه، وتدعو للمذهب الظاهري كما يقول المراكشي في (المعجب ٣٥٤) والتي دعا خليفته الثالث إلى حرق كتب المذاهب الأربعة، فأحرق منها جملة في سائر بلاد الأندلس، كمدونه سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي

أخطاء جلية في بابي الاشتغال والتنازع وهما البابان اللذان قرأتهما فيه لأنهما عمدة ابن مضاء والأنموذج الذي قدمه في كتابه، ومن أراد أن يتثبت من هذا الكلام فليعد إلى الكتاب، وينظر فيه نظرة الفاحص المدقق، فإن رأني أخطأت الحكم والتقدير فلينبهني مشكوراً.

٢٨ - لهجة قديمة:

قطعه قطعاً، وكسره كساراً.

هذه لهجة سمعتها مراراً من بعض أهل الجنوب في بلادنا في نواحي جيزان، وظننتها لحناً، لأنهم يأتون بالمصدر من (فَعَلَ) الثلاثي المضَعَّف العين، فيجعلونه على وزن (فَعَال) بكسر الفاء وتضعيف العين، فيقولون: قطع الشيء قطعاً وكسره كساراً. والقياس أن يجعلوه على وزن (التفعيل) فيقولوا: قطعه تقطيعاً وكسره تكسيراً.

ثم تذكرت أنها لغة وقعت في القرآن الكريم في قوله عز وجل: {وَكُذِّبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا} وقوله: {لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً}.

قال القراء: خففها علي بن أبي طالب رضي الله عنه «كذاباً» وثقلها عاصم والأعمش وأهل المدينة والحسن البصري.

قال: وهي لغة يمانية فصيحة يقولون: كذبت به كذاباً، وخرقت القميص خرقاً، وكل فعلت فمصدره فعال في لغتهم مشدد العين (ينظر: معاني القرآن ٢/٢٢٩).

٢٩ - قرات لك:

قال الشاعر العربي بعد أن فارق أرض الأحبة:

وتلفتت عيني فمد خفيت
عني الطلول تلفت القلب

زيد، ومختصره، وكتاب التهذيب للبرازعي، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها كما يقول صاحب (نفح الطيب ٢/٧٢).

وقد تأثر ابن مضاء القرطبي بهذه النزعة، فعدى ظاهرياً في النحو والفقه، ورد على النحاة جميعاً في نظرية العامل وأنكر العامل، ودعا إلى تخليص النحو منه، وما جر إليه من ركाम الأقيسة والعلل مما يسمى بالعلل الثواني والثالث.

وهو يتهم النحاة بأنهم لا يعقلون، إذ يقول: «وأما العوامل النحوية فلم يقل بها عاقل، لا ألفاظها ولا معانيها، لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع» ولهذا فلا حاجة إلى العوامل النحوية في النحو في نظره، فدعا إلى حذفها والاستغناء عنها.

وقد صادف كتابه قبولاً لدى كثير من المعاصرين في زماننا عند اطلاعهم على مطبوعته التي أخرجها الدكتور شوقي ضيف سنة ١٩٤٧م، فأقبلوا عليه يدرسون، ويكتبون عنه الأبحاث والمقالات، واتخذ غير طالب في الجامعات العربية موضوعاً لأطروحة علمية عالية.

وأرى أن كتاب «الرد على النحاة» لابن مضاء ليس جديراً بذلك التقدير، فقد جانبه الصواب في إنكاره نظرية العامل، ولم يستطع أن يقدم بديلاً لتلك النظرية الفريدة التي قام عليها بنیان النحو العربي عدة قرون.

وابن مضاء شاذ فيما ذهب إليه كما يقول صاحب (إشارة التعيين ٣٣) دفعه مذهبه إلى ارتكاب ذلك الشذوذ، وتقبله منه من يسعون إلى كل جديد لأنه جديد، وينكرون القديم لأنه قديم، فكتب الدكتور شوقي ضيف كتاباً بعنوان «تجديد النحو» لا قيمة له في نظري، وفيه



بقلم:

د. محمد علي

البار

- مستشار الطب

- الاسلامي

- عضو مجمع

الفقه الإسلامي

- أخصائي

الامراض الباطنة

- جدة -

الموت بين الاكلينيكي والشرعي

في أيامنا هذه كثر الحديث عن تعريف الموت، ذلك لأن أجهزة ومعدات العناية المركزة الموصلة بجسم مريض الغيبوبة المستديمة قد أحدثت وضعاً جديداً لهؤلاء المرضى جعلتهم في حالة بين حالتين كما يقولون بين (الحياة والموت) فلا هو حي ينتفع بحياته ولا هو ميت.

وهنا ، تدور مجموعة من علامات الاستفهام حول حقيقة الموت .

هل هو موت الدماغ، أم موت القلب، أم موتهما معاً، أم هو شيء آخر .؟

لكل هذا نسعد بنشر هذه الدراسة القيمة المقدمة من قبل الاستاذ الدكتور محمد علي البار، وهو الى جانب تخصصه العلمي في الطب فهو ايضاً عضو في مجمع الفقه الإسلامي في جدة، ومستشار الطب الاسلامي وله مشاركاتة العلمية الجادة في مجال الدراسات الفقهية المتعلقة بجانب الطب.

■ **المختل** ■

علامات الموت وتشخيصه عند الفقهاء:

لقد قرر علماء الشرع أن الموت هو مفارقة الروح الجسد الى ما أعد لها من نعيم أو عذاب حسب عملها في هذه الدنيا وأن الموت هو انتقال من دار الى دار وليس عدما محضاً فالروح باقية لكنها لم تعد تستطيع التصرف في هذا الجسد .
والروح أمر غيبي لا نستطيع أن ندرك كنهه قال

تعالى: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) (الاسراء/٨٥).
قال الامام الغزالي: «الروح هي اللطيفة العالة المدركة في الانسان . وهو أمر رباني عجيب تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته» (٣١).
وقد جاء في تفسير الامام الشوكاني في تفسير قوله تعالى (ويسألونك عن الروح) الآية .

«وفي حالات الموت بالسكتة والصعقة والخوف والسقوط ونحوها مما قد ينتج عنه الموت المفاجيء يطلب الفقهاء أن ينتظر بالميت احتياطيا حتى تظهر به العلامات المعتبرة في غير هذه الأحوال من استرخاء الرجلين وانخساف الصدغين الى آخره ليتحقق الموت» [٣٤].

ولا شك أن هذه العلامات ليست يقينية ما عدا توقف النفس توقفا نهائيا لا رجعة فيه. ولذا اعترف الفقهاء أنفسهم أنهم كانوا يشخصون الموت في حالات لم تمت بعد حتى قال ابن عابدين في الحاشية: «إن أكثر الذين يموتون بالسكتة يدفنون وهم أحياء، لأنه يعسر ادراك الموت الحقيقي إلا على أفاضل الأطباء» [٣٥].

وقد نقلنا كلام فضيلة مفتي تونس العلامة الشيخ محمد المختار السلامي في حكم الفقهاء على الجين الذي لم يستهل صارخا. وكيف انهم اعتبروه ميتا. وكم من ملايين الاطفال عبر ألف عام أو تزيد حكم عليهم الفقهاء بالموت لأنهم لم يستهلوا حياتهم صارخين. بل أن بعضهم لم يعترف بالتنفس ولا بالعطاس ولا بالرضاع!! وإليك ما قال مرة أخرى:

يقول خليل: «ولا سقط ما لم يستهل صارخا ولو تحرك أو بال أو رضع»!!!
وزعم ابن القاسم أن عمر رضي الله عنه عندما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي كان معدوداً في الأموات رغم أنه كان يتكلم ويعهد ويدرك ويحسّ الألام... الخ.

ولا شك أن علامات الفقهاء للموت ستؤدي الى كارثة حقيقية إذا أخذنا بها. ولا شك أن الآلاف سيحكم عليهم بالموت وهم أحياء حسب هذه التعريفات الفقهية للموت... وقد أدت تعريفات الموت عند الفقهاء إلى دفن آلاف بل ملايين الاطفال الذين لم يستهلوا صارخين وهم أحياء كما أدت الى دفن آلاف ومئات الآلاف من الاشخاص الذين أصيبوا بالسكتة وكما قال الفقيه ابن عابدين فإن أكثر الذين يموتون بالسكتة يدفنون وهم أحياء... ولهذا فإن تشخيص الموت لا يترك للفقهاء ولعامة

وقد اختلف الناس عن المسئول عنه فقيل هو الروح المدير للبدن الذي تكون به حياته وبهذا قال اكثر المفسرين قال الفراء، الروح الذي يعيش به الانسان لم يخبر الله سبحانه به أحدا من خلقه ولم يعط علمه أحد من عباده.

وانتهى الامام الشوكاني الى أن الروح من جنس ما استأثر الله بعلمه.

وقال الجنيّد رحمه الله: «إن الروح شيء استأثر الله بعلمه ولا يجوز لأحد البحث عنه (أى ماهيته وكنهه) أكثر من انه موجود».

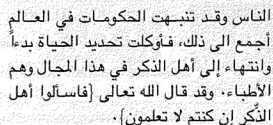
وقال الشعراني: «لم يبلغنا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تكلم عن حقيقة الروح مع أنه سئل عنه فنمسك عن الحديث عنها أدبا».

لهذا كله بحث الفقهاء عن العلامات التي تمكنهم من معرفة الموت. وقد استدل الفقهاء على الموت ببعض الامارات وبعض الأحاديث النبوية نذكرها كما جاءت في بحث فضيلة الدكتور بكر ابو زيد رئيس مجمع الفقه الاسلامي بشيء من الاختصار [٣٢].

١ - عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول [صلى الله عليه وسلم] قال: إن الروح إذا قبض أتبعه البصر (أخرجه مسلم).

٢ - عن شداد بن أوس أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح. وقولوا خيرا فإنه يؤمن على ما يقول أهل الميت (أخرجه أحمد في مسنده).

وعلامات الموت هي: انقطاع النفس، واسترخاء القدمين وعدم انتصابهما، وانفصال الكفين، وميل الأنف، وامتداد جلدة الوجه، وانخساف الصدغين، وتقلص خصيتيه الى فوق مع تدلي الجلدة وبرودة البدن. فإن حدث شك أو مات الشخص فجأة فعلى الشخص الانتظار حتى تتبين العلامات، قال الامام النووي في روضة الطالبين [٣٣] فإن شك بأن لا يكون به علة، واحتمل أن يكون به سكتة، أو ظهرت أمارات فزع آخر الى اليقين بتغير الرائحة أو غيره».



«والموت التقديري هو إلحاق الشخص بالموتى تقديرا، وذلك في الجنين الذي انفصل بجناية على أمه وهي التي توجب الغرة (تقدر بخمسة في المائة من دية الانسان أو ٥٠ دينار ذهب) بأن يضرب الشخص امرأة حاملا فتلقي جنينا فتجب الغرة وهي عبد أو أمه، وتقدر بنصف عشر الدية الكاملة» [٢٨].

وقد فرق الفقهاء بين من وصل الى حركة المذبوح
 نسيجه عدوان أو افتراس وحش، فإن هذا يحكم
 بموته وتسرى عليه أحكام الموت وتعتد زوجته
 وتقسم تركته. ولو اعتدى عليه شخص آخر فذفّف
 عليه وأجهز فلا يعتبر الثاني قاتلاً بل الأول، وإنما
 يحكم على الثاني بالتعزير لمانهانه كرامة الميت.

فرق الفقهاء بين من وصل الى حركة المذبح ونتيجة عنوان أو افتراس وبين من وصل اليها نتيجة مرض. فإن من وصل الى حركة المذبح نتيجة مرض لا تسري عليه أحكام الموت ولا تقسم تركته ولا تنكح زوجته وبلزم قائله القصاص.

قال النووي في المنهاج: «ولو قتل مريضاً في النزاع وعيشه عيش مذبح وجب بقتله القصاص» [٢٩] قال الشارح لأنه قد يعيش بخلاف من وصل بالحناية إلى حركة المذبح.

قال العلامة عميره في حاشيته على منهاج الطالبين: «عبارة الامام (أي النووي) لو انتهى الى سكرات الموت وبنت أمارته وتغيرت أنفاسه لا يحكم له بالموت بل يلزم قتله القصاص» [٤٠].

وقال الزركشى في المنتثور في القواعد: «إن المريض لو انتهى الى سكرات الموت، وبدت مخايله لا يحكم له بالموت، حتى يجب القصاص على قاتله» [٤١].

ويقول الدكتور محمد نعيم ياسين في تحليل هذا
لاختلاف في الحكم بين حالتين متماثلتين: «والذي

ومن الخطورة بمكان أن نأخذ بهذه العلامات البسيطة التي كان الفقهاء يأخذون بها ويعتبرونها علامة للموت مثل استرخاء القدمين وانفصال الكفين وميل الأنف وامتداد جلدة الوجه وانخساف الصدين، وتقلص الخصيتين الى فوق مع تدلى الجلدة وبرودة البدن. فهذه العلامات جميعا ليست علامة للموت. بل إن توقف التنفس لديهم وهو علامة هامة للموت قد يكون عارضا ويمكن انقاذ المصاب به. وقد لا يكون علامة للموت الا إذا استمر وقتا كافيا.

والغريب حقاً أن الفقهاء لم يوضحوا كيفية الاستدلال على توقف التنفس كما أنهم لم يعرفوا أهمية الدورة الدموية ونبض القلب، ولم يذكرها أحد منهم في تعريفهم لعلامات الموت سوى ما ذكره فضيلة القاضي بحكمة قطر الشرعية الأولى الشيخ عبد القادر العماري في بحثه نهاية الحياة من أن بعض الفقهاء المتأخرين اعتبر جسّ العرق الذي بين الكعب والعرقوب وجسّ العرق في الذراع «[٣٦]».

وحتى هذه العلامات لا تعتبر علامة على الموت
إذ أن المصاب ببعض أمراض الدورة الدموية يفقد
النض من الشريان الموجود بين الكعب والعقوب
(الشريان القصي الخلفي) (Posterior Tibial artery).

ولم يكف الفقهاء بذلك كله بل تحدثوا عن الموت حكماً والموت تقديراً . وقسموا الموت الى حقيقي وهو انعدام الحياة إما بالمعانية (وهو ما تحدثنا عنه فيما سبق) أو بالسماح أو بالبينه، وإلى حكي وهو أن يحكم القاضي بموت شخص مع احتمال حياته ومثاله المفقود، أو مع يقين حياته ومثاله المرتد الذي فرّ إلى أرض الكفار أهل الحرب . فهؤلاء جميعاً تعتد زوجاتهم عدة الموت وبحوزهن

فإن تشخيص موت الدماغ بمواصفات الأطباء اليوم أشد بكثير من مواصفات الفقهاء في تعريف الحياة غير المستقرة وحركة المذبح وما شاكل ذلك.

مفهوم الموت عند الأطباء:

لا شك أن الروح أمر من أمور الغيب، قال تعالى {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم الا قليلا} (الاسراء/٨٥). وبما أن الأطباء مثل غيرهم من البشر لا يعرفون شيئا عن كنه الروح فإنهم بالتالي لا يستطيعون أن يفهموا حقيقة الموت، فإن الذي لا يعرف سر الحياة لا يعرف سر الموت كما أشار الى ذلك الامام الغزالي.

ويعرف الفقهاء كما أسلفنا الموت بأنه مفارقة الروح للجسد. وبما أن الأطباء لا يستطيعون أن يدركوا من أمر الروح شيئا سوى ما تدلهم عليه النصوص أو اجتهادات الفقهاء، فإنهم مثل الفقهاء اتخذوا علامات تدل على الموت. ولا شك أن علامات الموت عند الأطباء أدق وأصدق من تلك العلامات التي اتخذها الفقهاء والتي وقفنا عندها طويلا، وأوضحنا مدى الاضطراب وعدم الوثوق فيها حيث يشخصون ويعتبرون الانسان ميتا وهو لا يزال حيا نتيجة قصور معلومات زمنهم في هذا الباب.

والموت عند الأطباء هو نهاية الحياة في البدن الانساني ولا يعني ذلك موت كل خلية فيه.

وقد جاء في تقرير الاجتماع العالمي الثاني والعشرين للأطباء المنعقد في سيدني في استراليا عام ١٩٦٨: إن الموت عملية متدرجة على مستوى الخلايا وأن الانسجة تختلف في مدى قدرتها على تحمل إنقطاع الاوكسجين (بحيث تموت خلايا الدماغ، بعد أربع دقائق فقط من انقطاع التروية الدموية بينما يمكث الجلد والقرنية والعظام فترة تتراوح ما بين اثنتي عشرة وأربعة وعشرين ساعة بدون تبريد. كما يمكن تبريد الخلايا والانسجة

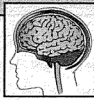
يظهر أن هذا الفرق الذي ذكره الزركشي بين الصورتين غير مؤثر في اختلاف الحكم ويدل على ذلك ما صرح به نفسه وصرح به غيره من علماء الشافعية، فيما نقلناه سابقا، أن صاحب الفعل الأول لو كان حيوانا مفترسا وأخرج حشوة المقتول وأبائها فإن القتل لا يضاف الى أي صاحب فعل لاحق، مهما كان. وإضافة الفعل الأول الى حيوان مفترس لا يختلف من حيث النتيجة عن اضافته الى أي حادث سماوي يوصل الشخص الى النتيجة نفسها كانهيار بيت عليه مثلا ونحو ذلك.

«ولكن المعنى المعقول الذي يمكن أن يفرق بين الصورتين هو مدى التحقق من وصول الشخص الى الحياة غير المستقرة التي يتيقن من عدم امكان انعكاسها إلى حياة مستقرة. ومظاهر النزاع في عهد أولئك الفقهاء لم تكن كافية لتغليب الظن، فضلا عن التيقن، على أن المريض قد انتقل فعلا الى مرحلة عيش المذبح، كما سموه بدليل أن حالات كثيرة يوصف فيها الشخص بأنه وصل الى حالة النزاع الأخير ثم يتجاوزها ويعيش الى ما شاء الله.

«وإذا كان هذا هو الفرق الحقيقي بين الصورتين السابقتين، فإنه لا يؤثر على فهمنا السابق لموقف الفقهاء من تحديد زمن الوفاة في مسألة الاشتراك على التابع في جريمة القتل بل يؤيده» [٤٢].

«ومقتضى كلام الدكتور محمد نعيم ياسين أنه لا فرق بين من وصل الى حركة المذبح نتيجة افراس وحش أو اعتداء انسان أو حادث سيارة أو هدم أو غيرها من الحوادث أو نزف في الدماغ لأي سبب إذا أمكن التيقن من التشخيص وأن المصاب قد وصل فعلا الى حركة المذبح وهو من فقد الادراك والنطق والاحساس والابصار ولم تعد له حياة مستقرة، وإن كان قلبه ينبض والدم يجول في عروقه وكثير من أعضائه لا يزال يعمل، بل لا يزال يتنفس بدون نفسه ولا آلة!!

فإذا كان الفقهاء قد حكموا على مثل هذا الشخص بالموت، وهو ما لا يجزئ الأطباء على فعله



وابقاؤها حية لمدة طويلة. فيمكن مثلا تبريد الحيوانات المنوية وابقاؤها حية عشرات السنين وكذلك اللقيحة والخلايا المولدة للليفين (Fibroblasts). ولكن الموت

ليس مجرد موت خلايا أو الاحتفاظ بها حية في ظروف معينة وانما هو موت الانسان ككل ، وبالتالي عدم القدرة على الاحتفاظ بخلايا جسمه حية . . وهي نقطة للعودة مهما بذل الاطباء من محاولات الانقاذ والاسعاف، وسير الجسم في طريق التحلل والانتهاة» [٤٣].

ويعرف قاموس اوكسفورد الموت بطريقتين: عملية الموت (الاحتضار) أو أن الشخص قد مات فعلا [٤٣].

ومن المعلوم أن كثيراً من خلايا الميت وأنسجته تبقى حية لفترة محدودة بعد موت الشخص ككل . وقد لاحظ الأوريون منذ أزمنة طويلة نمو الشعر بعد الوفاة (يطلقون شعر الميت ويلبسونه أفضل ثيابه ويبقى أياما قبل دفنه) كما انهم قد لاحظوا استئطالة اظافره بعد قلمها . كما أن العظم والوعية الدموية يمكن زرعها في شخص آخر بعد موت الشخص بثمان وأربعين ساعة (دون تبريد) ويبقى الجلد والقرنية صالحة للزراعة لمدة ٢٤ ساعة (كذلك بدون تبريد) . وهذا يعني ببساطة أنها لا تزال حية وتستطيع العمل [٤٤].

ويقول الدكتور عصام الشربيني في بحثه المقدم الى ندوة الحياة الانسانية: «إن الموت ليس نقطة واحدة أو خطأ رفيعا، ولكنه عملية لها امتداد يطول أو يقصر ، والناس من قديم يعرفون أن فلانا دخل مرحلة الموت أو بدأ عملية الموت أو في حالة الاحتضار وتحديث كتب السنه عما يسن عند الاحتضار». وربما كان اللفظ مأخوذا مما في الكتاب الكريم {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه} (البقرة/ ١٣٢) وقوله تعالى: {كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين} (البقرة/ ١٨٠).

ثم يقول: «فالجسم مجموعة من الخلايا والأعضاء والاجهزة تقوم كل منها بوظيفتها، ولها

متطلبات لاداء هذه الوظائف من غذاء أو طاقة أو وسط يحيط بها في توازن دقيق، ويعتمد كل منها في ذلك على الآخر، فإذا اختلت وظيفة عضو أثر ذلك على اداء

الأعضاء الأخرى لوظائفها بدرجات متفاوتة كما في تشبيهه الرسول [صلى الله عليه وسلم] للمؤمنين بالجدس: «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (أخرجه مسلم) والخلل اذا لم يتوقف تداعى اليه عضو بعد عضو حتى يحدث الموت» [٤٥].

والغريب حقا أن الفقهاء وعلماء الدين عندما حدوا الموت بخروج الروح من البدن ومفارقتها له جعلوا من صفات ذلك فقدان القدرة على الادراك والاحساس والنطق والحركة الذاتية، وإن بقي الشخص يتنفس أو يجول الدم في عروقه وينبض قلبه وذلك فيما أسموه حركة المذبوح، واعتبروا ذلك الشخص ميتا وتسري عليه أحكام الموت إذا كان سبب وصوله لحركة المذبوح اعتداء شخص على حياته أو اقتراس وحش أو حادث (سماوي) مثل هدم أو سقوط في حفرة أو سقوط من حائق أو حادث مروري.

والعجيب حقا أن يقوم الاستاذ الدكتور (كريستوفر باليس) في كتابه أبجديات موت جذع الدماغ «بتعريف الموت بأنه: فقدان الادراك والاحساس والقدرة على الحركة الارادية بالاضافة الى فقدان تام لا رجعة فيه للقدرة على التنفس» [٤٦].

ولا شك أن تعريف الدكتور باليس أدق وأضبط في هذه الناحية من تعريفات فقهاءنا الأجلاء. إذ أنهم أهملوا في هذه النقطة موضوع النفس والتنفس مع أنهم انتبهوا له في مواضع أخرى، حتى قال بعضهم أن النفس هي النفس وهي النسيم الداخل والخارج من الرئتين (ذكره ابن القيم في كتابه الروح).

ولا شك أن الجمع بين التعريفين هو الصواب وهو فقدان الادراك والاحساس والارادة والحركة الذاتية بالاضافة الى فقدان القدرة على التنفس . .

وينبغي أن يكون كلاهما قد فقد إلى غير رجعة.

علامات الموت عند الأطباء :

يعتبر توقف التنفس والقلب والدورة الدموية توقفاً لا رجعة فيه علامة هامة وأساسية وفارقة بين الموت والحياة. وبما أن القلب يضخ الدم المحتوي على الاوكسجين (الذي سماه القدماء الروح الحيواني والبخار الذي تنضج حراة القلب) [٤٧] إلى كل خلية في الجسم فإن توقف القلب والدورة الدموية يعني موت جميع خلايا الجسم ولا تموت هذه الخلايا دفعة واحدة بل بالتدريج وأولها موتا خلايا الدماغ التي تموت بعد انقطاع التروية الدموية عنها بأربع دقائق فقط. وتوقف القلب وحده دون توقف للدورة الدموية لا يعني الموت.

ولكي نزيد هذا المفهوم وضوحاً فإن توقف القلب في العمليات الجراحية التي تجري للقلب (عمليات القلب المفتوح) لا تعني أن هذا الشخص قد مات، رغم أن قلبه يوقف أثناء العملية لمدة ساعتين أو أكثر، والسبب هو أن وظيفة القلب تقوم بها مضخة تضخ الدم الذي يتجمع من الوريد الأجوف السفلي والوريد الأجوف العلوي بعد أن يمر في جهاز يقوم بوظيفة الرئة ثم يعاد إلى الشريان الأورطي الذي بدوره يوزع الدم على بقية أعضاء الجسم.

وفي هذه الحالات رغم أن القلب متوقف والتنفس متوقف إلا أن الشخص حي بكل تأكيد... وذلك لأن الدورة الدموية لم تتوقف ولو لثوان معدودة. والدماغ يتلقى التروية الدموية دون انقطاع... ووظيفة الرئتين تقوم بها آلة أخرى تأخذ ثاني اوكسيد الكربون من الدم وتعطيه الاوكسجين.

وهذا المثال يوضح أن القلب رغم أهميته البالغة للإنسان إلا أنه يمكن الاستغناء عنه لمدة ساعتين أو ثلاث بواسطة آلة تقوم مقامه... وكذلك الرئتين. ويمكن كذلك استبدال هذا القلب التالف بقلب شخص آخر (توفي دماغياً)، أو حتى بقلب حيوان آخر... ولولا عمليات الرض للجسم الغريب لأمكن استخدام القلوب من الحيوانات لزرعها في

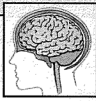
الإنسان، ولكن عمليات الرض الشديدة تجعل هذه العملية محفوفة بالمخاطر... وهناك تجارب متعددة على قلوب الحيوانات (وبالذات الخنزير) ومحاولات تغيير جهازها المناعي بتطعيمها بجينات إنسانية... وسيتضح مدى نجاح أو فشل هذه التجارب في خلال السنوات القليلة القادمة.

لهذا ينبغي أن نذكر أنه حتى في الحالات التي يعلن فيها الموت بسبب توقف القلب والدورة الدموية والتنفس إلا أن السبب الأول في الوفاة هو انقطاع التروية الدموية عن الدماغ، لهذا إذا أمكن مواصلة التروية الدموية للدماغ حتى مع توقف القلب فإن هذا الشخص يعتبر حياً، ولكن العكس غير صحيح. أي إذا تهشم الدماغ وبالذات جذع الدماغ الذي فيه المراكز الحيوية (البقطة، التنفس، التحكم في الدورة الدموية) ومات موتاً لا رجعة فيه فإن الإنسان يعتبر ميتاً رغم أن قلبه لا يزال ينبض بمساعدة العقاقير وبعض الأجهزة، وتنفسه لا يزال مستمراً بواسطة المنفسة (الآلة)، وهذا هو بالضبط ما نعبر عنه بموت الدماغ.

موت الدماغ:

إن موت الدماغ هو موت الدماغ بما فيه المراكز الحيوية الهامة جداً والواقعة في جذع الدماغ، فإذا ماتت هذه المناطق فإن الإنسان يعتبر ميتاً، لأن تنفسه بواسطة الآلة (المنفسة) مهما استمر يعتبر لا قيمة له ولا يعطى الحياة للإنسان. وكذلك استمرار النبض من القلب بل وتدفق الدم في الشرايين والأوردة (ما عدا الدماغ) لا يعتبر علامة على الحياة طالما أن الدماغ قد توقفت حياته ودورته الدموية توقفاً تاماً لا رجعة فيه.

وهذا يشبه تماماً ما يحدث عندما تقوم البولة بتنفيذ حكم الله في القصاص، أو قتل المفسدين في الأرض من مهربي وتجار المخدرات. في هذه الحالة يضرب السياف العنق فتتوقف الدورة الدموية عن الدماغ ويموت الدماغ خلال دقائق معدودة (ثلاث إلى أربع دقائق). بينما يبقى القلب يضخ الدم لمدة ١٥ إلى ٢٠ دقيقة... ويتحرك حركة



نخفض هذا التزيف في قدرات الأمة وفي شبابها وفي ثروتها .

٢ - نزف داخلي بالدماغ بمختلف أسبابه . وهو يمثل حوالي ٢٠ بالمئة من

جميع حالات موت الدماغ .

٣ - أورام الدماغ ، والتهاب الدماغ وخراج الدماغ والسحايا . وتمثل حوالي ٢٠ بالمئة من حالات موت الدماغ .

نكرر القول بأن أهم سبب لموت الدماغ هو حوادث السيارات وللأسف فإن أغلبية المصابين هم من الشباب زهرة هذه الأمة وأهم مصادر ثروتها .

تشخيص موت الدماغ:

يتم تشخيص موت الدماغ حسب الشروط الطبية المعتمدة وأهمها:

- ١ - وجود شخص مغشى عليه اغماء كاملا .
- ٢ - لا يتنفس الا بواسطة جهاز المنفسة .
- ٣ - تشخيص لسبب هذا الاغماء ، يوضح وجود اصابة أو مرض في جذع الدماغ أو في كل الدماغ .

٤ - عدم وجود أسباب تؤدي الى الاغماء المؤقت مثل تعاطي العقاقير أو الكحول أو انخفاض شديد في درجة حرارة الجسم أو حالات سكر شديد أو انخفاض شديد في سكر الدم أو غير ذلك من الأسباب الطبية المعروفة التي يمكن معالجتها .

٥ - ثبوت الفحوصات الطبية التي تدل على موت جذع الدماغ وتتمثل:

(أ) عدم وجود الأفعال المنعكسة من جذع الدماغ .

(ب) عدم وجود تنفس بعد إيقاف المنفسة لمدة عشر دقائق بشروط معينة منها استمرار دخول الاوكسجين بواسطة انبوب يدخل الى القصبة الهوائية ومنها الى الرئتين ، وارتفاع نسبة ثاني اوكسيد الكربون في الدم الى حد معين (أكثر من ٥٠ هم من الزئبق في الشريان) .

٦ - فحوصات تأكيدية مثل رسم المخ الكهربائي E E G وعدم وجود أي نبضة فيه ، أو عدم وجود

المنبوح وهو أمر نشاهده عند ذبح الدجاجة أو الخروف . . . ولكن هذه الحركة ليست بذاتها دليلا على الحياة ، طالما أن الدماغ قد مات .

والأمر ذاته يحدث في الشنق . . . فعندما يشنق الانسان تتوقف الدورة الدموية عن الدماغ بينما يستمر القلب في الضخ لعدة دقائق قد تبلغ ربع ساعة الى ثلث ساعة . . . وفي هذه الفترة لا شك أن هذا الشخص قد مات رغم أن قلبه لا يزال ينبض وذلك لأن الدورة الدموية قد انقطعت عن الدماغ ، وقد مات الدماغ بالفعل .

أسباب موت الدماغ:

إن أهم أسباب موت الدماغ تتلخص في الآتي:

١ - إصابات الدماغ بسبب الحوادث وأهمها حوادث المرور . وهذه الحوادث تمثل خمسين بالمئة من جميع حالات موت الدماغ . وفي المملكة العربية السعودية تمثل حوادث المرور ٦٠ بالمئة من جميع وفيات الدماغ .

وتعتبر حوادث المرور في المملكة ومنطقة الخليج صاحبة الرقم الأعلى في العالم وتبلغ عشرة أضعاف ما هو موجود في الولايات المتحدة وأوروبا بالنسبة لكل مائة ألف من السكان وفي عام ١٩٩٤م وعام ١٩٩٥ توفي في كل واحدة منهما أكثر من ٣٧٠٠ (ثلاثة آلاف وسبعمائة شخص) أغلبيتهم المطلقة كانت تحت سن الأربعين (أكثر من ٧٥ بالمئة من جميع الحالات) ، كما أصيب في حوادث المرور اصابات بالغة أدت الى دخول المستشفى أكثر من خمسة وثلاثين ألف شخص في كل عام . . . وهذه أرقام مرعبة جدا جدا وتسبب الاعاقة وإضاعة أثمن وأغلى ثروة لدى الأمة وهي الشباب .

إن هذه الاصابات المروعة ينبغي أن تواجه بحزم ومعالجة جذرية لأسباب هذه الاصابات وأهمها السرعة الجنونية ، وعدم استخدام حزام الأمان ، والاستهتار وقطع الاشارات الضوئية . . الخ . . . ولا بد من عقوبات رادعة حتى يمكن أن

دورة بالدماغ بعد تصوير شرايين الدماغ أو بفحص المواد المشعة.

ماذا بعد تخفيض موت الدماغ:

إذا تم التشخيص والتأكد منه بواسطة الفريق الطبي المختص يتم إبلاغ المركز الوطني لزراعة الأعضاء كما يتم إبلاغ أهل المصاب. يحاول فريق المركز الوطني التفاهم مع الأهل في أن يأذنوا باستقطاع بعض الأعضاء الحيوية من متوفاهم لينقلوا بذلك مرضى أوشكوا على حافة الخطر وأحرق بهم الموت. فإذا أذن الأهل بذلك يتم استقطاع الأعضاء الحيوية مثل القلب، الكلى، الكبد وتزرع كل واحدة منها في شخص معين يعاني من مرض خطير وفشل لوظيفة ذلك العضو.

وقد استطاعت المملكة العربية السعودية أن تكون سباقة في هذا المجال حيث تم حتى نهاية عام ١٩٩٥م زرع ٧٣١ كلية من متوفين دماغيا كما تم زرع ٦٤ قلبا و٨٤ صماما قلبيا و٩٤ كبدًا وثلاث حالات زرع بنكرياس وحالتين زرع رئة. أما إذا رفض الأهل الموافقة على التبرع فإن الأطباء يوقفون المنفسة وفي خلال دقائق معدودة يتوقف القلب. وقد أفتى مجمع الفقه الاسلامي في بويرته الثالثة المنعقدة في عمان الاردن ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م حيث قرر المجمع أن الشخص يعتبر ميتا إذا تبين في احدى العلامتين التاليتين:

- ١ - إذا توقف قلبه وتنفسه توقفا تاما، وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.
- ٢ - إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلا نهائيا، وحكم الأطباء الإختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه في التحلل.

وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الانعاش المركبة على الشخص، وإن كان بعض الأعضاء لا يزال يعمل أليا بفعل الأجهزة المركبة. وقد وافق المجمع الفقهي لرابطة العالم

الاسلامي في بويرته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة (١٤٠٨هـ) على رفع أجهزة الانعاش وإيقافها متى تبين بالفحوصات الطبية المؤكدة من قبل المختصين بأن هذا الشخص قد مات دماغيا.

وبهذه الفتاوى ظهر عهد جديد في ميدان الطب. وهو تعريف موت الدماغ طبيا وقبول هذا المفهوم شرعيا. ومن ثم انفتح باب زراعة الأعضاء من المتوفين دماغيا، وأمكن انقاذ مئات المرضى الذين يعانون من فشل نهائي لأعضائهم الحيوية الهامة وبالتالي ثم انقاذهم بإذن الله تعالى وبفضل التقدم الطبي من موت محقق.

الهوامش:

(٢١) الحياة ج ٤/ ٤٣.

(٢٢) الشيخ بكر زيد أجهزة الانعاش وحقيقة الوفاة بين الفقهاء والأطباء، مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة مجلد ٢، ج ٢٩/ ٥٢٩ - ٥٤١.

(٢٣) روضة الطالبين للامام النووي ج ٢/ ٩٨.

(٢٤) د. محمد الأشقر: نهاية الحياة (نقطة الحياة الانسانية بدايتها ونهايتها) ومشورة أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي مجلد ٢، ج ٢: ٦٦١ - ٦٧١.

(٢٥) حاشية ابن عابدين ج ١/ ٥٧٢.

(٢٦) نقرة الحياة الانسانية وهي منشورة في مجلة مجمع الفقه الاسلامي مجلد ٣/ ج ٢: ٧١٩ - ٧٢١.

(٢٧) د. وهبة الزحيلي: الفقه الاسلامي وأدلته، دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٩ ج ٨/ ٢٥٣.

(٢٨) المصدر السابق.

(٢٩) منهاج الطالبين للنووي ج ٤/ ١٠٣، ١٠٤.

(٤٠) المصدر السابق.

(٤١) بدر الدين الزركشي: المنثور في القواعد ج ٢/ ١٠٦.

(٤٢) د. محمد نعيم ياسين: نهاية الحياة الانسانية في اجتهادات الفقهاء، نقرة الحياة الانسانية والمنشورة أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي العدد الثالث ج ٢/ ٦٣٥ - ٦٦٠.

(٤٣) Pallis C: Abc of Brain Stem death B M J, 1983

(٤٤) المصدر السابق.

(٤٥) د. عصام الشرييني: الموت والحياة بين الأطباء والفقهاء. نقرة الحياة الانسانية الكويت ومنشورة أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م العدد ٣ ج ٢/ ٥٧٣ - ٥٨٧.

(٤٦) Pallis c: Abc of Brain Stem Death Reappraising Death 1 - 4

(مصدر رقم ٤٣).

(٤٧) انظر تفاصيل ذلك في كتابي: موت القلب أو موت الدماغ الدار السعودية جدة ١٩٨٦ فصل الروح ٢٧ - ٥٧.

أغنية حب^{للـ} [✽]

شعر : لطفى البشر عز الدين

- تونس -

نثر الحب عليها من رزاه الساحرة
وسرى فيها سرى الحلم بعين ساهرة
نحن الهوى وهو منأ حيث نزله
يسري افتضاحاً بعينينا وكتمانا
غَفَتْ على وتر الإلهام نشوتنا
وأستيقظت من عميق اللحن ذكرانا
قلت والكون شبيباً حولنا
«أيها العشاق دنيانا هنا»

وغفا اللحن فضمتنا الأمانى الغافية
واحتوتنا نشوة سكرى .. ودنيا شادية
مهجة تهتف للحب .. وأخرى حانية

يا حبيبى قد ملكنا الزمان
وكتبنا خلفه ليلتنا
فلنملا الكون أشعاراً وألحانا
حتى نرى الكون كل الكون نشوانا

(*) هذه القصيدة مزجت فيها - عن قصد -

بين وزن بحر البسيط، ووزن بحر الرمل.

الزهر أन्दى عبيراً منه قلبانا
والفجر ألطف روحاً منه روحانا
والطير ما هتفت في الروض ساجعة
إلا لتمزج شكواها بشكوانا

يا حبيبى ما على الأرض سوانا
فادع للأيام أن ترعى صبابنا

أي همس حالم الإيقاع نشوان الصدى
طاف كالفرحة .. كالنجوى .. كالألاء الندى
حين نادتنى وحيت وهي تلقي لي يدا

طافت على شاطيء الأحلام حيرتنا
وأوقدت في سماء الحب نيرانا
فلا تسل عن أمانينا وغايتنا
فقد نرى من وراء الكون أكوانا

أي دنيا شعثت أنفامنا
فأطلقنا بين عشق وجنلي

ثم سرنا بين لحن وقلوب شاعرة

١٨٢
من خلف المشربية

العلم المعاصر

أوراق زوجية ابو عواد / ام عمرو

رسالة الى السيدة الجميلة

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها

١٨٢



العلم الحمار

قبود لتنظيم العمل وسيره، ومن ذلك أنه كان من نظام مكتبة القاهرة الفاطمية أنها تعير كتباً للطلبة المقيمين في القاهرة فقط لا غير، كما يذكر محمد فريد وجدي: وهذا يذكرنا بالنظام الإنجليزي المعمول به في أغلب المكتبات البريطانية إن لم يكن كلها، والذي لا يسمح بإخراج الكتاب المستعار من الجزر البريطانية.

[دائرة معارف وجدي ج٤]

وفي مصر الآن يسمح باستعارة الكتاب مدة خمسة عشر يوماً فقط لا غير، إلا أنه يسمح للمستعير بتجديد استعارة الكتاب مرة ثانية، وثالثة حتى ينتهي المستعير من الاستفادة منه، وأن يقدم استمارة عضوية للمكتبة مرفقاً لها ضمانات يوقعها ضامن واحد يعمل في أى مصلحة حكومية يتعهد بسداد ثمن الكتاب إن فقد، وتصدق الضمانة بخاتم الدولة الرسمي. وفي حالة عدم إعادة المستعير للكتاب تخطر الجهة التي يعمل بها الضامن، وتوقع عليه غرامة مالية مقدارها (٣ أضعاف) ثمن الكتاب، وذلك بعد إنذار المستعير.

ومن خبرتي في العمل بالمكتبات أقول أنه رغم هذا النظام (الروتيني) فإن المئات من الكتب تفقدها المكتبات المصرية

سنوياً، والمسألة لا تحتاج إلى قانون جديد رادع بقدر ما

[إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع] .

مما لا ريب فيه أن إعارة الكتب أمر مستحب محمود، شريطة أن يكون من يستعير الكتاب يبغي الاستفادة منه، ويحافظ عليه ثم يعيده على وجه السرعة، ولا يؤخره حتى يستفيد منه رواد المكتبة أو صاحبه إذا كان الكتاب أخذه المستعير من مكتبة خاصة.

ولأن الاستعارة فيها فائدة اعتبر السماح باستعارة الكتب من صفات العلماء المحموده. وهناك في تراثنا عالم يدعى/ الحافظ بن الخاضبة كان محبوباً إلى الناس كلهم، فاضلا، حسن الذكر، لا يأتيه مستعير لكتاب إلا أعطاه له، أو دله عليه.

وكان تيسير الاستعارة داعياً لأن يستغنى بها بعض العلماء، فلم يجدوا من الضروري أن يشتروا الكتب، أو يبذلوا المال ثمناً لها، ومن هؤلاء أبو حيان الغرناطي الذي يقول: إذا أردت كتاباً استعترته من كتب الأوقاف وقضيت حاجتي.

[ابن حجر في الدرر]

الكامله: ٣٠٩/٤

ولم تكن الاستعارة على أية حال مطلقة تماماً في المكتبات الإسلامية، بل وضعت عليها

اعداد:

اسماء أبو بكر محمد - مصر -

شيئاً في بياض فواتحه، أو خواتمه، أو هوامشه، إلا إذا علم رضا صاحبه عن ذلك تماماً، ولا يعيره لغيره، ولا يدفعه ضمناً لشيء.

وعلى المستعير ألا يطيل مقام الكتاب عنده من غير حاجة له، بل يرده إذا قضى حاجته منه، أو انتهت المدة التي تأذن له بها. ولا يصح أن يحبسه إذا طلبه المالك منه.

[[الرجوع السابق ذكره، وكذلك

دائرة المعارف الإسلامية: ١٠٤٧/٢]

كل هذا ينطبق على الكتاب المستعار من شخص، أو من مكتبة خاصة، ولكن في حالة الكتاب المستعار من مكتبة عامة، لا بأس من إصلاحه ممن هو أهل لذلك. وينبغي على المستعير أن يشكر للمعير عونه، ويجزيه خيراً.

ومن أجل صور الإعارات التي قرأت عنها ما رواه (الجبرتي) في كتابه: «عجائب الآثار»:

يقول في عام ١١٧١هـ = ١٧٥٧م توفي الحاج/ أحمد بن محمد الشرايبي، وكان من أعيان التجار المشتهرين، وكان بيته في حي الأزبكية (وسط القاهرة) بيت المجد والفخر والعز. كان في غاية من الغني والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق والإحساس الخاص العام، ويتردد إلى منزله العلماء والفضلاء وكانت مجالسه مشحونة بكتب العلم النفيسة للإعارة والتغيير، وانتفاع الطلبة، ولا يكتب عليها وقفية، ولا يدخلها في موارثه، ويرغب فيها، ويشترها بأعلى الأثمان، ويضعها على الرفوف والخزائن، في مجالسه جميعاً، فكل من دخل بيته من أهل العلم إلى أي مكان يقصد الإعارة أو المراجعة وجد بغيته، ومطلبه في أي علم من العلوم، ولو لم يكن

تحتاج إلى وعي مكتبي سليم، وحب حقيقي للكتاب، وإدراك فاهم لأداب الاستعارة.

وفي بعض المكتبات الإسلامية كان يطلب إلى المستعير أن يدفع ضمناً أو ما يطلق عليه الآن (تأمين) ولكن كان يعفى من ذلك بعض العلماء، وأفاضل الناس، لأن المسؤولين في تلك الآونة كانوا يقدرون العلم والعلماء، وفي نفس الوقت كان العلماء يحترمون الكتاب، ويعرفون آداب الاستعارة، ويعيدون ما استعاروا إلى المكتبة مع خالص شكرهم وامتنانهم.

ولقد مدح ياقوت الحموي صاحب «معجم الأديباء» و«معجم البلدان» المشرفين على المكتبات ببِلدة (مرو) لأنهم سمحوا له أن يستعير مائتي مجلد، دون أن يدفع ضمناً مالياً، وإن كنا نرى أن هذا الكم مبالغ فيه بعض الشيء.

وكثيراً ما كان يحدد وقت للمستعير بحيث يلزمه رد الكتاب دون أي تجاوز عن هذا الوقت المحدد.

وقد سجل العلامة عبد الرحمن بن خلدون في الوثيقة التي أهدى بها كتابه (العبر) إلى مكتبة (القيروان): أنه لا يجوز إعارة الكتاب إعارة خارجية إلا إذا كان المستعير له شخصاً موثقاً به، وأميناً، على أن يدفع ضمناً مهماً، وأن يرد الكتاب في مدة لا تتجاوز شهرين.

[[ابن جماعة في تذكرة السامع

والمتكلم: ص ١٦٨ = ١٦٩ «بتصرف»]

ومن آداب الاستعارة المتعارف عليها في المكتبات الإسلامية: ينبغي للمستعير أن يحافظ على الكتاب تمام المحافظة، ولا يجوز أن يصلحه بدون إذن من صاحبه، ولا يحشى، ولا يكتب

الطالب معروفاً، ولا يمنع من يأخذ الكتاب بتمامه، فإن رده في مكانه رده، وإن لم يرده واختص به أو باعه لا يُسأل عنه، وربما بيع الكتاب عليه، واشتره مراراً، ويعتذر عن الجاني بضرورة الإحتياج.

الكتاب داخل خزانة المكتبة.

وكذلك الحال عند بعض الأفراد، حيث يحرمها على المتفعين دون سبب محدد، حتى إن أحدهم قال: «إذا عانيت الموت ألقيتها في البحر» (يقصد الكتب)!

[السفاوى في الضوء اللامع، بتصرف]

وأحب أن أؤكد هنا أن إحياء الكتب والتشجيع على الإستفادة منها كان من عوامله المهمة ما تعارف عليه المسلمون من استعارة الكتب فترة من الزمن من مالها، وهذا يمكن المستعير من نقل نسخة من الكتاب لنفسه.

كما أن نظام الإستعارة شجع عليه علماء المسلمين في وقت باكر، قال القاضي وكيع: «أول بركة العلم إعارة الكتب». وعملية إعارة الكتب أو استعارتها كانت منذ القرن الثانى الهجرى، فقد قال ابن شهاب الزهرى (ت: ١٢٤هـ) ليوسف ابن زيد (تلميذه): «إياك وغلول الكتب، قال: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها».

وربما تطف أحدهم بشعر رقيق لطلب كتاب استعاره من صاحبه، وذلك مثل ما عمل منذر بن سعيد البلوطي، الذى كتب إلى أبي على القالى «صاحب الأمالى» (ت: ٢٥١هـ) يطلب في شعره كتاباً بعنوان: «الغريب المصنف».

وكان أصحاب الكتب المعارة يسمحون بنقل نسخ أخرى للمستعير من الكتاب الذى استعاره، ويعطيه لذلك مدة معلومة، فالقاضي

[الجبرتي في تاريخه: ١/٢٦٥ وما بعدها]

وجدر بنا أن نذكر أنه وجد بالعالم الإسلامى مكتبات للإطلاع الداخلى فقط دون إعارة خارجية كما هو متبع في بعض مكتبات أوروبا مثل المتحف البريطانى في لندن. ومن الذين فعلوا ذلك في البلاد الإسلامية القاضي/ ابن حيان النيسابورى الذى أوقف كتبه على أهل العلم على شرط ألا يعار كتاب منها إعارة خارجية مهما كانت الظروف.

[المجلة الإسلامية: ٣ / ٢٣٥]

وفي كتابه «الخطط» يقول المقرئى أنه: قد اشترط هذا الشرط نفسه في مكتبة المدرسة الحمودية التى أنشأها/ جمال الدين محمود بن على الذى نص في وثيقة الوقفية على أنه لا يجوز إخراج أى كتاب خارج بناء المدرسة.

وعادة ما كانت بعض المكتبات الإسلامية تتشدد في مسألة إعارة الكتب، أو تمنع خروج كتب معينة، ولا تعيرها، وعلى سبيل المثال: مكتبة الحكمة في نيسابور، ومكتبات الأوقاف، وفي هذه الحالة فالإستفادة من الكتاب والإنتفاع به يقتصر على القيام بنسخ

كتب هذه الخزانة الا الكتب المعارة، فيحفظ بها، وتصبح خسارة الكتب غير كبيرة، إذا كان قد قام بنسخها المستعيرون لها من قبل. فقد احترقت كتب ابراهيم بن أبي بكر المعروف بالفاشوشة، ولم يبق منها له غير الكتب التي كانت عند الناس في العرض أو العارية منها.

وكذلك العلامة عبد الوهاب بن جعفر الميداني (ت: ٤١٨هـ) الذي كتب بنحو مائة رطل من المواد حين احترقت كتبه وأعادها من جديد، والسبب أنه لا يبخل بإعارة كتبه، سوى كتاب واحد كان لا يسمح به، فاحترق، وقد استحدث نسخاً من الكتب التي نسخت من كتبه سوى ذلك الكتاب المضمون به.

[لسان الميزان: ٤/ ٨٦].

وأحب أن أحيل القارئ إلى دراسة الدكتور حسن محمد سليمان المعنونة بـ (التراث العربي الإسلامي - دراسة تاريخية مقارنة)، والصادرة في القاهرة سنة ١٩٨٧ (ص ١٧٢ وما بعدها)، وكذلك كتاب (التربية والتعليم في الفكر الإسلامي للدكتور أحمد شلبي) والصادر في القاهرة سنة ١٩٩٢ (الباب الخاص بالمكتبات). وسيجد القارئ المزيد من التفاصيل حول هذه الجزئية.

هذه أمثلة تبرهن بالدليل القاطع على أهمية الاستعارة في المكتبات الإسلامية، وتؤكد مدى معرفة المسلمين للاستعارة بأصولها وأدابها، وأهميتها في الاستفادة بالكتب، والانتفاع بها

أبو الوليد الكتاني، (كما جاء في الإلماع، ص ٢٢٤) إذا أعار كتاباً لأحد إنما يتركه عنده بعدد ورقاته أيما ثم لا يسامحه بعد ذلك ويقول: «إن كنت أخذته للدرس والقراءة فلن يغلب أحد حفظ ورقه كل يوم، وإن أردته للنسخ فذلك، وإن لم يكن هذا فأنا أحوط بكتابي، وأولى برفعه منك».

وعن كتاب «الحضارة الإسلامية» للعلامة/ منز (٣٢٧/١) نعرف أن هناك من كان يضمن بإعارة كتبه خوفاً عليها، كان يستنسخ من الكتاب المطلوب إعارته نسخة، ويعطيها للمستعير، ويحتفظ بالأصل عنده، ومثال ذلك القاضي أبو المطرف قاضي الجماعة في الأندلس، الذي كان لا يعير كتاباً من كتبه البتة، وإذا سأله أحد ذلك وألح عليه أعطى الكتاب للناسخ فنسخه، وقابله، ودفعه إلى المستعير. [المرجع السابق].

وظلت إعارة الكتب من الأمور التي يصف المستفيدون صاحبها بالسمات الحميدة، ففي ترجمة العلامة الحسين بن محمد الطيبي (ت: ٧٤٣هـ) وهو من الذين عرفوا بذلك، وقد وصفه ابن حجر العسقلاني في كتابه «الدرر الكامنة: ٦٩/٢» بقوله: (كان ملازماً لإشغال الطلبة في العلوم الإسلامية بغير طمع بل يجذبهم ويعينهم، ويعير الكتب النفيسة لأهل بلده وغيرهم من أهل البلدان، من يعرف، ومن لا يعرف).

وربما كانت الإعارة مهمة جداً لإحياء الكتب والتراث بطريقة غير مباشرة، فكتيراً ما كانت تصاب الكتب بנקبات كبيرة كالحرق والتلف للخزانة التي أعيرت منها، ولا يبق من

أراك في ورق الشجر
ويندى قـريـك الزهر
وينبت في الثرى عشب
ويهمي الغيث والقطر
ويكسو الكون أشراق
فكل رياضه خضر
أراك تنير لي افق
في حلو نورك البدر
ففي عينيك أفراحي
إذا ما جئت تزدهر
وفيها المنبع الصافي
فيشفي القلب والصدر
ومنهما القلب في طرب
ومنهما الروح تستعر
وفي جفنيك يا عمري
ينوب ويصـدح الوتر
وفي عينيك يا قـدري
بريق صاغه الفجر
وتشرق فيهما شمسي
ويسكن فيهما القمر
وتضحك فيهما الدنيا
وسيل الحب ينهمر
وفي عينيك أحلامي
تلوح فيكمـن الخطر
فلأخشي نظرة حيري
كساها الوجد والحذر
أحس الشوق يجـنـبني
فاندفعه وأنت صر
فحظي منك الهـام
رواه الشعـر والنثر

من خلف المشربية

واحة
نغم

١ - نشيدي الوطني ..

هو كتاب وحب وعهد

هو معجزة الحرف المغزول بدم وعرق

٢ - المستحيل ..

لا أترك المستحيل يغوى يقظتي

هل يترك الجندي .. سلاحه؟

لا اترك القهر يقطع أشعاري

هل تهرب المرأة .. مع الطيف؟

الجندي .. المرأة .. توأمان .. يكفى.

٣ - المرأة .. والوليد ..

الصمت .. خصام اعتصام .. امرأة .. الصمت عندما

لا تتجمل المرأة .. حتى عندما تقف أمام أكثر من فستان

ولا تختار .. أو عندما تستمع لقضية مصيرية ..

أنثوية .. اهدار للقضية .. أن تبقى المرأة أمام المرأة ..

من قال: أن المرأة كل النساء؟ لا .. توجد واحدة .. أو

بضعة أخريات .. غيرهن .. استثناء .. هن بالذات هن

.. قرار نضال استشهاد ..

المرأة .. ليست ضحكة ابتسامة .. فموعد ..

المرأة .. جميلة، مريم، الخنساء ..

المرأة .. الجولان .. فلسطين .. لبنان .. الخليل ..

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

٨٧٨ = أبو عواد:

ربما كان الزوج أحوج من زوجته لسمع منها أبجديات الرومانسية وحياتها والتي عادة ما تكون ثروة وافرة العطاء أيام الخطوبة وفي الأشهر أو السنوات الأولى من الزواج ثم بعد ذلك تتلاشى تدريجياً... فتصبح أذن الزوج قبل عينه تطرب لها من مصادر خارجية فيشق طريقه في سكة التائهين الباحثين عن السعادة المفقودة في بيوتهم.

٨٧٨ = أم عمرو:

الرومانسيه كالكهرباء تحتاج دائرة مغلقة فإذا توقف المستقبل عن الرد تنقطع الدائرة ويتوقف الإرسال، وللتائهين من الأزواج نقول:

كم منزل في الأرض يآلفه الفتى... وحينئذ يبدأ لأول منزل

٨٧٩ = أبو عواد:

إذا لم يترجم حبك الكبير إلى لفتات حانية وأحاسيس معبرة دافئة فإمّاذا يهمني أن لديك كنزاً مفقوداً لا يكفك عني دموع العوز والفاقة؟!

لاكتشف بسرعة أن الأنوثة تدور في فلك الرجولة كالعادة. فلنكتفي بالأطباق الشهية والوجد والصبابة فلا مكان للعقل هنا!

٨٨١ = أبو عواد:

حب المتزوجين مرض وزوجاتهم يتحملن مسؤولية عدم تحصينهم ضده.

٨٨١ = أم عمرو:

مرض حب المتزوجين لا الرجال لغير زوجاتهم لا يمكن التحصين ضده لأنه ليس مرضاً عضوياً ولكنه مرض نفسي ينتج عن إصابة صاحبه بمزيج من النرجسية والطمع.

٨٨٢ = أبو عواد:

كلّما بدت الزيجة أكثر استعداداً لأن تكون أمة مطيعة لزوجها كلما أوشكت أن تصبح سيئته المطاعة وأوشك أن يكون خادمها المخلص.

٨٨٢ = أم عمرو:

ليس في الزواج سيادة ولا خدمة. الزواج مودة ورحمة تنشأ وتترعرع من الشراكة والتكامل والتكافؤ بين زوجين.

٨٧٩ = أم عمرو:

الكنوز لا تخرج من الأرض بنفسها نحن الذين نبحث عنها ونخرجها وكنز الحب تكشف عنه الطمأنينة وتخرجه الثقة ويحفظ انسيابه وتدفعه التعزيز المستمر.

٨٨٠ = أبو عواد:

فقط عندما يجوع الرجل يكون الطريق إلى قلبه من خلال الأطباق الشهية وعندما يستبد به الهيام والوجد أقصر الطرق إلى قلبه تحرير طاقاته وتفرغ صبابته المحمومة... انما في كل الأوقات فإن الطريق الرئيسي إلى قلبه هو امرأة ناضجة تحاوره بعقلها بمدخلات تحسسه برجولته وتعبر عن أنوثتها.

٨٨٠ = أم عمرو:

للحظة تصورت أن المرأة الناضجة في هذه الورقة تحاور بعقلها عقلاً آخر

٨٨٢= أبو عواد:

الحب بين العاشقين نيش
في النواوين وبين المتزوجين
سباق في الميادين .

٨٨٣= أم عمرو:

الحب هو نفس الشيء
دائماً مهما تغيرت المرحلة
والظروف، إنه العطاء
والإيثار المتبادل بين طرفين .

٨٨٤= أبو عواد:

التجديد المستمر عند المرأة
يكشف لزوجها عن ملكاتها
الأخرى والروتين الدائم
يحملة على السأم من عيونها
الجميلة!

٨٨٤= أم عمرو:

التجديد مطلوب لكل افراد
الأسرة وقديماً قالوا جدد
نفسك كل يوم فالأشواك
تنمو في الدروب التي لا
نسير عليها دوماً، وهكذا
حياتنا تحتاج منا دائماً
الرعاية والجهد لتظل مورقة
مزدهرة .

٨٨٥= أبو عواد:

لاءات المرأة وعلو صوتها
معاول هدم سعادتها أمام
زوجها .

٨٨٥= أم عمرو:

الصراخ والرفض من طرف
ما غالباً ما يشير إلى أن
الطرف الآخر أصيب بالصم .

٨٨٦= أبو عواد:

جمال المرأة غير المدعوم
بمضمون ثمين لا يختلف
كثيراً عن أغلفة بعض
المجلات التي تصدر أعدادها
بوجه جميل ومضمون
مقصر!!

٨٨٦= أم عمرو:

نعم ، جمال الشكل يغني
ويبقى جمال النفس . اضافة
إلى أن جمال الشكل نسبي
بدرجة كبيرة .

٨٨٧= أبو عواد:

الكثير من الشعراء
والفنانين والمطربين وأدعياء
النسب إلى «قيس» و«جميل»
و«عنتر» أسهموا بقدر وافر
في نقل ثلثي عقل المرأة إلى
حقيبة يدها ومرأتها وتركوها
بثلثه الباقي تشقى وتشقى
الأخرين .

٨٨٧= أم عمرو:

الشعر والفن لغة أناس أكثر
شفافية وحساً . لذا فهم يرون
ويشعرون بما لا يراه ويشعر
به سواهم وبلغتهم نقول لمن
ينقص من عقل المرأة .

رب رام لي بأحجار الأذى
... لم أجد بداً من العطف
عليه .

٨٨٨= أبو عواد:

رفع الكلفة بين الزوجين
ينبغي أن يبقى على قدر من
الرسمية الموجودة بين
الأستاذ والطالب والرئيس
والمرؤوس؛ وإلا جنت على
نفسها براقة!!

٨٨٨= أم عمرو:

الرسمية بين الزوجين تفقد
العلاقة الزوجية تلقائيتها
وفطريتها التي تجعلها سكوناً
للنفس تكشف فيه عن نفسها
وتسترخي، الرسمية تحرمننا
من الصدق مع انفسنا ومع
من نشاركهم حياتنا . إن
قوس قزح لا يظهر إلا لمن
يستطيعون تحمل المطر .

٨٨٩= أبو عواد:

إلى كل انसानة تحرص في
الابقاء على زوجها محباً
ومطيعاً لها : إياك أن تتوقفين
عن العطاء واحاطته دائماً
ببالغ الحفاوة والاحترام وإلا
فشن الغرور كبير .

٨٨٩= أم عمرو:

لا توجد زوجة عاقلة
وناضجة تريد زوجاً «مطيعاً»
، الطاعة تطلب من الصغار
فقط . الزوجة تريد زوجاً
تحترمه لأنه يحترم نفسه
ويحترمها ويحترم العلاقة التي
تربطهما معاً .

* هو أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب.

* ولد في مدينة قرطبة بالأندلس في ١٠ رمضان سنة ٢٤٦هـ.

* عاصر أربعة من ملوك قرطبة: أ - محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨هـ).

ب - ثم ابنه المنذر (٢٧٣هـ). ج - ثم عبد الله (شقيق المنذر) (٢٧٥هـ).

د - ثم حفيد عبد الله، الأمير عبد الرحمن الناصر (٢٣٠هـ).

* أشهر كتبه: «العقد الفريد» ..

جمع فيه بين فنون الأدب وأخبار المجتمعات العربية.

* مختارات العقد جاءت معبرة عن شخصية ابن عبد ربه وعن قيمة نوقه وأصالته الفنية.

* توفي في ١٨ جمادى الأولى سنة ٣٢٨هـ.

غادة الأندلس:

بلغتني رسالتك الرقيقة تحمل إليّ أجمل الأمنيات وأخلص الدعوات في أن يهني الله الصحة والعافية وطول العمر ..

ولقد طلبت مني يا حسنائي أمراً عجباً، طلبت مني أن أجيب على ثلاثة أسئلة تقولين إنها من الحب في الصميم:

السؤال الأول: الآن وقد بلغت الثانية والثمانين من عمرك المديد بإذن الله، فكيف تشعر الآن بالحياة؟ ماذا تريد؟ وماذا تشتتهي؟

السؤال الثاني: وأنت في غضارة شبابك، وتفتح قلبك وعينك لجمال الدنيا، أي حسناء شغلتك وشغلت بها؟

السؤال الثالث: هل

من الممكن أن تحكي لي طرفاً من تاريخ صبواتك وغزواتك لقلوب العذارى

من ابن عبد ربه

الحسان؟

وغايتي من ذلك يا سيدي هو أن يكون لديّ مشهد من مشاهد تاريخ الحب فأنت في نظري وتقديري خير ممثل له في تاريخ قرطبة.

وحتى أجيبك يا حسناتي، غادة الأندلس، فإنني والحق أقول إنك قد أثرت أشجاني فأرجعتني إلى فجر صباي، أرجعتني إلى جمال الحياة بأحلى ما فيها من تطلعات وأمنيات .. وبأحلى ما فيها من عذاب وشقاء وضنى وعناء .. وثقي يا حسنائي أنك لم تشقني أو تشيري أساي على أيامي

محمد
عبد الواحد
حجازي
مصر

الخالوي، ولكنك أبهجتني حين دعوتني إلى
تذكرها، ودعوتني إلى تصوير ما كان فيها
من معابد الهوى ونزعات الشباب.

أما عن شعوري بالدنيا والحياة، وماذا
أريد منها وماذا اشتهى بعد أن بلغت
الثانية والثمانين، فأبني الآن أعاني من
أوصاب وعلل جسمية تعادني الفينة بعد
الفينة. وهذا شأن كل كائن حي إذا طالت
مدة بقائه ومعاناته لصروف الحياة. .
وإنني لأحمد الله على أنني قادر على
التفكير، قادر على التعبير. . أجل يا
حسنائي:

بليت وأبليتني الليالي بكرها

وصرفان للأيام مُعتوران

ومالي لا أبلى لسبعين حجة

وعشر أتت من بعدها سنتان

فلا تسألاني عن تباريح عتي

وبونكما منى الذي ترياني

وإني بحمد الله راج لفضله

ولي من ضمان الله خير ضمان

ولست أبالي من تباريح عتي

إذا كان عقلي باقيا ولساني

هماما هما في كل حال تلم بي

فذا صارمي فيها وذاك سناني

وعما اشتغيه، فماذا تتصورين أن

أشتهي وأنا شيخ فان ضعيف البنية

تتعاوره الأوجاع؟ إنما أشتهي شيئا واحداً

فحسب هو أن يمد الله سبحانه في عمري،
كي أكثر من توبتي واستغفاري وصلواتي
لله سبحانه عساه يشملني بفضل رحمته-

وهذا ما يحملني على أن أقول لكل إنسان:

بادر إلى التوبة الخالص مبتدئاً

والموت ويحك لم يمدد إليك يدا

وارقب من الله وعداً ليس يخلفه

لا بد لله من إنجاز ما وعدا

* ومن هنا يا حسنائي جاء تذكيري

للاهلين والعابثين والذين يستقيمون للملذات

فيعبون منها عبا وينتهبونها انتهابا، أقول

الآن لكل لاه عابث ولكل من أسكرته الدنيا

وحب الأمل:

أتلهو بين باطية وزير

وأنت من الهلاك على شفير

فيا من غره أمل طويل

يؤديه إلى أجل قصير

أترفح والمنية كل يوم

تريك مكان قبرك في القبور

هي الدنيا فإن سرتك يوما

فإن الحزن عاقبة السور

ستسلب كل ما جمعت منها

كعارية ترد إلى المعير

وتعتاض اليقين من التظني

ودار الحق من دار الغرور

هذه هي شهوتي اليوم من الحياة: توبة

وقنوت وتحذير وتذكير. . ولا أريد أن أطيل

عليك في هذا المجال فربما بغضت إليك
وربما كدرت في عينيك الدنيا، وأنت زهرة
الدنيا وزينتها وبهجتها .

حسنائي، غادة الأندلس:

تريدين مني أن أطرفك بشيء من
غزواتي وصبواتي في ميدان العشق
والتهيام .. أما عن حسنائي يا غادة
الأندلس فهي «ليلي» .. ولن أفصح عن
شأنها احتراماً لها ولأولادها وربما
أحفادها ..

أذكر أنها أرهقتني يوماً بتساؤلاتها
التي كانت تحمل معنى الشك والارتياب
في حبي لها . وعلى إثر تلك الشكوك فإنها
أعلنت عليّ حرب الخصام، وكأنما وجدت
أن تعذيبني هو خير انتقام مني . فبعثت
إليها رسالة أقول فيها:

أنت دائي وفي يديك نواني

يا شقائتي من الجوى ويلائي

إن قلبي بحب من لا أسمي

في عناء أعظم به من عناء

كيف لا، كيف أن ألد بعيش

مات صبري به ومات عزائي

أيها اللائمون ماذا عليكم

أن تعيشوا وأن أموت بدائي

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميتُ ميت الأحياء

ثم قابلتها على غير قصد مني، فقلت
لها:

أتقتلني ظلماً وتجددني قتلي؟

وقد قام من عينيك لي شاهداً عدل

* فلم ترد عليّ ولم تلتفت إليّ .. وما كان
من بعض الأوداء إلا أن استفسر مني عن
حالي مع ليلاي ونصحويني بأن أنتقم منها
فأرد عليها صديقاً بصود واستهانة
باستهانة . فقلت لهم:

أطلاب نحلي ليس بي غير شادن

بعينه سحر فاطلبوا عنده نحلي

أغار على قلبي فلما أتيتـه

أطالبه فيه أغار علي عقلي

بنفسي التي ضنت برد سلامها

ولو سألت قتلي وهبت لها قتلي

إذا جئتها صدت حياءً بوجهها

فيعجبني هجر ألد من الوصل

وإن حكمت جارت عليّ بحكمها

ولكن ذاك الجور أشهى من العدل

غادة الأندلس:

بعد أن القيت على مسامع صحتي
حجتي وذريعتي ذهبت إلى بيتي .. فلما
صرت وحدي حادّث قلبي أعاتبه ويعاتبني:

أقول لقلبي كلما ضامه الأسى

إذا ما أتيت العز فاصبر على الذل

برأيك لا رأيي تعرضت للهوى

وأمرك لا أمري وفعلك لا فعلي

وجدت الهوى نصلاً من الموت مغمداً

فجربته ثم اتكيت على النصل

فإن تك مقتولا على غير رغبة
فأنت الذي عرضت نفسك للقتل
* وذات ليلة كنت أمر بقرب قصرها
فسمعت غناء أذهب لبي وألهب قلبي ذلك
أنه كان صوت حبيبتي .. ثم انقطع
الصوت بضع ثوان، بعدها شاهدتها ترش
عليّ ماء الورد عناداً منها ومعابثة فكتبت
إليها أقول:

يا من يضمن بصوت الطائر الغرد
ما كنت أحسب هذا البخل في أحد
لو أن أسمع أهل الأرض قاطبة
أصفت إلي الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعي تقلده
صوتا يجول مجال الروح في الجسد
لو كان زريابُ حياً ثم أسمعهُ
لذاب من حسد أو مات من كمد
* وبعد ليلة أرسلت إليها برسالة أقول
فيها:

..

متى يكون التلاقي؟
يا سقيم الجفون من غير سقم
بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفراق أعظم يوم
ليتني مت قبل يوم الفراق
* ثم قلت لها: ليتك تحسين بأشواقي ..
ليتك ترحمين قلبي!!

إن بين الضلوع شوقاً دفينا
ترك القلب والهيا مسكينا
يا غزلاً يصيب القلوب هواه
وهللاً يغشى سناه العيون
أنت علمتني الصبابة والبخ
ل فصررت البخيل فيك الضنينا
* أما ما كنت أحب أن يكون واقعاً حيا
أحياه مع حبيبتي ليلي فهو زيارة طيفها
لي .. فقد أفرحني بقدر ما أضلاني
وأسعدني:

سرى طيف الحبيب على البعاد
ليصلح بين عيني والرقاد
فبات إلى الصباح يدى وساد
لوجنته كما يده وسادي
بنفسي من أعاد إليّ نفسي
ورد إليّ جوانحه فوادي
خيال زارني لما رأيته
عادتني عن زيارته العوادي
يواصلني على الهجران منه
ويبني على طول البعداد

غادة الأندلس:

تلك بعض مشاهد من أحداث غرامي ..
وكيف برح بي الهوى .. وكيف أسعدني ..
وإنه لشأن الحياة يا حسناي الصغيرة ..
فعيشي حياتك واستمتعي بشبابك واسعدي
بحبك ..

مكتب البريد التابع لمدينة تفليس بروسيا
عربتان مطهمتان يحوطهما نفر مدجج
بالسلاح من رجال البوليس، وكانت العربتان
تحملان شحنة من المال تقصدان بهما إلى
بنك الدولة في الطرف الآخر من المدينة،
وسارت العربتان في طريقهما، وكانت
الشوارع غاصة بالعابرين من الناس،
والجالسين على المقاهي، يتناولون طعام
الإفطار، حتى وصلتتا إلى مُنْحَى من الطريق
يؤدي إلى شارع فسيح، وقفت عنده امرأة
تقرأ صحف الصباح، فما كادت العربتان
تقتربان من المرأة حتى طوت الصحيفة،
وسمع صوت انفجار مروع اهتزت له أركان
النازل الكائنة بالشارع جميعها، وتلاه
انفجارات أخرى بلغ عددها ستة، وامتلاً
المكان بالدخان، وصرخ الرجال وصاحت
النسوة، وقفزت الخيل في رعب وجنون،
وتحطمت نوافذ المنازل في دائرة قدرها ميل

من الحادث! وأقبل في تلك
اللحظة رجل يرتدي
ملابس ضابط من ضباط

الجيش، حيث العربة المحملة بالمال، فانتزع
الصناديق من أماكنها، وقفز على حصانه،
وعاد من حيث أتى بعد أن ألقى القذائف
المدمرة لتحصد الأرواح دون أن يلتفت أحد
في هول الكارثة إلى ما يصنع مفجروها
الأثمون من نهب شنيع، أما الضابط الذي
حمل النقود فقد كان أحد أفراد الشيوعيين،
وأما الذين قذفوا القنابل المحرقة فكانوا ستة



٢١٤ - طاغية رهيب

في عهد ستالين كثرت المؤلفات الهاتفة
بمجده، والداعية إلى تكريم
بطل الحرية والحب ورعاية
الفقراء وبعث الرفاهية في

روسيا على نحو شامل عام، ثم مات ستالين
فانفجر البركان الغاضب يقذف بالحمم
الحمراء لتشويعه، وانهارت اللعنات على أسوأ
عهد للطغيان، ولم يكن ستالين طاغية عند
توليهِ الحُكم فحسب، بل كان كأفراد عصابته
سفاحاً منذ عرفه التاريخ، وتروى عنه هذه
القصة [١].

في صباح يوم ١٩٠٧/٦/٢٣م غادرت

د. أبو حسان - المنصورة -

السهل على الكرملين أن يعلن الرأى النهائي في السياسة العالمية، ما بين عشية وضحاها، كما فعل في الوقت الأخير إذ أعلن فحسم العلاقات الروسية، بالأمم الديمقراطية الغربية وارتباطها بألمانيا - كان ذلك أول الحرب العالمية الثانية ثم انقلب الى الضد لأطماع عارضة - وفي مقدور ستالين أن يتصرف كيف شاء في سياسة روسيا الخارجية ولا يجسر أحد أن يرفع صوتاً ما بمعارضته في حال من الأحوال.

فروسيا وإن كانت تعد نفسها من الناحية النظرية أمة ديمقراطية بعد أن كانت - نظرياً - تُحكَّم من قِبَل حُكْمٍ دكتاتوري، إلا أنها تنتهج النهج الدكتاتوري حين تخضع لحُكم الفرد المتسلط، وتجارب الشيوعيين أكسبتهم علماً بأن الشعب الروسي يجب أن ينقاد، يجب أن يقهر، ويُضَيَّق عليه بيد من حديد، فليئين كان دكتاتوراً بعقله وأخلاقه قبل أن يكون دكتاتوراً بقوته وجبروته، وجاء من بعده ستالين فأصبح أشد طغياناً وتجبراً أكثر مما كان لينين، ويرجع نجاح ستالين كحاكم مستبد منقطع النظير في العصر الحاضر، إلى خبثه الزائد، واستهتاره الذي لا حد له.

وقوة البوليس في روسيا هي المصدر الحقيقي لنفوذ ستالين، والبوليس الروسي يقوم على نظام خطير في التجسس وسفك الدماء، وتشجع السلطة الروسية التجسس بين أبناء الشعب، حتى أن الجار في روسيا يتجسس على جاره، والشخص يشي بأفراد

يرأسهم طاغية روسيا (من بعد) ستالين، وقد دبر هذه الفظائع ليسلب المال، وكان أثر الحادث المخرب المدمر من الروعة بحيث احتج عليه نفر من الشيوعيين أنفسهم، وعقدوا اجتماعاً قرروا فيه طرد الطاغية (ستالين) من زمريتهم، ولكن زعيمهم الأكبر (لينين) دافع عنه، وأثنى على عمله الرائع، لإيمانه ببطولته وخدمته لزملائه، فآثَر الشيوعيون صواب جريمتهم، وقالوا إنه قدَّم للحزب أحسن الخدمات لأنه وفر له ما يحتاج من مال يكون ثروة مدخرة لهم في الأزمات.

٢١٥ - دكتاتور متسلط

ظن المنخدعون أن روسيا ستنتعم بالأمان والحرية بعد سقوط القيصرية، وابتداء حكم الشيوعيين، ولكن الواقع المرير أثبت أن روسيا شاهدة أسوأ العهود في حقبة هؤلاء الطغاة، وقد جرت الدماء أنهاراً على يد (ستالين) ما بين سنتي ١٩٣٦، ١٩٣٨ بدعوى التطهير، ولم يكن التطهير إلا استئصالاً لكل شخص يحاول معارضة الدكتاتور الرهيب.

يقول الكاتب الأمريكي (هارولدوني) في مجلة «نيويورك مجازين» بعد حديث عن الشيوعية! «روسيا يحكمها رجل واحد، هو يوسف ستالين، ينفذ إرادته المطلقة بطريقة لم تتح للقيصر في جبروته، بل لم يظفر بها هتلر لأن النظام السوفيتي متوغل في حياة الشعب الداخلية والخارجية، بطريقة لم يسبق لها مثيل في حياة الإنسان، ومن ثم كان من

في ساعات فراغه فتاة شابة حسناء ذات أصل استقراطي قديم، وكان ستالين يضطجع كل يوم في الصباح قبل أن يباشر عمله الرسمي على أريكة ناعمة حيث تجلس الفتاة أمامه لتقرأ كل ما يريد من صحف أو رسائل كتابية أو برقيات خارجية وبجانبه منضدة تحمل أطباق الحلوى والفاكهة وما يلزم من العقاقير الطبية، وقد أعجب ستالين بقراءة الفتاة، وسرعة فهمها، وجودة تعليقها على ما تقرأ، وعد مجلسها من أسعد أوقاته اليومية، وفي ذات صباح أمر الدكتاتور بقدين من البن التركي الذي يحبه، وكان من عاداتها أن تتذوق أولاً ما يقدم لستالين كي يأمّن أن يكون الشراب موضع خطر، وحين وضعت السكر في الفنجان كانت عين الدكتاتور تلحظ بيقظة لونا في السكر غير طبيعي، وهو شيء لا يلحظ إلا بتأمل فاحص لا يدركه غير شكاك حذر دقيق، فتركها تشرب قدحها، ثم طلب منها أن تشرب القدح المعدل، فظهر عليها ما يدل على انتشار السم، فلم يكفه أن تموت بين يديه، ولكنه تعقب أهلها وأصدقائها، ومن يظن لهم بها أدنى صلة عارضة، فاستأصلهم جميعاً بعد تعذيب شاق في السجون، ليعترفوا بما يعلمونه من نوايا الحسنة، فقد يكون لها شركاء في المؤامرة قطعاً، ولابد أن يصل إليهم جميعاً، وقد احتاط حين لم يجد الدليل، فأعدم من يشاع أنه من معارفها، أما صديقه الحميم سكرتير اللجنة التنفيذية للمقاطعات

عائلته، وقد تصل بلاغات البوليس الى حد الاختراع، ويضيع بسببها أبرياء كثيرون، إذ كل إنسان في هذا البلد خاضع لستالين، وفي اللحظة التي تقع فيها الشبهة على إنسان يختفي أثره من الوجود، ولا تعوز ستالين الوسائل التي يستحوذ بها على الرأي العام في روسيا فهو يضع يده على الصحافة والإذاعة والمسرح والسينما وكل وسيلة من وسائل التعبير، فإذا أراد أن يطلب كلمة الرأي العام في المساء كانت بين يديه في الصباح دون عناء، وإذا نظرنا الى ضحايا هذا المستبد الخبير، وإلى اليد الحديدية التي استولى بها على الشعب الروسي أفراداً وجماعات، أيقنا بأن الحاكم المستبد السابق في عهد القيصرية لم يكن شيئاً جوار ستالين.

أقول، والشيوعيون من العرب يعرفون ذلك ويدافعون عنه، وقد انهارت الشيوعية في أوربا، وبقي هؤلاء وحدهم يتحسرون ويبكون لأنهم عملاء خسروا مجال كسب كبير.

٢١٦ (قصة فتاة)

كان سكرتير اللجنة التنفيذية للمقاطعات الروسية صديقاً حميماً لستالين، وموضع ثقته، وهو الذي يختار أعوان الدكتاتور من الإداريين، وبخاصة من السكرتيريين والخدم والسعاة، وكان يقدم لوظائف السكرتارية من تقع عينه عليها من الجميلات نوات الحسن الخالب، وقد اختار لقراءات ستالين الخاصة

الروسية فقد أبعد من مناصبه وجردَ منها
تجربيداً تاماً، وألقي به في السجن أمداً
طويلاً، لأنه لم يُحسن الاختيارحين قَدَم الفتاة
لتكون سكرتيرة خاصة للدكتاتور.

٢١٧ = (شاعر روسي)

كانت العلاقات تبدو حميمة صادقة بين
ستالين والشاعر الروسي الكبير مكسيم
جوركي إذ شاركه الكفاح في الماضي
السياسي البعيد والقريب، وقد لحظ الدكتاتور
أن ما يقدمه الشاعر الروسي في المسرح
الكبير بموسكو يحمل نقدات تهكمية لأعوان
ستالين، وهم أدوات الطبيعة فيما يقومون به من
انتهاكات ظالمة، كما لاحظ تأثيره الكبير في
المجتمع الروسي، ولم يستطع أن يغدر علناً
بصديقه الحميم فيزج به في السجن، ويلفق له
تهمة الخيانة وهو من أعمدة الشيوعية الذين
ناصروها بالدم والفكر والعذاب والنفي، وله
شعبيته الهائلة، فأمر بمن يدس له السم
البطيء في طعامه، ولم يكن يسكن معه غير
ولده، فاشترك معه فيما يأكل، وتوفي الوالد
والابن في وقت مقارب، وخاف الدكتاتور أن
تحوم شبهة ما حول وفاة الشاعر الكبير إذا
قورنت بوفاته ولده، وكتاهما كانتا مفاجأتين
كبيرتين، فأمر بمحاكمة صورية للأطباء الذين
تولوا علاج الشاعر لأنهم لم يستطيعوا ملافة
الداء قبل استفحاله في رأي من ادعى عليهم
ذلك، وانتهت المحاكمة بإعدامهم رمياً
بالرصاص وفيهم من قدم السم كيلاً يذيع

فيما بعد شيئاً عن الجرم الفظيع، ودارت
الدائرة على المخرج المسرحي الكبير
(مايرهولد) الذي كان يخرج مسرحيات
جوركي حاملة بعض الانتقادات، وقد توسل
للطاغية وهو من أصدقائه الكبار جازماً بأنه
كان يلفظ كثيراً من المعاني والعبارات، ولولا
غضب جوركي المتكرر لما ترك القليل مما ينقد
ويشرح، إذ كان يثور في وجهه كلما خالف
النص المكتوب، ويزعم له أنها فوق المحاسبة
والنقد لمكانتهما من الدكتاتور والشعب معا!
على أن مكسيم جوركي مع ذلك لم يسلم من
نقمة الخاصة لأنه انحرف كثيراً عن صراحته
المعهودة أيام لينين، وفي زمان القيصرية
السالف، كان الشاعر يحتاط إذن ولم يجده
الاحتياط شيئاً، بل ساق في طريقه نفرأ من
الأطباء المساكين.

٢١٨ = يارمول الله

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جوراً ومسخرة
لكل طاغية في الخلق محتكم
مسيطر الفرس يبغي في رعيته
وقيصر الروم من كبر أصم عمى
يعذبان عباد الله في شبه
ويذبحان كما ضحيت بالغنم
والخلق يفتك أقوامهم بأضعفهم
كالليث بالبهيم أو كالحوت بالبلم

الثقافة الذاتية .. المنطلق الحضاري



لا شك أن من أهم العوامل التي تتسبب في تأخير الأمم، وتؤدي إلى تدهورها الفكري والاقتصادي والسياسي والحضاري.. إنكارها لذاتها، وعدم معرفتها لتاريخها، وجعلها برجالها وعظماؤها.. ولا ريب أيضا أن هذا الانقصاص الخطير إذا ما حدث في كيان أمة ما فإنه يفصل بين الخلف والسلف، وبين الماضي والحاضر، وبين الثابت والمتطور.. وأيما أمة اكتسح هذا المرض العضال جسدها فهو لا محالة سيعصف بمراكز القوة والحياة فيها؛ ويريد كياناً هامداً لا روح فيه ولا حياة.

من هنا رأينا الأمم الكبيرة، والشعوب الصاحبة في كل وقت وحين تحافظ على جنورها الحضارية، وتنطلق من القسّمات المحددة لهويتها وشخصيتها في كل ما تأنيه من عمل، وما تقوم به من انجازات.. لقد وعّت الشعوب المتقدمة هذه الحقيقة الرائعة، والبسيطة في الوقت ذاته، فمهّدت أمامها أسباب الازدهار، وانداحت لها أساليب النهوض والترقي.

وليس أدل على كون هذه الحقيقة هي سر كل تقدم أو تغيير إيجابي فاعل، أن أية حركة استعمارية تتمكن من السيطرة على أية جهة مقهورة في الأرض إلا ونجد أنها تشرع في تنفيذ عملية التبديل الثقافي، وتغيير الخلفية الفكرية التي تتحكم في مقومات شخصية المجتمع وهويته الحضارية؛ ومن جهة أخرى فإن هذه الخلفية العقلية المتميزة هي التي أعيت المشرفين والقائمين على محاولات غرس الكثير من المناهج الاقتصادية والتنموية وغيرها في بيئات غريبة عنها، لأن تلك المناهج وليدة نفسية وعقلية مختلفة في بنيتها التكوينية وخصوصياتها الفكرية عن العقلية والنفسية السائدة في البيئة المراد تغييرها وتنميتها وتحويلها.

هذه القضية الهامة، والتي تحاول الدوائر الاستعمارية المعادية للشعوب،



بقلم:
**إبراهيم
نوري**
الجزائر

وخاصة العالم العربي والإسلامي، إخفائها وحجبها عن الوعي الجمعي، أضحت اليوم تأخذ حيزاً محترماً من الاهتمام والعناية، بعد أن صارت قناعة مركوزة لدى الكثيرين من علماء هذه الأمة ومفكرها وخبرائها.

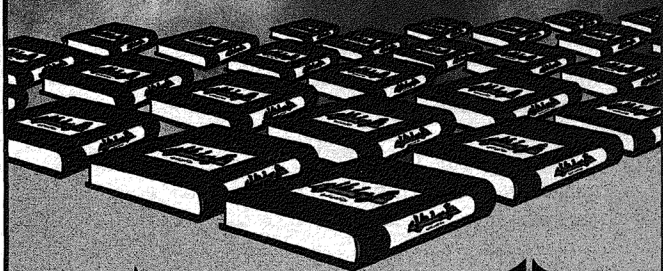
ونحسب أن المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي هو أحد الرواد الذين أسهموا - في نتاجهم الفكري والعلمي - في التشديد على أهمية وقيمة الثقافة الذاتية في عملية الاستنهاض والإقلاع الحضاري، ومحاولات تخطي سبود التخلف، وعقبات الانحطاط والتردي الحضاري. ومن الأمثلة على ذلك نراه يشير في بعض مؤلفاته إلى تجربة برنامج «شاخت» الذي حاول تنمية أنونيسيا، وإخراجها من غياهب التخلف... إلا أن هذا البرنامج أخفق في بداياته الأولى، والسبب بطبيعة الحال عدم مراعاة هذا البرنامج للتنموي للخصوصيات الفكرية والحضارية في أنونيسيا، وهي تختلف طبيعة وفطرة وتكويناً عن نظيرتها في ألمانيا، أو العالم الغربي عموماً. أما فضيلة الشيخ الغزالي (عليه رحمة الله) فيقول عن أهمية هذه الثقافة: «إن الثقافة الذاتية هي التي تصوّر شخصية الأمة وملاحمها الفكرية والنفسية، وتشرح عقائدها التي تنطلق منها، وأهدافها التي تنطلق إليها، وتقاليدها وأخلاقها وشرائعها بدءاً من الأسرة إلى علائقها الولية... إن هذه الثقافة الذاتية هي أكسير الحياة للأمة، والمجدد الدائم لطاقتها الأدبية والمادية... ومن هنا اتجه الاستعمار العالمي إلى ضرب هذه الثقافة، وتوهين معاهدها، فلما أجهز عليها، وإما شل حراكها وأبقاها صورة هامدة، أو اسماً بلا مضمون».

إن الأمل الذي أضحى يحلونا على طريق العودة إلى الذات ليس نابعاً من فراغ أو غرور، وإنما هو أمل يجيء بعد رحلة مرهقة من المتاهات التي عاشتها أمتنا في سبيل البحث عن مسالك ومناهج تتجاوز بها واقعه المتردي الذي هو حصيلة الحقبة الاستعمارية القاتمة السوداء. بيد أننا لا ننكر - ونحن نتشوف إلى إقلاع حضاري راشد نابع من ذاتنا وأصولنا - وجود المحاولات الشرسة التي ما تكاد تختفي إلا لتعود من جديد وبأساليب أكثر حدة وجراً ودهاء، وهي تعمل دون كلل، قصد إبعادنا عن منابعنا الحضارية وجنورنا الثقافية.

وذلك حتى يلقى في روع الأجيال المسلمة المعاصرة، أن النهضة الحقيقية الفاعلة لا يمكن أن تحدث في بلاد العرب والمسلمين إلا بالاعتماد على تجربة الحضارة الغربية!! ولا يخفى أبداً خطر مثل هذه الطروحات لأن الإسلام لم يتنكر يوماً لتجارب الحضارات الأخرى - ولم يعرف في تاريخنا أن المسلمين الأوائل وهم يشيرون الحضارة الإسلامية ضيقوا على أنفسهم في الأخذ بشمار حضارات الأمم الأخرى... وإنما استوعبوا تجارب الآخرين، وأخضعوها للمعايير الإسلامية الضابطة لأصول حضارتنا... وهذا بحد ذاته جانب من جوانب التأسيس الإسلامي لمنهجية الثقافة الذاتية.

الجموعة الكاملة
في ٧٢ مجلدا فاخرا

الآن



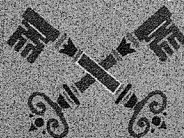
حالة المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

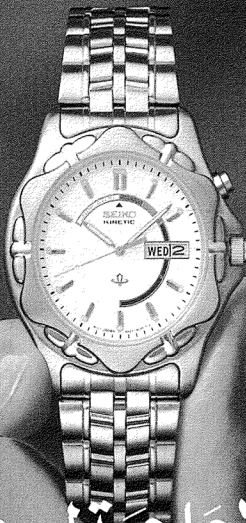
تصدر عن دائرة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي: جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٦٥ ت: ٢٤٧٢١٢٤ : الفاكس: ٢٤٢٨٨٥٣



مفتاحك للعالم الفكري والمعرفة

الأولى.. والوحيدة..



.. ولا حاجة لسواها بعد اليوم .

سيكو كينيتيك .. ساعة الكوارتز الأولى .. والوحيدة التي تقوم بتوليد وتخزين الطاقة الكهربائية من خلال الحركة الطبيعية للإنسان. نظام جديد كلياً .. كوارتز، دون الحاجة لطارية. غائبة في الدقة .. وجديرة بالثقة. لا تحدث أضراراً بالبيئة. تكنولوجيا متطورة خاصة بسيكو.

SEIKO
KINETIC®

يوماً ما .. سوف يستخدم جميع صانعي الساعات هذا النظام.

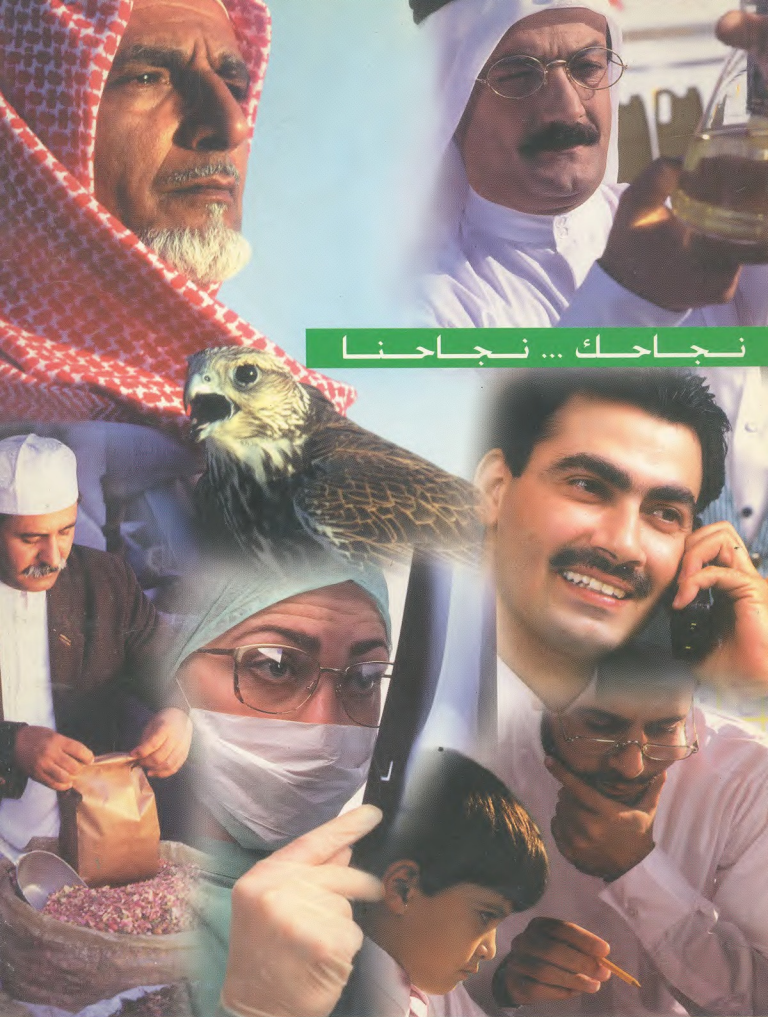


الحسيني وشركاه
Al-Hussaini & Co.

الإدارة العامة: وحدة تليفون ٦٤٧٨٨٨٨ - فاكس ٦٤٨٦٦٦٦

الضروع: الرياض - الدمام - مكة المكرمة - المدينة المنورة - خميس مشيط - الأحساء - جيزان - بريدة - تبوك - حضارباطن

لمزيد من المعلومات اتصل مجاًئاً على الرقم **تيليب - كينيتك ٨٨٨٨ - ٢٤٤ - ٨٠٠**



نجاحك ... نجاحنا

البنك الأهلي التجاري
THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

